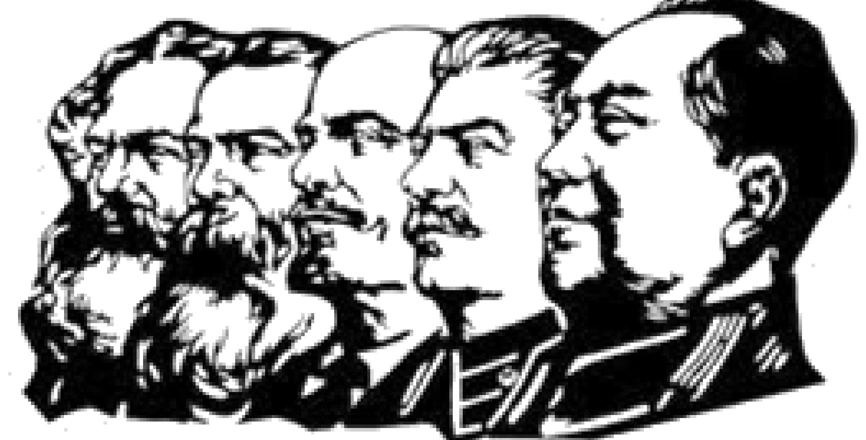
دروس أساسيّة في

الماركسيّة اللّينينيّة الماويّة



تأليف الحزب الشيوعي الهندي

(الماوي)

ترجمة إبراهيم شيبة

طريــق الثّــــورة – مـــــارس 2022

دروس أساسيّة

في

الماركسيّة اللّينينيّة الماويّة

تأليف الحزب الشيوعي الهندي (الماوي)

ترجمة إبراهيم شيبة

تحقيق، مراجعة وتصميم الغلاف

فاروق الصياحي

طريق الثّورة — مــارس 2022

لِمَ هذا الكتــاب ؟

في عصر الإمبرياليّة والثّورة البروليتاريّة لا يمكن لأيّ مناضل ثوريّ أن يستغني عن التّكوين النّظري الذي يسير بنفس النّسق مع حقـل الممارسة العمليّة، بل إنّ التّثقيف النّظري ضروريّ لا فقط لتكوين المناضلين في ميدان النّظريّة وإنّما لأنّــــه ضروريّ أيــضا في ميدان المـمـــــــارسة العمليّة، بل إنّـــه يمكن أن يرتقي إلى حقل هذه الممارسة التي يجب ان يضعها كلّ مناضل شيوعيّ في برنامج عمله اليوميّ.

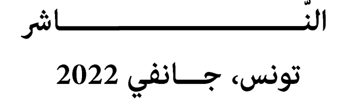
ولا يمكن لأيّ شيوعيّ مهما تقدّمت تجربته أن يستغني عن هذا الحقل أو أن يدّعي أنّه استوفى كلّ أركانه وزواياه ومسائله وتفاصيله، وأنّه قد تجاوز هذه المـــرحلة ناسبا إيّاها إلى العناصر الشّبابيّة أو الجديدة زاعما أنّه قد ارتقى إلى مرحلة أعلى وأصبح بذلك في غنى عن طور التّكوين والتثقيف النّظريين بما انّه حصل عن نصيبه من هذا الحقل. على العكس من ذلك، فإنّ حقل النّظرية حقل واسع وشاسع وهو ملازم للشيوعيّ وملازم للتنظيم الشيوعي في مختلف مراحل الكفاح من أبسطها إلى أكثرها تعقيدا وهو سلاح لا يمكن فصله عن حقــل الممارسة سواءَ لدى المناضل أو لدى الحزب.

وعليه، فإنّ الحزب الشيوعي مطالب بتخصيص جانب مهمّ من برنامجه للتكوين النّظري والتثقيف السياسي لمختلف مناضليه نظرا لأهميّة الإيديولوجيا في تصويب وتقويم الجانبين السياسي والتّنظيمي، إذ "لا حركة ثوريّة دون نظريّة ثوريّة".

وتفرض التحوّلات المتسارعة التي يشهدها عصر الإمبريالية والثورات الاشتراكيّة والديمقراطية الشعبيّة على مستويات عدّة وخصوصا الابتكارات التكنولوجيّة من جهة أولى وكذلك حالة الهجوم الشرس المعادي للشيوعية في العالم من جهة ثانية وأيضا انتشار مقولة "موت الأيديولوجيا" و"إفلاس النّظرية" و"فشل الماركسيّة"

بفعل الدّعاية التي تبثّها القوى الرّجعيّة والانتهازيّة من جهة ثالثة، تفرض كلّ هذه العوامل، على الشيوعيين أحزابا وأفرادا المزيد من إيلاء الأهميّة لسلاح النّظرية والتثقيف السياسي الذي يرشد إلى طريق الثّورة وطريق الانتصار.

هذا الكتاب، يطرح برنامجا عامّا للتثقيف والتكوين وهو يتناول بطريقة مبسّطة أهمّ مسائل الماركسية اللينينيّة الماويّة عبر قراءة تاريخيّة لتطوّر علم تحرير البروليتاريا بدءا بمصادره المختلفة وصولا إلى إنجازاته ولعلّ آخرها الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى والحروب الشّعبيّة الثّوريّة الدّائرة رحاها الآن في أكثر من موقع على هذا الكوكب. هذا الكتاب ضروريّ للمناضل الشيوعيّ المدعوّ إلى تعميق تكوينه النّظريّ والسياسيّ عبر توسيع اطلاعه ومعارفه والنقاش والنّقد والممارسة العمليّة.



النّـــــــــــــــاشر

تونس، جـــانفي 2022

مقدّمـــــة

نتميّز نحن، معظم الثوريّين بكوننا أناسا عمليّين. ولطالما تساءلنا: لماذا نزعج أنفسنا بمسائل الإيديولوجيا والنظريات، وما شابه ذلك... فهذا من اختصاص الباحثين والمثقّفين... ما يهمّنا نحن هو إنجاز المهمّات العملية.

ويعتقد مناضلون قاعديّون أنّه يكفي أن تقوم اللّجنة المركزيّة واللّجان العليا بالأعمال النظريّة ثم تعطي التوجيهات إلى بقيّة الحزب. وكثيراً ما يشعر العديد من أعضاء اللّجان العليا أيضًا أن هناك أعمالا أكثر إلحاحًا تمنعنا من إمضاء كثير من الوقت في الأمور النظريّة.

من ناحية أخرى، هناك البعض الآخر الذي يعتقد أنّه من الضّروري قراءة جميع كتابات المعلّمين الكبار للعمل "بشكل صحيح" ويقضون الكثير من الوقت في محاولة قراءة كلّ شيء. كما أنّهم يميلون إلى التعامل مع كل ما يقرؤونه على أنّه عقيدة.

من الضروري أن نتجنّب هاذين الموقفين خلال دراستنا. ويجب على جميع الرّفاق تخصيص الوقت الكافي للدّراسة وفهم جوهر نظريتنا الماركسية -اللينينية -الماوية.

وبدلاً من حفظ عدد كبير من الكتب عن ظهر قلب، من الضّروري أن نفهم بعمق الجوانب الأساسية لتوجهاتنا الايديولوجية. لأنّه إذا قمنا بذلك وتعلّمنا كيفيّة تطبيقها في حياتنا اليومية، يمكننا تحسين ممارستنا العمليّة بشكل كبير، سواءَ كأفراد أو كأعضاء في الحزب.

في كثير من الأحيان، نقوم بفهم وتحليل العالم من حولنا استنادًا إلى تجاربنا المحدودة، لذلك قد نصل إلى استنتاجات خاطئة. ولكن الفهم الجيد للم الل الم (الماركسية اللينينية الماوية) يمكن أن يساعدنا على التغلّب على مثل هذه الأخطاء ويمكّننا من التعلّم من التّجارب الإيجابيّة والسّلبيّة حول العالم والتّفريق

بين الجيّد والسيّء من خلال ممارستنا العملية... باختصار تمثّل دراسة الم الل الم ضرورة لأنّ النظرية هي نور الممارسة العمليّة.

تهدف هذه الدّورة التدريبية الأساسية إلى التعريف بالجوانب الرئيسية لإيديولوجيتنا التي تعدّ وقبل كل شيء نظرية "عملية"، من المفترض ان يتم تطبيقها ووضعها موضع التنفيذ. وقد ظهرت النظرية نفسها خلال العديد من الصّراعات الطبقية. ولذلك من الضروري فهم الظروف المادية الملموسة والممارسات الاجتماعية التي اكتشف من خلالها المعلّمون الكبار للبروليتاريا - ماركس وإنجلز ولينين وستالين وماو- مبادئها الأساسية وصاغوها. لذلك تمّ تقديم هذا الكتاب في شكل سرد تاريخي مترابط لعمليّة النمو والتطور التي شهدتها الم الل الم. وقد تمّ عرض المفاهيم الأساسية وربطها قدر الإمكان بالظّروف الاجتماعية والأحداث الرئيسية والصّراعات الطبقية التي أنتجتها. ولكن من أجل فهم جانب مفصّل، ستكون هناك حاجة إلى دراسة أكثر تعمّقا. بيد أن هذا التمشي الأساسي يهدف إلى ان يكون وسيلة لفهم العملية الديناميكية لتطور إيديولوجيتنا وللظروف التاريخية التي أنتجت مختلف المواقف والنظريات.

الفصل 1 ما هي الماركسيّـــة اللّينينيّـــة الماويّـــة ؟

الحزب الذي يقود الثورة هو الحزب الشيوعي، والأيديولوجيا التي توجّه تفكير وممارسة الحزب الشيوعي هي الماركسية-اللينينية-الماوية. هذا معروف لنا جميعا. ولكن كثيرين منّا ليسوا على يقين مما يعنيه ذلك تماما وما هو المقصود بالايديولوجيا الشيوعية أو الم الل الم وما هي أجزاؤها وجوانبها المختلفة. عدد كبير من الناس يفهمونها ببساطة على أنها أفكار ماركس ولينين وماو. ولكن في الواقع يعتبر هذا الفهم غير مكتمل وغير كاف بل وسطحيّا. قد نحتاج الى التعمق في المسألة أكثر كي نفهم جوهرها الداخلي.

كان ماركس وإنجلز أوّل من طوّرا ونشرا النظرية الشيوعية، فقد قام إنجلز في عام 1847 بصياغة كتيب بعنوان "مبادئ الشيوعية"، حدّد من خلاله ماهية الشيوعية بطريقة بسيطة: "الشيوعية هي نظرية المتطلبات الأساسية لتحرير البروليتاريا". يشرح إنجلز في هذا التعريف القصير، أنّ جوهر الأيديولوجيا الشيوعية هو توفير النظرية التي تبيّن ما المطلوب لتحقيق الحرية المطلقة للطبقة العاملة (البروليتاريا) والتي ستتحقق من خلال تأسيس المجتمع الشيوعي.

لقد شرح ستالين نفس الشيء على النحو التالي: "الماركسية هي علم القوانين التي تحكم تطور الطبيعة والمجتمع، وعلم ثورة الجماهير المضطهَدة والمستغلَّة، وعلم انتصار الاشتراكية في جميع البلدان، إنها علم بناء المجتمع الشيوعي". هنا يشرح ستالين النطاق الواسع للماركسية. أولاً، إنّه علم، يقدّم الإجابات على الأسئلة المتعلقة لا فقط بالمجتمع، بل بالطبيعة ككلّ. لذلك يمكن القول أنّ الماركسية هي علم شامل. ثانياً، هي علم يتعلق بالثّورة. ولكن ليس بثورة الأغنياء (كما حدث في الثورات البرجوازية السابقة)، ولكنّها ثورة الفقراء والجماهير الكادحة. وثالثا هي علم بناء المجتمع الاشتراكي ومن ثمّ الشيوعي.

يُنسب هذا العلم اليوم، الماركسية اللينينية الماوية، إلى أسماء المعلمين الثلاثة الذين لعبوا الدور الأكبر في تأسيسه وتطويره -كارل ماركس وفلاديمير لينين وماو تسي تونغ. وإلى جانب هؤلاء الثلاثة، نذكر معلّمين كبيرين آخرين لعبا دوراً هائلاً -فريدريك إنجلز وجوزيف ستالين. كان إنجلز رفيق ماركس الذي تعاون معه بشكل وثيق في إرساء أسس الماركسية، وكذلك في التقدم بها بعد وفاة ماركس. أمّا ستالين فقد دافع عن الماركسية اللينينية وطوّرها بعد موت لينين.

بدأ ماركس بمعية إنجلز الاشتغال على الماركسية منذ قرابة 150 عاما.

الأجزاء الرئيسية **للماركسية** هي:

1/الفلسفة المادية الجدلية واكتشاف المفهوم المادي للتاريخ أو المادية التاريخية.

2/الاقتصاد السياسي الماركسي الذي اكتشف قوانين حركة الرأسمالية وتناقضاتها وقانون فائض القيمة الذي كشف عن مصدر الاستغلال.

3/ نظرية الاشتراكية العلمية القائمة على فكرة النضال الطبقي وتحديد المبادئ التي تحكم تكتيكات نضال البروليتاريا الطبقي.

اللّينينيّة هي الماركسية في عصر الإمبريالية والثورة البروليتارية. تم تطويرها لأوّل مرّة من قبل لينين في مطلع القرن العشرين خلال الثورة الروسية، بينما كان يحارب انتهازية الأممية الثانية، ويتقدّم في الوقت نفسه بالحركة الشيوعية العالميّة من خلال الأممية الثالثة.

قدّمت اللينينية بينما كانت تدافع عن الماركسية وتطوّرها الإسهامات المهمّة التالية:

1 /اكتشاف قوانين حركة الرأسمالية في ظل الإمبريالية وكيف ستقود حتمًا القوى الإمبريالية إلى الحرب.

2/التطوير النوعي لنظرية وممارسة الثورة البروليتارية سواء خلال الثورة الديمقراطية البرجوازية أو خلال الثورة الاشتراكية.

3/فهم واضح بشأن دكتاتورية البروليتاريا وكذلك المبادئ الأولى المتعلقة بالبناء الاشتراكي.

4/تقديم النظرية والتوجيه للتحركات في المستعمرات وربط حركات التحرر الوطني بالثورة الاشتراكية العالمية.

5/تطوير المبادئ التنظيمية للحزب اللينيني (الحزب من الطّراز الجديد).

وقد ساهم ستالين بشكل خاص خلال فترة دفاعه عن اللينينية وتطويرها في إرساء المبادئ والقوانين التي تحكم فترة البناء الاشتراكي.

الماوية هي امتداد وتطوّر للماركسية اللينينية لتنطبق على العصر الحالي. تم تطويرها من قبل ماو خلال الثورة الصينية ثم خلال عملية البناء الاشتراكي، وأثناء الصراع مع التحريفية الحديثة وخاصة خلال الثورة الثقافية البروليتارية العظمى. وتشمل مساهمات الماوية: نظرية التناقضات، وتطوير نظرية المعرفة وصياغة خط الجماهير "من الجماهير، إلى الجماهير"؛ نظرية الديمقراطية الجديدة، وصياغة مسار الثورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات وتتعلق هذه الصياغة بثلاثة أسلحة سحرية للثورة - الحزب والجيش الشعبي والجبهة المتحدة؛ نظرية الحرب طويلة الأمد وتطوير مبادئ الحرب الثورية؛ تطوير المبادئ التنظيمية للحزب البروليتاري من خلال فهم خطّيِ الصّراع وحملات التصحيح والنّقد والنّقد الذاتي؛ تطوير الاقتصاد السياسي للاشتراكية اعتمادا على الأساس السوفياتي والتجربة الصينية والفهم الجدلي لعملية البناء الاشتراكي لمعالجة التناقضات خلال عملية الانتقال إلى الاشتراكية. ويعدّ أهم ما جادت به الماوية: نظرية وممارسة الثورة في ظل دكتاتورية البروليتاريا لتوطيد الاشتراكية، ومكافحة التحريفية الحديثة ومنع الرأسمالية من إعادة بناء نفسها، وقد تجسّد ذلك في الثورة الثقافية البروليتارية الكُبرى.

وهكذا، فإنّ الماركسية واللينينية والماوية ليست إيديولوجيات منفصلة، بل تمثّل مراحل مختلفة من تطوّر نفس الإيديولوجيا. وسنحاول في الصفحات التالية تتبع قصة عملية تطورها. كما سنحاول أيضًا فهم جوهر أجزائها وجوانبها المختلفة المذكورة أعلاه. قد تبدو القائمة طويلة وصعبة، ولكنّها لن تكون كذلك، إذا ركّزنا وحاولنا فهم الجوهر الأساسي لكلّ جانب ضمن سياقه التاريخي.

تعلّمنا الماركسية -كما سنرى لاحقا- أنّ أيّ أفكار أو نظريّات هي دائماً نتاج لشروطٍ ماديّة. وعندما تنشأ ظروف مادية جديدة، لا بدّ أن تصاحبها أفكار ونظريّات جديدة. هذا الأمر ينطبق على الماركسية أيضا. لذلك ومن أجل فهم أفضل، علينا أن نحاول معرفة الظروف المادية، أي الظروف الاجتماعية الاقتصادية، التي صاغ فيها ماركس وإنجلز الماركسية.

تأسّست الماركسية منذ أكثر من 150 عامًا، أي خلال **أربعينيّات القرن التاسع عشر**. وقد ظهرت لأول مرّة في أوروبا، التي هيمنت على العالم في ذلك الوقت اقتصادياً وسياسيَا وعسكرياً، حيث كانت كل الحضارات السابقة مثل الهند والصين وبلاد فارس تابعة لها. ولد كل من ماركس وإنجلز وعاشا في أكثر أجزاء أوروبا تقدمًا اقتصادياً. وقد شاركا وتأثّرا أثناء تطوير أفكارهما بجميع الأحداث السياسية الرئيسية في ذلك الوقت.

1- كان العامل الأكثر أهمية هو **الثورة الصناعية**، التي استمرّت ما بين 1760 و1830 تقريباً، وعلى الرّغم من أنّها كانت متمركزة في إنجلترا، إلاّ أنها أثّـرت على العالم بأسره. وقد سُمّيت الثورة الصناعية، على هذا النحو، لأنه خلال هذه السنوات السبعين شهد العالم طفرة وخطوة جبّارة في التنمية الصناعية. فتم لأوّل مرّة إنشاء المصانع الكبيرة والحديثة والتي نمت بوتيرة سريعة للغاية، خاصّة في إنجلترا. إلى جانب ذلك شهدت السوق العالمية توسعا هائلا، وأرسلت السلع المصنّعة الإنجليزية إلى جميع أنحاء العالم. وعلى الرّغم من أنّ دولا أخرى مثل فرنسا وهولندا وأجزاء من ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية أنشأت مصانع كبيرة، إلاّ أنّ إنجلترا كانت تهيمن على هذه الفترة بشكل كبير. فكانت تُدعى حينها "ورشة العالم" التي تزوّد جميع البلدان بالسلع المصنّعة.

حوّلت الثورة الصناعية **الطبقة الرأسمالية** التي كانت في وقت سابق غير قويّة من الناحية الاقتصادية (كانت تسمى البرجوازية لأن البرجوازية تعني بالفرنسية الطبقة الوسطى) إلى طبقة من الصناعيين أصحاب الملايين -البرجوازية الصناعية الحديثة-. لقد أعطى الثّراء الذي لا حدّ له القوّة لهذه الطبقة الجديدة لتحدّي الطبقات الإقطاعية، والتي كانت لا تزال الطبقات الحاكمة حتى ذلك الحين.

إلى جانب البرجوازية الصناعية الحديثة، ولّدت الثورة الصناعية طبقة أخرى هي **الطبقة العاملة** الصناعية الحديثة أو البروليتاريا. هذه الطبّقة التي تتكوّن من عمّال يعملون معاً في المصانع بأعداد كبيرة، كانت مختلفة كثيراً عن العمّال السابقين الذين كانوا يعملون في الورش في مجموعات صغيرة. وامتلكت هذه الطبقة من البروليتاريا الحديثة قوة وثقة لم تعرفها الأجيال التي سبقتها من العمال والكادحين. لقد امتلك العمّال هذه القوة من اتصالهم بالصناعة الحديثة، وتعلّم نظامهم من نظام المصنع، ولحمتهم الفعّالة بسبب أعدادهم الكبيرة المجمّعة في المصانع تحت سقف واحد. وجعلهم وضعهم داخل المجتمع القوّة الأكثر ثورية في التاريخ.

2- العامل المهمّ الآخر، الذي سيطر على الوضع السياسي في أوروبا في ذلك الوقت كان موجة **الثورات الديمقراطية البورجوازية** التي قادتها الطّبقة الرأسمالية الصّاعدة والتي كانت أهمّها الثّورة الفرنسية عام 1789. لم تؤدّ الثّورة الفرنسية إلى تغييرات جذريّة في فرنسا فحسب، بل أدّت إلى الحروب النابليونية حيث غزت جيوش البرجوازية الفرنسية تقريبا كلّ أوروبا وأدخلت إصلاحات برجوازية كإلغاء الإقطاع أينما ذهبت، وهكذا سدّدت ضربة قاضية للملوك والطبقات الإقطاعية القديمة. وعلى الرغم من هزيمة الجيوش الفرنسية في وقت لاحق، لم تستطع الطبقات الحاكمة القديمة استعادة موقعها. واصلت البرجوازية الحديثة موجتها الثورية مع العديد من الثورات البرجوازية الأخرى، التي أسفرت عن هزيمة حاسمة للطبقات الإقطاعية وانتصار الرأسمالية كنظام عالمي.

وهكذا على المستوى الاقتصادي والسياسي، كانت فترة ولادة الماركسية فترة من الإنجازات والانتصارات العظيمة للطبقة الرأسمالية التي كانت تؤسّس حكمها في أكثر دول العالم تقدمًا وسيادة.

3- على الرّغم من أن هذه هي فترة التقدم الأكبر للبرجوازية، فإن العامل الرئيسي الذي ولّد الماركسية خلال هذه الفترة كان ظهور وعي الطبقة العاملة والمنظمات والحركات البروليتارية ممّا يشير إلى بروز البروليتاريا كقوّة مستقلة واعية بذاتها.

كان أول ظهور للبروليتاريا الواعية طبقيّا في إنجلترا وفرنسا. وكان هذا في المقام الأول بسبب الانتشار المبكّر للصناعة الحديثة في هذين البلدين. ورغم أن انتشار الصناعة الحديثة جلب ثروة كبيرة للبرجوازية، كان يعني في نفس الوقت ظهور أكثر ظروف العمل والمعيشة اللاّ إنسانية. كان ما يقارب ثلاثة أرباع القوى العاملة مكوّنا من النساء والأطفال لأنّهم يقدمون عملاً أرخص وهم أكثر سهولة في السيطرة عليهم من قبل الرأسماليين، فقد أجبر الأطفال من سنّ السادسة فصاعدا على العمل بين أربعة عشر وستة عشر ساعة في مصانع الغزل. وبينما كانت البرجوازية تجمع ثروة عظيمة، كان العمّال يقعون في بؤس أكبر وأكبر. وبينما كان أصحاب مصانع القماش يضاعفون رؤوس أموالهم مرات عديدة، فإنّ أجور نسّاجيهم قد تقلصت إلى ثُمْن (8/1) ما كانوا يحصلون عليه في وقت سابق.

وهكذا عاشت البروليتاريا ظروفا لم يكن فيها التمرّد ممكنا فحسب بل إلزاميا. كانت أولى هذه الاندفاعات عفوية، بدون اتّجاه واضح. على سبيل المثال: أحداث تكسير الآلات في الفترة من 1810 إلى 1811 في إنجلترا، حيث كانت مجموعات من النسّاجين تقوم بمهاجمة مصانع النسيج وتحطيم أي آلات يمكنهم الوصول اليها. كانت هذه طريقتهم للاحتجاج ضدّ الصناعة الحديثة التي كانت تدمّر حياتهم. وقد جرى قمع مثل هذه الاحتجاجات، التي ليس لها اتّجاه واضح، بشدّة فتلاشت بسرعة.

ما تلا ذلك هو انتشار ونمو الحركة العمالية ومنظّمات العمّال التي قدّمت الجواب والاتّجاه لقتال البروليتاريا. بدأت النقابات، والتي كانت مقتصرة على العمّال المهرة في وقت سابق، منذ 1818 توحيد جميع الرّجال الذين يعملون معا في ما كان يسمّى آنذاك "النقابات العامّة". ومع نمو هذه النقابات في إنجلترا، بدأت حركة لبناء اتّحاد على المستوى الوطني. وقد تمّ تشكيله بنجاح، وبحلول 1833-1834 بلغ عدد أعضائه 500000. بدأ العمال أيضا، إلى جانب النقابات، بتنظيم أنفسهم في التّعاونيات وجمعيّات المنفعة المتبادلة. وكانت هذه الجمعيات، في البلدان الأخرى التي تم حظر النقابات فيها إلى حدّ كبير، هي الأشكال الرئيسية لمؤسسات الطبقة العاملة وكانت قد نمت أيضا من حيث العدد والقوّة.

عندما بدأت منظمات العمال في النموّ، أطلق العمّال في بريطانيا حركة "الشارتية" في عام 1837 مطالبين بالحقوق الانتخابية للعمّال. كانت هذه أول حركة ثورية بروليتارية واسعة النطاق وحقيقية ومنظّمة سياسياً. استخدمت طريقة العرائض الجماعية للبرلمان مشابهة إلى حدّ ما لحملات التوقيع التي يتمّ تنظيمها في بعض الأحيان، فجمعت هذه العرائض 5 ملايين توقيع. وأظهرت بعض مظاهرات "شارتيست" والتي شارك فيها 350 ألف شخص، القوة المنظّمة للطّبقة العاملة. ولكن عندما ازدادت قوة ونضالية الحركة واجهت قمعًا شديدًا وتم إخضاعها بحلول عام 1850.

خلال أوائل الأربعينيات من القرن التاسع عشر، بينما كان إنجلز مقيماً في مانشستر (في إنجلترا)، كان على اتّصال وثيق بزعماء شارتيّين ثوريين إضافة إلى متابعته جريدتهم الأسبوعية "النّجم الشمالي" وقد تأثّر بالحركة الشّارتية.

أدّت القوة المتزايدة لحركة العمال في هذه الفترة أيضًا إلى الانتفاضات العمّالية الأولى التي تم قمعها بوحشية. ومن الأمثلة على ذلك: الانتفاضات التي حدثت في لندن عام 1816 ومانشستر في عام 1819، انتفاضات عمال الحرير في ليون

(فرنسا) في 1831 و1834، وانتفاضة نسّاجي الكتّان في سيليزيا في بروسيا ألمانيا (اليوم جزء من بولندا) في عام 1844. وقد كان لهذا النّضال الأخير تأثير قويّ على جميع أنحاء ألمانيا وعلى ماركس الشاب كذلك.

وهكذا، وبحلول أربعينيات القرن التاسع عشر، كانت الحركة البروليتاريّة تنمو بسرعة وقوّة في العديد من البلدان الصناعية. ومع ذلك، كانت لا تزال ضعيفة للغاية ولا يمكن أن تشكّل تهديدا للبرجوازية المهيمنة أو حتّى للطبقات الإقطاعية القديمة الحاكمة. ومع ذلك، كان بروز البروليتاريا كقوة طبقية مستقلّة حدثًا ذا أهمية تاريخيّة عالميّة. كما أنّ دخول طور الوجود المادّي للبروليتاريا يعني في نفس الوقت ولادة الأفكار التي تمثّل هذه الطبقة الثّورية الجديدة. وهكذا ظهرت العديد من الأفكار والنظريات التي تدّعي أنها تمثل مصالح الطبقة العاملة.

حتى الماركسية، عندما تمّت صياغتها لأوّل مرّة في أربعينيات القرن التاسع عشر، كانت واحدة فقط من بين هذه النّظريات. لكن الماركسيّة فقط هي التي وفّـرت الأدوات اللاّزمة لفهم هذه الشروط بشكل صحيح وكذلك تغييرها. لذلك ستثبت في السنوات المقبلة أنها وحدها الإيديولوجيا البروليتارية الحقيقيّة.

من الواضح أنّه لا يمكن لأحد أن يولد ماركسياَ، حتّى ماركس نفسه، بل يجب أن تكون هناك عمليّة يتمّ من خلالها تطوير الأفكار والآراء وصياغتها حتّى تتبلور في شكل معيّن والذي يمكن أن يسمى إيديولوجيا. وكان على ماركس وإنجلز، بطبيعة الحال، أن يمرّا بمثل هذه العمليّة قبل أن يكتشفا ويفهما المبادئ الأساسية لما نعرفه اليوم بالماركسية. لقد تمّ تحديد هذه العملية بشكل طبيعي من خلال التجارب الملموسة التي مرّ بها كلاهما. ومن أجل فهم هذا بعمق، علينا النظر بإيجاز إلى تجارب حياتهما المبكّرة.

وُلد كارل ماركس في 5 ماي 1818، في مدينة ترير في ما كان يسمّى آنذاك (راينلاند البروسية) والتي هي اليوم جزء من ألمانيا. كان والده، هاينريش ماركس، أحد كبار المحامين في المدينة. كان للأسرة مستوى ثقافي جيّد ولكنّها لم تكن ثورية. وقد انحدر والدا ماركس من سلالة طويلة من الكهنة اليهود وبالتالي، على الرغم من أنهم كانوا ميسورين اقتصادياً، كان عليهما مواجهة التمييز الاجتماعي في الجو المعادي لليهود في بروسيا.

في عام 1816، أجبر والد ماركس على اعتناق المسيحيّة، لأنّ الحكومة البروسية قامت بإصدار حكم يمنع اليهود من ممارسة القانون. وفي عام 1824، تمّ تمرير قانون بروسي آخر لمنع غير المسيحيين من الدخول إلى المدارس العامّة، وللتغلب على هذا، اضطرّ هاينريش ماركس مرة أخرى إلى تعميد ابنه كارل، مع جميع إخوته وأخواته. وهكذا، على الرّغم من أنّه لم يكن مؤمنا بالدّين الرسمي، اضطرّ والد ماركس إلى تبني إيمان جديد لمجرد مواصلة مهنته وتوفير تعليم جيّد لأبنائه.

تُعدّ مدينة ترير، مسقط رأس ماركس، أقدم مدينة في ألمانيا، وكانت، منذ قرون عديدة، مقراَ لأباطرة الرّومان ومن ثم مقرّا لأساقفة الكاثوليك، مع إدارة دينية للمدينة والمنطقة المحيطة بها. في أوت 1794 استولت الجيوش الفرنسية على

المدينة وأقامت إدارة مدنية وجلبت أفكار ومؤسّسات الثّورة الفرنسية. ولم تعد المدينة إلى أيدي الملك البروسي إلاّ بعد هزيمة نابليون في عام 1815. وهكذا، فإنّه أثناء ولادة ماركس وخلال فترة شبابه، كانت لا تزال تحمل أثر واحد وعشرين عامًا من الأفكار الثّورية الفرنسية

كانت ترير بلدة صغيرة، مماثلة في حجمها لبلدات التالوكا الصغيرة، ويبلغ عدد سكانها حوالي 12000 نسمة. وكانت في الأساس تمثّل سوقا للمنطقة المحيطة بها، وقد كانت منذ قرون منطقة مشهورة بزراعة العنب. وكان سكّانها يتألفون من مهن نموذجية لمدينة "خدمية" -موظفو الخدمة المدنية، والكهنة، والتجار الصغار، والحرفيون، وما إلى ذلك. وقد ظلت هذه البلدة بمنأى عن الثورة الصناعية لذلك كانت متخلفة اقتصاديا نسبيا.

خلال شباب ماركس كانت فيها درجة عالية من الفقر، وقد أعطت الإحصاءات الرّسمية في عام 1830 رقم بطالة واحد من كل أربعة (4/1)، على الرّغم من أن الرّقم الفعلي يجب أن يكون أعلى من ذلك بكثير. كان التسوّل والبغاء شائعين وكانت أرقام الجريمة البسيطة مثل السرقة عالية للغاية، وهكذا شهد ماركس منذ سنّ مبكّرة جدّا بؤس الطبقات العمالية وفقرها.

بعد التحاقه بالمدرسة الاعدادية، دخل ماركس إلى مدرسة فريدريش فيلهيلم الثانوية في عام 1831، وتخرّج منها في عام 1835. وفي غضون ثلاثة أسابيع، تم إرساله لإكمال دراسته في كلية الحقوق في الجامعة على بعد أربعين ميلاً من ترير، في مدينة بون (ألمانيا).

مع الرّغبة في التعلّم قدر الإمكان، سجّل ماركس على الفور في تسع دورات تكوينية إلى جانب القانون، وقد شملت الشعر والأدب والفن، وما إلى ذلك... كان له اهتمام عميق بكتابة الشعر وكان في البداية يحضر المحاضرات بانتظام ولكنه فقد الاهتمام بها تدريجيا، لا سيّما المحاضرات القانونية، التي وجدها جافّة وغير مر ضية، فقام بتخفيض دوراته إلى ستّة ثم إلى أربعة ثم قرّر الدراسة بنفسه. انضم أيضا إلى دائرة من الكتّاب الشّباب أسّسها طلاّب ثوريون ليشارك في الحياة

العاصفة للطلاب وفي الصّراع المستمر بين أبناء النبلاء الإقطاعيين وأبناء البورجوازيين وسرعان ما أصبح قائداً للجماعة البرجوازية. كان غالبًا ما يدخل في مشاجرات وأحيانًا في مبارزات بالسيف، كان يحمل سكينًا / خنجرًا (يشبه إلى حدٍ ما سكاكين جوبتي)، وقد قبضت عليه الشرطة في إحدى المرّات، كما حُكم عليه بالسجن لمدة يوم واحد في سجن الطلاب بالجامعة بتهمة "الصخب الليلي والسّكر". وقد أصيب في إحدى المبارزات بالسيف، على حاجبه الأيمن ممّا دفع بوالده إلى القيام بسحبه من جامعة بون وإعادته إلى ترير في أوت 1836.

عند عودته إلى ترير، ارتبط بجيني فون فيستفالن، ابنة البارون فون فيستفالن، وهو أحد النبلاء ومسؤول حكومي بروسي كبير. كانت جيني أكبر منه بأربع سنوات، وقد كانت تعرفه منذ أيّام المدرسة. وقد ارتبطا اولا بموافقة والدي ماركس، لكن دون موافقة والدي جيني، التي لم يتم الحصول عليها إلا في عام 1837.

في أكتوبر 1836 انتقل ماركس إلى جامعة برلين، وكانت عاصمة بروسيا آنذاك. كانت الجامعة أكبر بكثير من بون وتشتهر كمركز رئيسي للتعليم. بعد التسجيل في دورات الجامعة، قفز ماركس على الفور إلى عاصفة من العمل تشمل البقاء يقظا ليلة بعد ليلة وتناول الطعام بشكل غير منتظم والتدخين بكثافة وقراءة الكتب الثقيلة وملء دفاتر الملاحظات. وبدلا من الدّراسة الرسمية تابع ماركس دراسته بنفسه. وانتقل بسرعة هائلة أثناء ذلك من القانون إلى الفلسفة إلى الشّعر إلى الفن ثم كتابة المسرحيات والقصص ثم العودة إلى الفلسفة والشعر. انجرّ عن ذلك إرهاق كان له تأثير سيّء على صحّته المتأثّرة بمرض السلّ الرئوي وهو ما أجبره أحيانًا على أخذ استراحة. لكنّه كان يعود دائما إلى عاداته في العمل المفرط وقراءة كل شيء من أقدم إلى أحدث أعمال العلماء والفلاسفة. كان منكبّا على الفلسفة، يحاول دائما إيجاد معنى عالمي ويبحث دائما عن المطلق في المبادئ والتعاريف والمفاهيم.

خلال سنته الثانية في الجامعة انضمّ إلى مجموعة من طلاب ومعلمي الفلسفة يدعون "الهيغليين الشباب"، والذين كانوا من أتباع الفيلسوف الألماني الشهير فريدريك هيغل، الذي كان يدرّس في جامعة برلين وتوفّي في عام 1830. وقد حاولوا تقديم تفسير راديكالي لفلسفته، وكان يطلق عليهم أحيانًا "الهيغليون اليساريون".

كان برونو باور القائد الفكري للمجموعة، وهو أستاذ وأحد أصدقاء ماركس، وقد كان أحد أشدّ الملحدين الذين يهاجمون تعاليم الكنيسة باستمرار. وقد جعلت مثل هذه الهجمات إلى جانب الآراء السياسية الراديكالية الهيغليين الشباب هدفا للسلطات البروسية. لذلك، لم يتمكن ماركس بعد الانتهاء من أطروحته في الفلسفة من الحصول على شهادته من جامعة برلين، التي كان يسيطر عليها الرجعيون المعيّنون من قبل الحكومة البروسية. فقدّمها وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة يينا الليبرالية التي كانت خارج السيطرة البروسية في أفريل 1841.

بعد الحصول على شهادته كان يأمل في أن يصبح محاضرا في جامعة بون التي انتقل اليها برونو باور في عام 1839، لكن باور نفسه كان في ورطة بسبب الاضطرابات الطلابية التي سببتها محاضراته المناهضة للدين. وأخيراً أمر الملك بنفسه بإزالة باور من جامعة بون وهذا كان يعني نهاية مهنة التدريس لباور وكذلك قطع أيّ أمل في وظيفة التدريس لماركس الذي بدأ في التركيز على الصحافة، والتي كان قد بدأها على الفور بعد ترك الجامعة. وقد ساعده ذلك أيضًا على المشاركة بشكل أكبر في المعارضة الديمقراطية الراديكالية المتنامية بسرعة آنذاك التي توسعت لتشمل مقاطعة راينلاند ثم مقاطعة ويستفاليا المجاورة.

مثّلت هذه المقاطعات التي سبق أن شهدت التأثير التحرري للإصلاحات الفرنسية المناهضة للإقطاع مراكز معارضة رئيسية للملك البروسي. كما أدّى التصنيع إلى نمو البرجوازية، لا سيّما في كولونيا، أغنى مدينة في ولاية راينلاند، ممّا

وفّر دعمًا قويًا لحركة المعارضة الراديكالية هذه من قبل الصناعيين الذين سئموا تحكم الاقطاعين فيهم.

بدأ ماركس الكتابة الصحفية، وأصبح في أكتوبر 1842، رئيس تحرير صحيفة "الصّحيفة الرينانية" (Die Rheinische Zeitung) نسبة الى مقاطعة الرّاين، وهي صحيفة يومية يدعمها صناعيون. سرعان ما أصبحت الصحيفة على يديه مقاتلة من أجل الحقوق الديمقراطية الراديكالية، لكن هذا جعل ماركس في صراع مستمر مع الرقابة البروسية التي كانت قمعية للغاية. وأخيراً، عندما نشرت الصحيفة نقدًا لاستبداد القيصر الروسي، مارس القيصر نفسه ضغوطًا على الملك البروسي لحظر الصحيفة، فكان لا بدّ من إغلاقها في مارس 1843. ثم بدأ ماركس الاستعداد لإصدار مجلة جديدة بعنوان "الحوليات الألمانية الفرنسية" (The German-French Yearbooks).

خلال الفترة الممتدة من 1841 إلى 1843، انخرط ماركس بعمق في الحياة السياسية العاصفة، ومع ذلك كان لايزال ديمقراطيًا راديكاليًا ولم يكن يحمل وجهات نظر شيوعية بعد. على مستوى الفلسفة كان تحوله الرئيسي خلال هذه الفترة في عام 1841 بعد قراءة كتاب "جوهر المسيحية" لـلودفيغ فيورباخ الذي قدم نقدًا للدّين من وجهة نظر مادية، وقد لعب هذا الكتاب دوراً كبيراً في تحويل أفكار ماركس من مثالية مجموعة الهيغليين الشبان إلى المادية. عمل فلسفي آخر أثّـر على ماركس هو "الحكم الأوروبي الثلاثي" الذي صدر عام 1841 وقد كان محاولة من صديقه، موسى هيس، لتطوير فلسفة شيوعية من خلال الجمع بين الاشتراكية الفرنسية وأفكار اليسار الهيغلي.

لكن في ذلك الوقت لم يكن لدى ماركس سوى معرفة محدودة بأفكار الاشتراكيين والشيوعيين، كان أوّل اتصال له بها في عام 1842 عندما قرأ باهتمام أعمال العديد من المنظرين الفرنسيين الاشتراكيين البارزين. ومع ذلك لم تحوّله

هذه القراءات إلى الشيوعية أو الاشتراكية. جاء هذا التّغيير أكثر من خلال اتصاله بجماعات الطبقة العاملة الشيوعية ودراسة الاقتصاد السياسي، وقد حدث ذلك بشكل رئيسي بعد الانتقال إلى باريس في نهاية عام 1843.

بعد سبع سنوات من خطبتهما، تزوّج ماركس وجيني في جوان 1843. وكانا يقضيان شهر عسل قصير في سويسرا، حينما أتمّ ماركس كتيّبا قدّم فيه انتقاداته الأولية لهيجل. وبعد شهر العسل بدأ الدّراسة والتحضير للانتقال إلى باريس حيث تم إخراج الحوليات الألمانية الفرنسية. وقد تمّ التخطيط لهذا الانتقال إلى باريس من أجل تجنّب الرقابة البروسية، ومع ذلك، على الرغم من أن المجلة كانت مخططا لها ان تصدر كلّ شهر، إلاّ أنها حظرت بعد ظهور عددها الأوّل في فيفري 1844.

مع ذلك، تميّزت فترة ماركس في باريس بتجارب جديدة ومهمّة للغاية. كان من الأهمية بمكان الاتصال المباشر مع مختلف المجموعات الاشتراكية والشيوعية التي كانت باريس مركزا لها، إلى جانب لقاء عدد كبير من المنظّرين والثّوريين، استفاد ماركس بشكل كبير من التواصل المنتظم مع العديد من ثوريّي الطبقة العاملة. في الوقت نفسه، بدأ ماركس دراسة الاقتصاد السياسي فقام بقراءة معظم أعمال كبار الاقتصاديين الإنجليز. كان لتلك العلاقات الثورية والدراسات تأثير عميق عليه وقد انعكس ذلك في كتاباته.

كان العدد الوحيد لمجلة الحوليات ذا أهمية كبيرة لأنّه احتوى على أوّل صياغات ماركس للفهم المادي الماركسي للتاريخ وقد ورد في مقال ينتقد فلسفة هيغل. وفي هذا المقال وضع ماركس الصيغة الهامّة فيما يتعلق بالدور التاريخي للبروليتاريا وهنا أيضا وضع الاقتباس الشهير أن الدّين هو أفيون الشّعوب. كما تضمن نفس العدد مقالة كتبها إنجلز حول الاقتصاد السياسي، والتي أعطت أيضا فهما مادّيّا في ما يتعلّق بتطور الرأسمالية الحديثة.

لقد كان اهتمام ماركس بكتابات إنجلز هو الذي أدّى إلى اجتماعهما في باريس بين 28 أوت و6 سبتمبر 1844. وقد اتّضح أن هذا الاجتماع التاريخي ساعد المفّكريْـن العظيميْن على توضيح أفكارهما ووضع الأسس الأولى للماركسية. وعلى الرّغم من أنّهما قد توصّلا إلى استنتاجات مشابهة في وقت سابق، فقد ساعدهما هذا الاجتماع على التوصّل إلى اتّفاق نظري كامل والتوصّل إلى فهم أوضح للتصوّر المادّي للتاريخ، الذي أصبح في ما بعد حجر الزاوية في النظرية الماركسية.

ولد فريدريك إنجلز في الثامن والعشرين من نوفمبر عام 1820 في بلدة بارمين للنسيج في مقاطعة الراين في بروسيا. كان والده مالكا ثريّا لمصنع قطن وكان مسيحياَ بروتستانتينيّا متشددا وذا نظرة سياسية رجعيّة.

كانت بارمين، مثل ترير، تنتمي إلى جزء بروسيا الذي شهد عشرين سنة من الاحتلال الفرنسي، وبالتالي كان لهذا الاحتلال أيضا تأثيرات تقدّمية عليها. ومن أهمّ خصائصها أيضا أنها كانت واحدة من أكبر المراكز الصناعية في الرّاين. وهكذا رأى إنجلز منذ سن مبكرة الفقر الشديد واستغلال الطبقة العاملة واضطرار الحرفيّين للعمل من الصّباح حتى اللّيل للبقاء على قيد الحياة في ظل منافسة المصانع إضافة إلى كون عمالة الأطفال والأمراض الرئوية كانت متفشّية، ولم يكن للفقراء حلّ سوى أن يحاولوا إغراق أحزانهم في الخمر .

التحق إنجلز بمدرسة مدينة بارمين حتى سنّ الرابعة عشرة، ثمّ تمّ إرساله إلى المدرسة الثانوية في بلدة إلبيرفيلد المجاورة (تمّ دمج كل من بارمين وإلبرفيلد في مدينة واحدة في الوقت الحاضر). هذه المدرسة الثانوية كانت تتمتّع بسمعة كونها واحدة من الأفضل في بروسيا. كان إنجلز طالباً ذكيّاً ذا ميل مبكر لتعلّم اللغات، كان أيضا جزءَ من دائرة طلابية شعرية فكتب الشعر والقصص القصيرة. كان يخطّط لدراسة الاقتصاد والقانون، ولكنّ والده كان أكثر اهتماما في جعل ابنه البكر يتولّى الأعمال العائلية، لذلك أُخرج، في سنّ السابعة عشرة، من المدرسة ووضع كمتدرّب في مكتب والده.

على الرغم من أن هذه كانت نهاية التعليم الرسمي لإنجلز، فقد استمرّ في استخدام وقت فراغه في دراسة التاريخ والفلسفة والأدب واللغويات وكتابة الشعر. وفي العام التالي، في جويلية 1838، تمّ إرسال إنجلز للعمل كموظّف في شركة تجارية كبيرة في مدينة بريمن الساحلية الكبيرة. مكّن جو المدينة الكبيرة إنجلز من الاطّلاع على الأدب الأجنبي والصحافة. فبدأ في قراءة الروايات والكتب السياسية في أوقات فراغه، كما استمرّ في تعلّم لغات جديدة، فإلى جانب الألمانية حصل على بعض المعرفة باللغة اللاتينية واليونانية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والفرنسية والإنجليزية والهولندية وغيرها. استمرّت هذه القدرة على تعلّم اللغات طوال حياة إنجلز التي تعلّم خلالها الحديث بطلاقة بأكثر من 20 لغة بما في ذلك الفارسية والعربية، كما أصبح إنجلز في بريمن سبّاحا ومبارزا ومتزلّجا وفارسا بارعا.

انجذب إنجلز إلى الأفكار الديمقراطية الراديكالية للثورة الديمقراطية البرجوازية التي بدأت تتشكل في ألمانيا. كانت المجموعة الأولى التي انجذب إليها "المجموعة الأدبية الشابة في ألمانيا" التي كانت تؤيد وجهات النظر السياسية الراديكالية وسرعان ما بدأ الكتابة للمجلة التي أصدرتها المجموعة من مدينة هامبورغ، غير البعيدة عن بريمن. وكتب مقالتين عن الوضع في مسقط رأسه، وكشف عن الاستغلال الشديد للعمال في بارمين وإلبيرفيلد والأمراض التي يعانون منها، وحقيقة أن نصف أطفال المدينة حرموا من المدرسة وأجبروا على العمل في المصانع. هاجم إنجلز بشكل خاصّ التديّن الأجوف للصّناعيين الاستغلاليين (بمن فيهم والده).

وبحلول نهاية عام 1839، بدأ دراسته لهيغل، الذي حاول ربط فلسفته مع معتقداته الديمقراطية الراديكالية، إلّا أنه لم يتمكّن من التقدم في هذا الأمر إلّا بعد إنهاء تدريبه في بريمن في عام 1841، وبعدها بعدّة أشهر، انتقل إلى برلين لخدمته العسكرية الإجبارية لمدة عام واحد.

أثناء عمله في الخدمة العسكرية التحق بجامعة برلين كطالب خارجي وأخذ دورة في الفلسفة، أصبح بعد ذلك مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بمجموعة "الهيغليين الشباب" التي كان ماركس جزءَ منها، وقد تأثّر مثل ماركس تماما بشكل كبير، بالآراء المادية في كتاب فيورباخ الذي صدر في ذلك العام.

بدأت كتابات إنجلز بعد ذلك في اكتساب بعض الأبعاد المادية، وقد كان يشدّد فيها دائما على العمل السياسي، هذا ما جعله ينشقّ عن مجموعته السابقة (المجموعة الأدبية الشابة في ألمانيا) في عام 1842، التي شعر بأنّها مقتصرة على النقاش الأدبي الفارغ، ومع ذلك استمر في الارتباط بقوة بالشباب الهيغليين، وخاصة برونو باور وشقيقه.

كان هذا التقارب بين إنجلز وبين باور هو الذي أخَر الصداقة مع ماركس، ففي ذلك الوقت، بدأ ماركس ينتقد الشباب الهيغليين، ولا سيما الباوريين منهم، لتركيزهم دعايتهم على الدين أكثر من السياسة، من هنا لم يتمكن ماركس وإنجلز، اللذان كان لديهما انتماءات سياسية مختلفة، من التقارب. كان لقاؤهما الأوّل في نوفمبر 1842. حينها كان إنجلز قد أنهى خدمته العسكرية ومتّجها من مسقط رأسه الى مانشستر في إنجلترا للعمل كموظف في أعمال والده هناك. وفي طريقه زار ماركس في مكتب الصحيفة في كولونيا حيث كان ماركس رئيس التحرير. كانت تجارب إنجلز في إنجلترا هي التي جعلته شيوعياً، فقد نسج علاقات وثيقة جدّا مع عمال مانشستر، فضلا عن قادة الحركة الثورية العمالية ومنهم شارتر.

كان إنجلز يرى أنّ المضطهَدين لا يعانون فقط وإنّما عليهم أن يكافحوا أيضا، لذلك لا جدوى، بالنسبة إليه، من حديث يفصل المعاناة عن الكفاح، فتلك البكائية التي كثيرا ما يجري اجترارها لا تنفع فهي مجرّد ترويح على النفس وتبرئة ذمة من قبل عجزة. كانت مانشستر المركز الرئيسي لصناعة المنسوجات الحديثة في العالم ممّا مكّن إنجلز من الدراسة المعمّقة لظروف العمل والمعيشة للعمال

هناك. فكان يزور مناطق الطبقة العاملة بانتظام للحصول على المعرفة المباشرة. اثناء هذه العملية نشأ حب بينه وبين ماري بيرنز، عاملة مصنع إيرلندية شابّة، والتي أصبحت فيما بعد رفيقته وزوجته. وإلى جانب جمع مواد لكتابه المستقبلي عن ظروف الطبقة العاملة في إنجلترا، توصّل إنجلز إلى فهم الإمكانيات الثورية للبروليتاريا. لقد أقنعته مشاركته المنتظمة في الحركة بأن الطبقة العاملة ليست مجرد طبقة معاناة، بل طبقة مكافحة من شأنها أن تبني المستقبل بأعمالها الثورية.

بالإضافة إلى الاتصال بالطبقة العاملة، قام إنجلز أيضًا بدراسة عميقة للنظريات الاشتراكية والشيوعية المختلفة، بل واجتمع أيضًا بالعديد من القادة والكتاب الفرنسيين والألمان الذين صاغوا هذه النظريات. وعلى الرغم من أنه لم يتبنّ أيًا من هذه النظريات، فقد قام بتحليل نقاطها الإيجابية والسّلبية. وبدأ في نفس الوقت دراسة عميقة للاقتصاد السياسي البرجوازي من أجل مساعدته على تحليل العلاقات الاقتصادية للمجتمع، والتي كان قد بدأ يشعر بأنها أساس كل التغيير الاجتماعي. ووضع النتائج الأولية لدراسته في مقالته التي نشرها ماركس في جريدته التي صدرت من باريس، كما سبق أن ذكرنا. وأدّت هذه المراسلات بين ماركس وإنجلز إلى اجتماعهما التاريخي في عام 1844.

عرَج إنجلز في طريق عودته من مانشستر إلى مسقط رأسه بارمين، على ماركس الذي كان يقيم آنذاك في باريس، فساعدت مناقشاتهم ماركس على تحسين صياغة الفهم المادي للتاريخ الذي كانا قد بدآ يؤمنان به، كما أنّهما، شرعا في هذا الاجتماع، في العمل على تأليف أوّل كتاب مشترك لهما، والذي كان هجومًا على برونو باور ومجموعة الهيغليين الشباب، الذين انتميا إليهم في وقت سابق. قضّى إنجلز الأشهر الثمانية التالية في القيام بالدعاية الشيوعية المكثفة والعمل التنظيمي في ألمانيا، خلال هذه الفترة كان في ثورة مستمرة ضد والده الذي عارض

عمله الشيوعي وحاول إقناعه بالعمل في مصنعه. ولكنه بعد أسبوعين فقط في مكتب والده ترك بارمين للانضمام إلى ماركس. أصبح ماركس في ذلك الوقت مرة أخرى هدفا للسلطات الإقطاعية حتى في باريس، فقد مارس الملك البروسي الضغط على الملك الفرنسي، مما اضطره إلى الانتقال إلى بروكسل في بلجيكا مع زوجته وطفله البالغ من العمر ثمانية أشهر. والى هناك قدم إنجلز وأقام في منزل بجوار منزل ماركس، وبدآ العمل المشترك المكثف، كما قال إنجلز، لتطوير النظرة الجديدة في جميع الاتجاهات الممكنة. وكانت النتيجة هي الكتاب التاريخي "الإيديولوجيا الألمانية"، الذي لم ينشر إلّا بعد مائة عام، والذي كان سببه الرئيسي أن يقوم المفكّران العظيمان بالتوضيح الذاتي فيما يتعلق بفهمهما القديم ووضع أركان النظرة العالمية الجديدة، والتي أصبحت فيما بعد تعرف بالماركسية.

من الواضح من الرواية السابقة للحياة المبكرة لماركس وإنجلز، أنّهما كانا رجلين استثنائيين. ومع ذلك فإنّ الماركسية لم تكن بعض الأفكار التي انبجست فجأةً من هذين العقلين الفذّين. فقد وفّرت التغييرات الاجتماعية والاقتصادية في ذلك الوقت الأساس لظهور الإيديولوجيا الحقيقية للبروليتاريا. كان المحتوى الفعلي وشكل تلك الإيديولوجية نتاج الصراعات التي تمّ خوضها في أهم ميادين الفكر، وكان لدى ماركس وإنجلز كمثقفين من الصنف الأوّل إدراك واسع وعميق لأهمّ وآخر الإنجازات الفكرية لتلك الفترة. وهكذا، أمكنهما الوقوف على أكتاف المفكرين العظام الذين سبقوهما، مستوعبين كل ما هو جيّد، ناقدين ما هو خاطئ فيها، ممّا مثّل المصادر الرئيسية والأساس الأوّل الذي شُيّدت عليه الماركسية.

1- كان المصدر الأول للفكر الماركسي هو **الفلسفة الكلاسيكية الألمانية** .

يجب أن يكون لأي إيديولوجيا أساسها الفلسفي وقد كان كل من ماركس وإنجلز على بيّنة من الفلسفة الكلاسيكية الألمانية.

كانت الفلسفة الألمانية، خلال الفترة من 1760 إلى 1830، قد نمت لتصبح المدرسة الأكثر تأثيراً في الفلسفة الأوروبية، كان لها قاعدتها في الطبقات المتوسطة الألمانية التي كانت متقدمة جدا فكريّا ولكنها لم تطوّر القوة السياسية اللازمة للقيام بالثورة، أو الموارد الاقتصادية الكافية لإحداث ثورة صناعية، وربّما كان هذا ما دفعهما نحو التركيز على أنظمة الفكر. ومع ذلك، فإنّ هذه الطبقة، التي تتكون في معظمها من موظفي الخدمة المدنية، لديها العديد من الجوانب المتناقضة. فهي في بعض الأحيان تميل إلى البرجوازية الصناعية من جهة وأحيانا أخرى إلى البروليتاريا الصناعية من جهة ثانية، وفي بعض الأحيان إلى الطبقات الإقطاعية من جهة ثالثة. وقد انعكس هذا في الفلسفة الألمانية التي كان لها

جانب تقدّمي وجانب آخر رجعي. وقد ظهر ذلك بشكل خاص في فلسفة هيغل التي استند إليها ماركس وإنجلز بشكل كبير، ولذلك رفضا جميع الجوانب الرّجعيّة التي أيّدت المجتمع الإقطاعي القائم، وطوّرا الأجزاء التقدمية والثورية، لوضع أسس الفلسفة الماركسية.

2- **الاقتصاد السياسي الإنجليزي** كان المصدر الثاني للماركسية.

كانت إنجلترا مركزًا للثورة الصناعية، لذلك كان من الطّبيعي أن تصل دراسة الاقتصاد وقوانينه إلى ذروتها في هذا البلد. لقد كان مجالاً جديداً للدراسة، بدأ أساساً بنمو الرأسمالية الحديثة، فقد مثّل قاعدة ثابتة للبرجوازية الصناعية الحديثة وقام بتبرير وتمجيد الرأسمالية. وقدّم الحجج الفكرية للبرجوازية الصاعدة في صراعها مع الإقطاعيين.

وقد بدأ في إنكلترا بنشر الكتاب الشهير "ثروة الأمم" لآدم سميث في عام 1776. لقد جادل في الأساس بأنه إذا أعطيت الرأسمالية الحرية الكاملة للنمو، فإن ذلك سيؤدي إلى ازدهار البشرية، وهكذا قدم الحجة للحد من الكوابح التي كان الإقطاعيون يفرضونها على الطبقة الرأسمالية.

كان ديفيد ريكاردو اقتصادياً كلاسيكيَا مشهوراً، وهو آخر من لعبوا دوراً حاسمًا في معارك البرجوازية مع ملاّك الأراضي. فأشار إلى أنه مع تقدم الرأسمالية سينخفض متوسط معدل ربح الرأسماليين، وكان اكتشافه الهام للغاية هو تطوير نظرية قيمة العمل، والتي أظهرت أن كل القيمة الاقتصادية تنشأ عن طريق العمل، وقد استخدمها الاقتصاديون اللاحقون لتحليل أسباب الأزمات الاقتصادية في ظل الرأسمالية.

خدم الاقتصاد السياسي الانكليزي مصالح البرجوازية الصناعية بالأساس، لذلك لعب دورا ثوريا ضد الطبقات الإقطاعية. ومع ذلك، فإن الاقتصاديين في معظم الأحيان لم يتقدموا بتحليلاتهم إلى أبعد من النقطة التي تؤثر فيها على مصالح الطبقة البرجوازية، وهكذا، وعلى سبيل المثال، فإن ريكاردو، على الرغم من أنه طور نظرية قيمة العمل، لم يعرض لاستغلال الطبقة الرأسمالية للعمّال.

لقد قام ماركس بذلك، مطوّرا عمل علماء الاقتصاد الإنجليز إلى ما وراء حدود الطبقة الرأسمالية، واستخلص الاستنتاجات الثورية الضرورية منها. وهكذا وضع مبادئ الاقتصاد السياسي الماركسي.

3- المصدر الثالث للماركسية هو **النظريات الاشتراكية المختلفة**، والتي نشأت أساسا في فرنسا.

حملت هذه النظريات آمال وأهداف طبقة البروليتاريا الناشئة حديثًا، فقد كانت انعكاساً واحتجاجاً على الاستغلال الرأسمالي والقمع الذي تتعرض له الطبقة العاملة. كانت فرنسا في ذلك الوقت هي المركز الرئيسي للجماعات الثورية والنظريات الثورية التي ألهمت أوروبا بأسرها. لذلك كان من الطبيعي أن تكون النظريات الاشتراكية أيضا من فرنسا. وكان لمعظم هذه النظريات عيوبا كبيرة، لأنها لم تكن مبنية على تحليل علمي سليم للمجتمع. ومع ذلك، فقد مثّلت قطيعة مع المصلحة الذاتية والمنافسة وفردية الثورة البرجوازية. كما أشارت إلى الطريق الذي يجب أن تسلكه البروليتاريا في المجتمع الرأسمالي.

قام ماركس بدراسة هذه النظريات الاشتراكية والشيوعية قبل صياغة المبادئ الماركسية للاشتراكية العلمية. فقد قضّى وقتا طويلا أثناء وجوده في باريس، مع قادة وأعضاء الجماعات الثورية والاشتراكية الفرنسية العديدة، ثمّ أخذ أهم أفكارهم وأعطاها الأساس العلمي المتمثل في نظرية الصّراع الطبقي. وهكذا قام بتطوير مبادئ الاشتراكية العلمية الماركسية.

هذه هي قصة الكيفية التي خرجت بها الماركسية من ثلاثة مصادر عظيمة للفكر في أكثر بلدان العالم تقدّما: المصادر الثلاثة للماركسية - الفلسفة الألمانية، الاقتصاد السياسي الإنجليزي والنظريات الاشتراكية الفرنسية - تتوافق مع الأجزاء الثلاثة الرئيسية المكونة للإيديولوجيا الجديدة - الفلسفة الماركسية: المادية الديالكتيكية والاقتصاد السياسي الماركسي والنظرية الماركسيّة للاشتراكية العلمية. في الصفحات التالية سنحاول فهم جوهر كل جزء من هذه الأجزاء.

الفصل 5 المبادئ الأساسية للفلسفة الماركسية

الماديّـــــــة الجدليّـــة و الماديّـــة التّـــــاريخيّة

كما رأينا مراراً وتكراراً، أصرّ ماركس وإنجلز دوماً على أن تكون كل الفلسفة عمليّة ومرتبطة بالعالم الحقيقي. وتم التعبير عن هذا الموقف بأكثر الطرق وضوحاً من قبل ماركس في مقولته الشهيرة: "لقد كان الفلاسفة دائماً يفسرون العالم بطرق مختلفة. لكن المطلوب هو تغييره". وبهذا، كان يعني أنه لم يكن يريد أن يصبح فيلسوفًا كالفلاسفة الذين يجلسون على قمة الجبال ليتأمّلوا في أمور خارقة للطبيعة، لأنّه لم ير فائدة في تفكير وتأمل ما لم يكن مرتبطًا بالعالم العملي. كان بحثه الأساسي محاولة لفهم كيفية تغيير العالم وبالتالي المشاركة في الممارسة الفعلية وتغيير الواقع والمجتمع. لذلك كان مهتمًا بفلسفة يتم تطبيقها في الممارسة الاجتماعية.

من أجل القيام بذلك كان على ماركس اتّخاذ موقف في ما يتعلق بالانقسام الأساسي في كل الفلسفة - الانقسام بين المثالية والمادية، والذي يتعلق بسؤال أساسي: من الأسبق الفكر أو الواقع المادي؟ أولئك الذين تكون إجابتهم الفكر، ينتمون إلى معسكر المثالية، في حين أن أولئك الذين يتخذون موقف أن الواقع المادي هو الأسبق ينتمون إلى معسكر المادية. المثالية مرتبطة دائماً بطريقة أو بأخرى بالدين، وبما أن ماركس وإنجلز من رجال الممارسة، الذين عارضوا تماما المعتقدات الدينية، كان من الطبيعي أن يقوم ماركس وإنجلز بتأسيس الفلسفة الماركسية في معسكر المادية.

وقد تأثّرا بالتأكيد بكتابات فيورباخ والفلاسفة الماديين الآخرين في ذلك الوقت، لكن هؤلاء الفلاسفة كانوا من الماديين الميكانيكيين الذين فهموا الطبيعة والمجتمع كآلة تدور وتدور بدون أي تطور أو تغيير حقيقي. رفض ماركس المادية

الميكانيكية لأنها لم تقدّم أي فهم للتغيير والتطور التاريخي. لهذا اضطرّا إلى اللجوء إلى الديالكتيك، وهو علم القوانين العامة للحركة.

إن جوهر الديالكتيك هو أنه يفهم الأشياء من خلال صلاتها وتناقضاتها. استطاع الديالكتيك تقديم علم التطور الذي علم ماركس بأنّه ضروري لتغيير العالم.

في ذلك الوقت كانت فلسفة هيغل وقوانين الديالكتيك (التي درسها ماركس بعمق) هي الأكثر تطوّراً في أوروبا، لكن هيجل طوّر قوانينه الفلسفية بطريقة مثالية من خلال جعلها قابلة للتطبيق فقط في مجال التفكير. فقد كان ينتمي إلى معسكر المثالية ورفض الاعتراف بأن الطبيعة والكيان الاجتماعي المادي هما الأساسيان، والذهن والأفكار ثانوية. وهكذا لم يقبل أن نظام الفكر نفسه كان نتاجًا لتطور المجتمع البشري حتى مرحلة محدّدة، ورفض أن يفهم أن قوانينه الفكرية هي في حد ذاتها انعكاسات لقوانين الطبيعة والمجتمع. وهكذا، كما قال ماركس، فإن جدلية هيغل، بكونها مثالية، كانت تقف على رأسها - وهو يعني هنا الجانب الصوفي الذي يغطيها، لذلك قام بوضعها على قدميها - وهذا يعني أنه جعلها عقلانية - من خلال وضعها على أساس مادي. أي أنّه أخذ قوانين ديالكتيك هيجل وأعطاها مقاربات الفلسفة المادية. ومن ثم، فقد وضع قوانين فكر هيغل في قوانين الطبيعة والمجتمع أيضًا، وصاغ المادية الجدلية، التي هي جوهر الفلسفة الماركسية.

من خلال إعطاء الديالكتيك أساسا مادّيا وموضوعيا، قام ماركس وإنجلز بتغييره إلى فلسفة ثورية وطبّقا المادية الجدلية لدراسة المجتمع والتاريخ، وبالتالي اكتشفا المفهوم المادي للتاريخ. كان المفهوم المادي للتاريخ طريقة جديدة وثورية لفهم المجتمع والتغيير الاجتماعي. لقد أوضحا ان أساس التغييرات الاجتماعية والثورات السياسية ليس مجرد اختراعات بعض الرّجال

اللامعين وأنّ التاريخ لا يصنعه الأفراد، ولكنه يكون نتاجا للصيرورة الاجتماعية. لقد بيّنا لجميع الثوريين أن الطريق إلى التغيير الاجتماعي يكمن في فهم المجتمع، ومن ثم صياغة الأفكار اللازمة لإحداث التغيير.

نقطة البداية في المفهوم المادي للتاريخ هي فهم مستوى تطور القوى الإنتاجية المادية أي الأدوات والآلات والمهارات، إلخ... يقول ماركس إنّ علاقات الإنتاج تتحدّد وفقا لدرجة تطور قوى الإنتاج. على سبيل المثال، فإن قوى الإنتاج المتخلفة مثل المحراث الخشبي، والرياح، والحيوانات تعطي علاقات إنتاج إقطاعية، في حين ان القوى الإنتاجية الحديثة (مثل الجرّارات والحاصدات وما إلى ذلك..) تؤدي إلى علاقات إنتاجية رأسمالية. تشكل علاقات الإنتاج هذه البنية الاقتصادية للمجتمع، أو القاعدة الاقتصادية للمجتمع.

على رأس القاعدة الاقتصادية للمجتمع، تنشأ بنية فوقية من القوانين والسياسات مع أشكال محددة من الوعي الاجتماعي. علاوة على ذلك، يقول ماركس إن طريقة الإنتاج (التي تتكون من قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج) هي التي تفسر الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية بشكل عام. فعلى سبيل المثال، يؤدي الأسلوب الإقطاعي للإنتاج إلى اضطهاد شديد للغاية ضد المرأة والطوائف الدنيا وإلى نظام سياسي غير ديمقراطي؛ من جهة أخرى، يقلل الأسلوب الرأسمالي للإنتاج من الاضطهاد الاجتماعي ويجلب بعض الحقوق الديمقراطية البرجوازية.

في مرحلة معينة من تطور قوى الإنتاج ينشأ تعارض بينها وبين علاقات الإنتاج القائمة، حيث تبدأ علاقات الإنتاج الموجودة بمنع تطور قوى الإنتاج التي لن تتمكن من التغير ما لم تتغير علاقات الإنتاج. هذه الفترة التي تصبح فيها علاقات الإنتاج عائقا أمام تنمية قوى الإنتاج تكون بداية عصر الثورة الاجتماعية التي تغدو أمرا لازما لتبديل علاقات الإنتاج، أي العلاقة بين الطبقات المختلفة في المجتمع. وبمجرد حدوث ذلك وتكسير علاقات الإنتاج أو علاقات الملكية، أي

تغيير القاعدة الاقتصادية، ثم يتلو ذلك بسرعة، التغيير على مستوى البنية الفوقية بأكملها.

كان هذا المفهوم المادي للتاريخ أول اكتشاف كبير لماركس، والذي أنجزه في 1844-1845. كونه الأساس الذي بنيت عليه الأعمدة العظيمة الأخرى للنظرية الماركسية.

في السّنوات اللاّحقة طوّر ماركس وإنجلز والمعلمون الماركسيون الآخرون الفلسفة الماركسية، لكنّ جوهرها بقي المبادئ الأساسية للمادية الجدلية والتاريخية المذكورة أعلاه.

الفصل 6 النّضال ضدّ الاشتراكية الطوباوية وتأسيس الاشتراكية العلمية

الاشتراكية الطوباوية هي المصطلح المستخدم لوصف الاتّجاهات الرئيسية للاشتراكية ما قبل الماركسية، التي نشأت وبرزت خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. مصطلح "الطوباوية" (المستمدة من فكرة اليوتوبيا، التي من المفترض أن تكون البلد الذي يكون فيه كل شيء مثاليَا). أمّا مصطلح "الاشتراكية" فأصبح شائعا منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وكان يستخدم لوصف مجموعة من المفكّرين الذين طوّروا نظريات لتحويل المجتمع إلى كيان أكثر عدالة عن طريق إزالة الفردية والأنانية والتنافسية من الثقافة البشرية. وحاول العديد من هؤلاء المفكرين أو أتباعهم إقامة نظرياتهم من خلال تأسيس جماعات مثالية حيث يعيش ويعمل فيها جميع الأعضاء ويتبادلون نتاج عملهم على أساس تعاوني. واعتقدوا أن مثل هذه المجتمعات المثالية ستوفّر النموذج الذي سيتبعه بقية المجتمع. وبالتالي لم يعتمدوا على العمليات الفعلية في المجتمع لبناء مخططاتهم للاشتراكية، بل اعتقدوا أن عقلانية خططهم وأفكارهم، كافية لإقناع الناس وتغيير المجتمع.

كانت الاشتراكية الطوباوية في المقام الأول بمثابة ردّ فعل على الاضطهاد واستغلال الطبقة العاملة في ظل الرأسمالية، فقد ناضل الشعب الكادح بقوة من أجل الإطاحة بالنظام الإقطاعي. إلاّ أنّ الشعارات البرجوازية كالحريّة والمساواة والأخوة لم تكن تعني إلا حريّة الطبقة الرأسمالية والاستغلال المكثف للعمال، لذلك نشأت العقائد الاشتراكية المختلفة كنتيجة للتناقضات الطبقية الناشئة بين الرأسماليين والعمال وكاحتجاج ضد الاستغلال وحاولت بناء نظام من شأنه أن يوفّـر العدالة للكادحين.

كانت الفوضى في الإنتاج الرأسمالي سبباً آخر للنظريات الاشتراكية الجديدة. حاول الاشتراكيون الطوباويون بناء أنظمة عقلانية توفر احتياجات البشرية بطريقة منظمة ومتناغمة، بل إنّ بعضهم حاول إقناع الرأسماليين والمسؤولين الحكوميين بأن أنظمتهم الاشتراكية أكثر عقلانية وتخطيطًا، وبالتالي ستكون أفضل من النظام الرأسمالي القائم حتّى أنّهم حاولوا الحصول على أموال من الأغنياء لمشاريعهم.

كان العيب الرئيسي للمذاهب الاشتراكية ما قبل الماركسية هو أنّه لم يكن لديها تشخيص سليم للتناقضات والصّراعات الطبقية الموجودة في المجتمع، على الرغم من أن أفكارها كانت نتاج لتناقضات طبقية داخل المجتمع، إلاّ أنّ الاشتراكيين الطوباويين لم يدركوا أنّه من الضروري بشكل مطلق خوض الصّراع الطبقي من أجل تحقيق الاشتراكية. على الرغم من أن أفكارهم كانت في الواقع انعكاسا لتطلّعات البروليتاريا، إلا أن الاشتراكيين الطوباويين لم يعترفوا بالأهمية المركزية للدور الثوري للبروليتاريا في تحقيق الاشتراكية.

عندما اتصل ماركس وإنجلز بالجماعات الاشتراكية والشيوعية، حاولا إقناع أتباع النظريات الاشتراكية الطوباوية بعدم صحّة أفكارهم. لقد شاركا بشكل مكثف في مناقشات مختلف المجموعات الثورية ومجموعات الطبقة العاملة حيث كانت تناقش هذه النظريات والأفكار. كان هدفهما الرئيسي إعطاء أساس علمي للنظرية الاشتراكية، ولهذا اضطرا إلى فضح العيوب والفهم الخاطئ للاشتراكيين الأوائل ووضع الاشتراكية على أساس الصراع الطبقي كما تبيّن النظرية الماركسية.

كما أشار ماركس نفسه إلى أنه لم يكن من اخترع نظرية الصراع الطبقي، في الواقع، كان الاشتراكيون السابقون وحتى الكتّاب البرجوازيون واعين بها تمامًا وكتبوا عن الطبقية والصراع الطبقي. لكن الاختلاف الجوهري في النظرية

الماركسية للنضال الطبقي هو أنه أظهر كيف سيقود الصراع الطبقي إلى الاشتراكية والشيوعية.

لقد أظهر ماركس في بادئ الأمر أن الطبقات لم تكن شيئًا موجودا منذ الأزل داخل المجتمع البشري، فقد بيّـن أن هناك فترة طويلة في تاريخ البشرية لم توجد فيها الطبقية على الإطلاق (أي خلال المشاعة البدائية)، وسيكون هناك أيضا فترة في المستقبل لن تكون فيها طبقات مرة أخرى. ثانياً، حلل ماركس بشكل خاص الصراع الطبقي الحالي بين البرجوازية والبروليتاريا، وأظهر كيف سيؤدي هذا الصراع الطبقي حتماً إلى ثورة العمال وإقامة دكتاتورية البروليتاريا، أي الاشتراكية. ثالثًا، أشار ماركس إلى أنّ دكتاتورية البروليتاريا نفسها هي فترة انتقال إلى مجتمع جديد، لا يمكن للبروليتاريا أن تتطور إلا بتدمير نفسها كطبقة من خلال إلغاء جميع الطبقات وتأسيس مجتمع لا طبقي، أي المجتمع الشيوعي.

هذه النظرية للنضال الطبقي هي التي طوّرها ماركس وأنجلز، وقاما بنشرها وتطبيقها طوال حياتهما. هذه النظرية الماركسية للصراع الطبقي هي التي حوّلت الاشتراكية إلى علم و أرست أسس الاشتراكية العلمية. ومع هذا لم يعد ينظر إلى الاشتراكية على أنها نتاج لعقل لامع، ولكنها أصبحت النتيجة الضرورية للصراع بين طبقتين متطورتين تاريخيا - البروليتاريا والبرجوازية. وبسبب الاشتراكية العلمية، لم تعد مهمة الاشتراكيين محاولة تطوير نظام المجتمع الأكثر كمالاً وانسجاماً وعقلانية كما حاول أن يفعل الاشتراكيون الطوباويون، بل أصبحت المهمّة هي تحليل المجتمع، وتحليل التاريخ والأسس الاقتصادية للتناقضات الطبقية في المجتمع، والانطلاق من هذا الأساس الاقتصادي لإيجاد طريقة لإنهاء جميع الصراعات الطبقية وتحقيق الاشتراكية والشيوعية.

في أربعينيات القرن التاسع عشر، كان الوضوح العلمي للنظرية الاشتراكية الماركسية كبيراً لدرجة أن معظم العناصر المخلصة، حتى زمن قريب، في مختلف

المنظمات الاشتراكية والشيوعية رفضت الاشتراكيات السابقة غير الماركسية وغير الطبقية، وسرعان ما أصبح ماركس وإنجلز قائدين أيديولوجيين داخل الحركة الاشتراكية.

عندما تشكّلت منظمة أمميّة جديدة في عام 1847 توحّد بين العمّال والمثقّفين والجماعات الاشتراكية الثورية من مختلف البلدان، أصبحا على الفور قائديها واقترحا تسميتها "العُصبة الشيوعية"، ثم كُلّفا بصياغة برنامجها، لم يكن هذا البرنامج سوى الكتاب الشهير "البيان الشيوعي".

لم يكن البيان الشيوعي البرنامج الأوّل والخط العام للبروليتاريا العالمية فحسب، بل وضع المبادئ الأساسية للاشتراكية العلمية والنهج لجميع أنواع الاشتراكية الأخرى. ومع ترجمته السريعة إلى العديد من اللغات، نشر البيان الأفكار الأساسية للاشتراكية الماركسية العلمية في جميع أنحاء أوروبا ثم في جميع أنحاء العالم. المبادئ الأساسية المبيَنة في هذه الوثيقة بقيت في جوهرها ثابتة لأكثر من 150 عامًا، حتى يومنا هذا.

كما سبق أن رأينا، طوّر ماركس مبادئه للاقتصاد السياسي وفي نفس الوقت عارض الاقتصاد السياسي البرجوازي للاقتصاديين الإنجليز. كانت معظم كتابات ماركس الاقتصادية في الفترة الممتدة من 1844 إلى 1859 في شكل نقد للاقتصاد السياسي البرجوازي. وردّ على مزاعم الاقتصاديين البرجوازيين بالقول أنّ الرأسمالية نظام دائم وعالمي، فقام بإثبات أن الرأسمالية لا يمكن أن توجد إلا لفترة محدودة ومن المحتّم إسقاطها واستبدالها بنظام اجتماعي جديد أعلى. وركزّ تحليله الاقتصادي اللاحق، ولا سيما الأجزاء المختلفة من عمله الرئيسي، رأس المال، على اكتشاف القوانين الاقتصادية للرأسمالية. إنّ التحليل المتعمّق لعلاقات الإنتاج في المجتمع الرأسمالي، من حيث أصلها وتطوّرها وانحدارها، يشكّل المحتوى الرئيسي للاقتصاد السياسي لماركس.

جعل الاقتصاديّون السياسيّون البرجوازيون تحليلاتهم دائمًا في شكل علاقة بين الأشياء، أي تبادل سلعة ما بأخرى. لكن ماركس أظهر أن الاقتصاد لا يتعامل مع السلع ولكن مع العلاقات بين الأشخاص، وكنتيجة لذلك، مع العلاقة بين الطبقات.

بما أن إنتاج السلع يهيمن على الرأسمالية، بدأ ماركس تحليله للنظام الرأسمالي بتحليل السلعة، فأشار إلى أنّ تبادل السّلع لم يكن مجرد تبادل للأشياء ولكنه في الواقع هو تعبير عن العلاقة بين المنتجين الأفراد في المجتمع الذين ارتبطوا بالسوق. وعلى الرغم من أن تبادل السلع موجود منذ آلاف السنين، إلا أنه مع تطور المال وولادة الرأسمالية يصل إلى ذروته، حيث ترتبط الحياة الاقتصادية لملايين المنتجين الافراد عبر المجتمع لتصبح كيانا واحدا، بل إن الرأسمالية تقوم بتحويل قوة العمل ومجهود العمال إلى سلعة يتم بيعها وشراؤها بحريّة في السوق.

يبيع العامل المأجور قوّة عمله لمالك وسائل الإنتاج، أي للرأسمالي، ويمضي العامل جزءَ من يوم عمله يحقّق ما يعادل أجره، أي إنتاج ما هو ضروري لتغطية تكاليف الحفاظ على نفسه وعلى عائلته، وينفق الجزء الآخر من يوم عمله لصيانة وتنمية ثروة الرأسمالي. هذه القيمة الإضافية التي ينتجها كل عامل، علاوة على القيمة اللازمة لكسب أجره والحفاظ على نفسه، يسميها ماركس فائض القيمة. وهي تمثّل مصدر الربح ومصدر ثروة الطبقة الرأسمالية.

بيَن اكتشاف مفهوم فائض القيمة طبيعة استغلال الطبقة العاملة، كما أنّه أوضح مصدر العداء بين البروليتاريا والبرجوازية. كان هذا العداء الطبقي هو المظهر الرئيسي للتناقض الأساسي للمجتمع الرأسمالي: التناقض بين الطابع الاجتماعي للإنتاج والطابع الخاص للملكية، وقد أشار إنجلز إلى اكتشاف هذا القانون باعتباره ثاني اكتشاف هام لماركس (إلى جانب اكتشاف المفهوم المادي للتاريخ)، كما وصف لينين مبدأ فائض القيمة بأنه حجر الزاوية في النظرية الاقتصادية لماركس.

كما حلّل ماركس بالتفصيل الأزمات الاقتصادية الدورية التي تصيب الرأسمالية بشكل متكرر، وأوضح أيضا أنّ الأزمات الرأسمالية هي مظهر آخر من مظاهر التناقضات الأساسية للرأسمالية. وهكذا كشف عن زيف الاقتصاديين البرجوازيين الذين سوَقوا في ذلك الوقت بأن الرأسمالية لا تصيبها الأزمات، لأنّ عملية السوق ستحلّ جميع المشاكل، كما حاولوا أن يروجوا أن كل ما ينتجه الرأسمالي سيباع تلقائياً في السوق.

ولكن ماركس كشف أن طبيعة عمل الرأسمالية نفسها ستؤدي حتما إلى أزمة. لقد أظهر كيف أن الرأسماليين في رغبتهم اليائسة في كسب المزيد والمزيد من الأرباح يزيدون الإنتاج بجنون. وفي الوقت نفسه، يحاول كل رأسمالي الحفاظ على معدّل ربح أعلى عن طريق خفض معدّلات أجور عماله وإلقائهم في الفقر. وبما أنّ الطبقة العاملة تشكّل القسم الأكبر في المجتمع، فإنّ فقر الطبقة العاملة يعني تلقائياً تخفيض قدرتها على شراء السلع المتاحة في السوق. فمن ناحية،

تستمر الطبقة الرأسمالية في زيادة إنتاج السلع التي يتم توريدها إلى السوق، بينما من جهة أخرى، تعمل على تقليل المقدرة الشرائية لشريحة كبيرة من المشترين في نفس السوق، وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى تناقض حادّ بين التوسع في الإنتاج من ناحية وتقلّص السوق من ناحية أخرى، والنتيجة هي أزمة فائض الإنتاج حيث يغمر السوق بالسلع غير المباعة ممّا يؤدّي الى إفلاس عدد كبير من الرّأسماليين وطرد مئات آلاف العمّـال من وظائفهم الذين يجبرون على الموت جوعا في حين تمتلئ المحلات بالبضائع التي لا تزال غير مستخدمة لأنه لا يوجد أحد لشرائها.

استنتج ماركس كذلك أنّ فوضى هذه الأزمات الرأسمالية لا يمكن حلّها إلا من خلال حلّ التناقض الأساسي للرأسمالية بين الطابع الاجتماعي للإنتاج والطابع الخاص للملكية، ولا يمكن القيام بذلك إلا عن طريق إسقاط النظام الرأسمالي وإقامة الاشتراكية والشيوعية، وبالتالي إعطاء طابع اجتماعي لملكية وسائل الإنتاج. أظهر ماركس أن القوة الاجتماعية التي من شأنها أن تحدث هذه الثورة قد خلقتها الرأسمالية بنفسها، إنّها طبقة البروليتاريا. البروليتاريا وحدها هي التي ليس لها مصلحة في بقاء النظام الاستغلالي الحالي والملكية الخاصة، وهي وحدها من لديها المصلحة والقدرة على إقامة الاشتراكية.

حلّل ماركس كيف كثّفت كلّ أزمة تناقضات النظام الرأسمالي، ووصف العملية حيث أنّه مع كل أزمة سيتمركز رأس المال في أيدي حفنة أصغر وأصغر من الرأسماليين ويتصاحب هذا مع النمو الهائل في البؤس والسخط لدى كتلة كبيرة من العمال. ومع ازدياد تناقضات الرأسمالية، تزداد قوة التحركات الثورية البروليتارية، وتؤدي في النهاية إلى الثورة، ومصادرة رؤوس الأموال وبناء مجتمع اشتراكي ذي طابع اجتماعي للملكية يتناسب مع الطابع الاجتماعي للإنتاج .

وبهذه الطريقة، يبرز ماركس، بدءا من الوحدة الأساسية في الاقتصاد - أي السلعة - طبيعة القوانين الاقتصادية التي تحكم الرأسمالية. وهكذا يعرض الأساس الاقتصادي العلمي للثورة الاشتراكية والطريق إلى الشيوعية.

انخرط ماركس وإنجلز بعمق في الجماعات الشيوعية الثورية في أربعينيات القرن التّاسع عشر، وهكذا أصبحا قادة للرابطة الشيوعية التي كانت هيئة أممية توحّد الثوار من مختلف البلدان الأوروبية وقاما بصياغة برنامجها - البيان الشيوعي - الذي اكتسب أهمية تاريخية عالمية. لكن في ذلك الوقت -أي في عام 1848 - لم يكن تأثير الماركسية قد وصل بعد إلى جماهير الطبقة العاملة، فقد كان تأثير العصبة الشيوعية محدودًا وكانت تتكون بشكل رئيسي من العمّال والمثقّفين المنفيّين. في الواقع، كانت الماركسية في ذلك الوقت مجرد واحدة من الاتجاهات العديدة للاشتراكية.

كانت ثورة 1848، التي نشرت التمرّد في جميع أنحاء القارة الأوروبية، أوّل حدث تاريخي كبير أصّلت الماركسية فيه نفسها من خلال الممارسة العملية. كان ماركس وإنجلز في بروكسل عندما اندلعت الثورة لأوّل مرة في فرنسا، وقد خافت الحكومة البلجيكية من انتشار الثورة فطردت ماركس من بروكسل وأجبرته على المغادرة إلى باريس حيث لحق به إنجلز على الفور. لكن مع وصول الموجة الثورية إلى ألمانيا، قرّر كلاهما الانتقال مباشرة إلى هناك من أجل المشاركة في الأحداث الثوريّــة.

في ألمانيا حاول ماركس وإنجلز تعزيز عمل الرابطة الشيوعية والجمعيّات العمالية، وأصدرا صحيفة يومية، هي الجريدة الراينانيَة الجديدة (Neue Rheinische Zeitung)، التي كانت بمثابة جهازهما لنشر الخط الثوري. اتخذت الصحيفة خطًا داعما للديمقراطية البرجوازية الراديكالية حيث أنّ الانتهاء من الثورة الديمقراطية البرجوازية كان المهمة الرئيسية في ألمانيا. لكنّ الصحيفة عملت في نفس الوقت كمنظمة للحزب البروليتاري الثوري الناشئ في ألمانيا. وحاول ماركس وإنجلز أيضاً تشكيل حزب عمالي جماهيري عن طريق توحيد

الرابطات العمالية في مختلف مقاطعات ألمانيا. استمرت الصحيفة لمدة عام، ولكن مع انهيار الثورة في ألمانيا وأجزاء أخرى من أوروبا، اضطرت إلى الإغلاق وطرد ماركس من قبل الملك البروسي فعاد إلى باريس، لكنه اضطر إلى المغادرة من هناك أيضاً بسبب قمع السلطات الفرنسية بينما استمر إنجلز في ألمانيا في القتال كجندي في الجيوش الثورية حتى النهاية ولكنه غادر بعد الهزيمة العسكرية، وبحلول نهاية عام 1849، انضم إلى ماركس، الذي كان قد استقر في لندن-إنجلترا. التي بقيا فيها حتى نهاية حياتهما.

لقد أثارت هزيمة ثورة 1848 الارتباك في صفوف الثوريين والنشطاء البروليتاريين في جميع أنحاء أوروبا ولم تتمكّن معظم الاتجاهات السّائدة في الاشتراكية السابقة من تقديم تفسير واضح يفسّر سبب ما آلت إليه الأحداث خلال الثورة. في مثل هذا الظرف، كان على ماركس أن يتولّى مهمة شرح كيفية عمل القوى الاجتماعية التي كانت وراء انتصار الثورة في البداية وهزيمتها في وقت لاحق. وبما أن فرنسا كانت المركز ونقطة الانطلاق الرئيسية لكلّ من نهوض الثورة وانحدارها، ركّز ماركس تحليله على الأحداث الفرنسية. هذا ما قام به من خلال أعماله الرائعة، "صراع الطبقات في فرنسا 1848-1850" و"الثامن عشر من برومير لويس بونابرت" التي كانت محاولات ماركس الأولى لتفسير الأحداث التاريخية الحالية عن طريق المفهوم المادي للتاريخ. فقد حلّل بوضوح تامّ القوى الطبقية التي وقفت وراء كلّ المنعطفات والتقلّبات الرئيسية في الثورة. وهكذا قدّم الأساس الطبقي للتكتيكات البروليتارية الثوريّة من خلال كشف دور مختلف الطبقات خلال مراحل مختلفة وحدّد أصدقاء وأعداء الثورة وبالتالي نهج البروليتاريا في التّعاطي مع كلّ منهم.

في الفترة التّالية، واصل ماركس كتاباته حول جميع الأحداث السياسية الكبرى في جميع أنحاء العالم. في كلّ هذه الكتابات، قدّم منظورا واضحا من وجهة نظر بروليتارية، وقد ميّزه هذا عن جميع الاتجاهات الاشتراكية الأخرى التي أثبتت عجزها عن تقديم إجابات حقيقية حول الوضع العالمي المتغيّر باستمرار. لقد

أثبت بوضوح تفوّق الماركسية على المدارس الاشتراكية الأخرى كأداة عمليّة لفهم العالم وتغييره.

كما عمل ماركس وإنجلز ما في وسعهما من أجل توحيد المنظّمات الضعيفة والمجزّأة للطبقة العاملة. وقد واجهت العصبة الشيوعية، التي كانت مركزها الرئيسي في ألمانيا، قمعًا شديدًا من الشرطة البروسية ووُضع العديد من أعضائها في ألمانيا خلف القضبان إلى أن تم حلّها في نوفمبر 1852.

وخلال الفترة الطويلة من ردّ الفعل التي تلت فشل ثورة 1848، حاول ماركس وإنجلز باستمرار إعادة تنظيم وإحياء حركة الطبقة العاملة. فإلى جانب كتابة أعمالهما ونشرها على نطاق واسع، حافظا على تواصل دائم مع منظمات الطبقة العاملة في مختلف البلدان لا سيّما إنجلترا وفرنسا وألمانيا. وقد كان مسعاهما الدائم هو تشكيل منظمة عالميّة للطبقة العاملة وإقامة أحزاب مستقلّة للبروليتاريا في البلدان المتقدّمة صناعيّا.

كان ماركس يعمل طوال هذه الفترة في ظل ظروف صعبة للغاية بعد أن طردته حكومات الدول المختلفة، فحتّى بعد أن استقرّ في لندن كان تحت المراقبة الدائمة للشرطة السريّة وتحديدا البروسية، وإلى جانب القمع السياسي كان الوضع الاقتصادي لماركس متدهورا. وبسبب الحالة السيئة وغير المنظمة لحركة الطبقة العاملة الثورية في ذلك الوقت، لم تكن قادرة على دعمه كمتفرّغ لدوام كامل.

وهكذا كان مصدر ربحه الوحيد هو المبالغ الصغيرة التي كان يحصل عليها مقابل كلّ مقال يرسله للصحيفة الأمريكية "منبر نيويورك" (The New York Tribune). كان هذا بالطبع غير كافٍ بتاتا لعائلة ماركس الكبيرة، لذلك فقد واجهت الفقر المستمر والديون الخانقة وقد وصل بها تدهور الأوضاع إلى المجاعة، كما كان يتعين عليها في بعض الأحيان رهن أشياء من المنزل لتوفير الغذاء. فقد كان لدى ماركس ستة أطفال، لكن ثلاثة منهم فقط نجوا من مرحلة الطفولة، وعندما توفيت ابنته الرضيعة تأخر دفنها لبضعة أيام حتى تم جمع

بعض المال للدفن، كما واجه ماركس نفسه أمراضًا خطيرة ومستمرّة كان عليه أن يكافحها لإكمال عمله.

خلال كل هذه الصعوبات الاقتصادية كان الداعم الرئيسي لأسرة ماركس هو إنجلز، فبعد فشل ثورة 1848، لم يجد بُدًا من الحصول على وظيفة في شركة والده في مانشستر وعمل هناك لمدة عشرين عاما، أوّلا كموظف وكشريك في الشركة خلال السنوات الخمس الأخيرة حتى عام 1869، وكان طوال هذه الفترة يحصل على دخل كبير، كان من خلاله يساعد بشكل منتظم ماركس.

لكن مساعدة إنجلز لم تكن اقتصادية فحسب، على الرغم من أنه لم يحصل على الكثير من وقت الفراغ بسبب عمله، فهو لم يدّخر جهدا في مواصلة دراساته وفي مساعدة ماركس، فقد كانا متوافقين بشكل كبير للغاية وكانا يتبادلان الأفكار باستمرار ويتشاوران دائمًا حول الأسئلة الرئيسية، لا سيما بشأن القرارات المتعلقة بحركة الطبقة العاملة العالميّة.

وقد أثمرت جهودهما أخيراً في عام 1864 بتشكيل رابطة العمال الدولية - الأممية الأولى. وتولى ماركس قيادتها ومسؤولية وضع برنامج وقانون أساسي لها. غير أن برنامج الأممية لم يتضمن الكلمات القوية للبيان الشيوعي. كانت الأممية الأولى، وعلى خلاف الرابطة الشيوعية، منظمة لا تقتصر على مجموعات صغيرة من الثوار، وفي الواقع، فإنّ العديد من مكوّنات "الأممية الأولى"، وخاصة تلك التابعة لفرنسا وانجلترا، كانت منظمات تضم أعدادا كبيرة من العمّال. ومع ذلك، فإن معظم هذه المنظمات لم يكن لديها فهم واضح للأمور، وبما أنّها كانت مؤلفة بشكل أساسي من العمال، فقد كان من الطبيعي أن يكون مستوى الوعي عندهم أقل من مستوى الثوريين المختارين للرابطة الشيوعية. لذلك كان يجب صياغة البرنامج ونظام داخلي مع وضع ذلك في الاعتبار، وكان يتعين تقديم الخط الصحيح بطريقة مقبولة لدى المنظمات الأعضاء في الأممية. لذلك كلف ماركس بهذه المهمة كونه يمتلك عمقا ايديولوجيّا وخبرة عملية تنظيمية مما جعله الشخص الوحيد القادر على صياغة هذه الوثائق.

وهكذا كانت الماركسية وحدها هي التي يمكن أن توفّـر الإطار الأيديولوجي والسياسي والتنظيمي للأممية الأولى، فكانت دائما في صراع مستمر ضد مختلف الاتجاهات الفوضوية والانتهازية التي نشأت داخل الحركة. فمن جهتهم عارض الفوضويون التنظيم الصارم في حين عارض الانتهازيون الصّراع الراديكالي. وعمل كل من ماركس وإنجلز على محاربة كل هذه الانحرافات وجعل الأممية منظمة للنضال الجماهيري وتوحيد العمال في كل من أوروبا وأميركا، وقد نجحا في ذلك إلى حدّ كبير، حيث قادا إلى تشكيل أحزاب بروليتارية مستقلة في نفس الوقت تقريبا في العديد من البلدان الصناعية حول العالم.

بحلول زمن كومونة باريس التاريخية سنة 1871، كانت الماركسية قد حقّقت نجاحات كبيرة مقارنة بما كانت عليه في ثورات 1848 فلم تعد مجرّد واحدة من الاتجاهات الاشتراكية. فقد أهمل التاريخ المدارس السابقة للاشتراكية الطوباوية، واستمرّت الماركسية وحدها بفضل توجهها العملي، ولم تعد مقتصرة على المجموعات الصّغيرة بل أصبحت ظاهرة جماهيرية امتدّ تأثيرها إلى الحركات البروليتارية في مختلف البلدان الصناعية فمنحت التوجيه الأيديولوجي للأحزاب البروليتارية المستقلة وترأست حركة بروليتارية ضخمة قامت على تحدّي البرجوازية. لقد ارتبطت الماركسية عضويا بالجماهير العريضة للطبقة العاملة.

كانت كومونة باريس هي المرّة الأولى في التاريخ التي استولت فيها البروليتاريا على السلطة وحاولت إقامة حكمها المنشود. وبالرغم من أنّها لم تتمكّن من تعزيز حكمها وسحقت خلال 72 يومًا، فقد ظلت تجربتها ذات أهمية تاريخية عالمية. فخلال وجودها القصير، قدّمت لمحة عن المجتمع المنشود وأعطت دروسا قيّمة للغاية للطبقة العاملة في العالم. وقد لخّص ماركس، كونه زعيما للأممية الأولى، دروس هذه التجربة العظيمة لكل البروليتاريا الدولية.

وفّرت الحرب الفرنسية الألمانية 1870-1871 الظروف اللازمة لقيام الكومونة، فقد بدأ الأمر في جويلية من عام 1870 عندما أمر الإمبراطور الفرنسي الرّجعي نابليون الثالث بالهجوم على بروسيا (والتي ستصبح ألمانيا بعد أن تتّحد مع مقاطعات أخرى في جانفي من عام 1871) لأنّه ظنّ خطآ أنّ البروسيين كانوا في موقف ضعيف، ولكنّ جيوشه هُزِمت بسرعة واستسلم نابليون الثالث نفسه وأسِرَ من قبل البروسيين في سبتمبر 1870. وتلا ذلك إقامة جمهورية فرنسية يرأَسها سياسي يدعى تيير، الذي وقّع في مارس من عام 1871 معاهدة سلام مع الألمان، ومع ذلك، فإنّ باريس، التي كانت محاصرة من قبل الجيش البروسي منذ سبتمبر 1870، لم تخضع لتيير، بل كانت تحت سيطرة حرس باريس الوطني، الذي كان يتألف بشكل رئيسي من العمّال. في 18 مارس 1871، أرسل تيير جيشه لنزع سلاح الحرس الوطني، لكنّه وجد هناك تمرّدا قتل على إثره جنديان من الجيش الفرنسي بالرصاص وأجبر الجيش على التراجع. وقد انتقلت السلطة إلى أيدي الحرس الوطني، الذي أجرى، في غضون أسبوع، انتخابات وأنشأ مجلسًا يضم 92 عضوًا. أصبح المجلس، الذي كان لديه عدد كبير من العمال، جهازًا للحكومة، وقد أدخلت العديد من التدابير التقدمية لإعادة تنظيم الحياة

الاجتماعية وإدارة المدينة وبالتالي حصلت على دعم كامل من الشعب العامل بأكمله.

لكنّ كومونة باريس كانت حكومة تحت هجوم مستمر، فبسبب الخوف من قوة الطبقة العاملة، اتحدت السلطتان الألمانية والفرنسية على الفور لسحق الكومونة، فقد ساعدت ألمانيا بشكل مباشر حكومة تيير عن طريق الإفراج عن قسم كبير من الجيش الفرنسي الذي استسلم وسُجِن في عام 1870.

قامت حكومة تيير بتعزيز قواتها ثم أطلقت حملة واسعة النطاق لغزو باريس. وقد قاتل العمّال بشجاعة لكنهم لم يكونوا متكافئين مع الجيش المحترف المجهّز جيّداً، وبعد عدّة أيام من القتال البطولي وآلاف من الشهداء، تم سحق الكومونة في 28 ماي 1871.

حتّى بعد الهزيمة تم ذبح أكثر من 30000 من الكومونيين بدم بارد، وقُدّم أكثر من 45000 شخص إلى محاكم عسكرية، والذين لم يُعدموا تمّ إرسالهم إلى السّجن أو إلى المنفى. بدا الأمر كما لو أن البرجوازية عازمة على تعليم درس لا ينسى للعمال خشية أن يحلموا بالسيطرة على السلطة مرّة أخرى.

كانت الأممية الأولى في ذروة جاذبيتها الشعبية في وقت الحرب الفرنسية البروسية وكومونة باريس. كان لديها قاعدة نضالية واسعة بين العمّال وكانت تقدّم لهم بانتظام التوجيه بشأن المسائل السياسية. عندما اندلعت الحرب الفرنسية البروسية قام ماركس على الفور بإصدار وثيقة باسم المجلس العام للأممية الأولى، هذه الوثيقة هي واحدة من التطبيقات الأولى للمبادئ التكتيكية الماركسية المتعلقة بالحرب، وقد دعا فيها إلى التضامن الدولي بين العمال بينما ألقى باللّوم على حكّام كل من فرنسا وبروسيا وحمّلهم مسؤولية الحرب. بسبب هذه الدعوات، سادت روح أمميّة قويّة بين العمّال الألمان والفرنسيين. في الواقع، تم سجن بيبل وويلهلم ليبكنشت، وهما عضوان في البرلمان وقادة الحزب البروليتاري الألماني اللّذيْن كانا عضوين ماركسييْن في الأممية، من قبل الحكومة البروسية لتصويتهما في البرلمان ضد اعتمادات الحرب.

الفترة الأولى للحرب وصفها ماركس بأنها حرب دفاعية من جانب ألمانيا بسبب الطبيعة الرجعية لنظام نابليون الثالث العدواني، غير أنّه توقّع سقوط هذا الحاكم الرجعي. عندما حدث ذلك وضع ماركس على الفور وثيقة دعت العمّال الألمان إلى معارضة ما أصبح الآن حرب غزو ألمانية، ودعا إلى السّلام مع فرنسا والاعتراف بالجمهورية المشكّلة حديثًا، ووصف الجمهورية بأنها تقودها الطبقة الأرستقراطية المالية والبرجوازية الكبيرة. غير أنّه رأى أنّه من السابق لأوانه محاولة الإطاحة بالجمهورية وتشكيل حكومة عمالية. في الواقع، عارض ماركس بحزم أي محاولة للتمرد في باريس، كان ذلك لأنّ العدوّ الألماني كان قد أحاط بالفعل بباريس وكان هناك احتمال ضئيل جداً لنجاح أي تمرد في ظل هذه الظروف.

وعلى الرغم من نصيحة ماركس، قام ناشطو مختلف الاتجاهات الفوضوية والتآمرية الذين كان لديهم بعض الأتباع في باريس بمحاولات مختلفة لتنظيم انتفاضة إلى أن نجحوا في ذلك. عندها أعلن ماركس، على الرّغم من معارضته لها في وقت سابق، الدّعم الكامل والمشدّد للكومونة. فقد أدرك على الفور أهميتها التاريخية وأرسل مئات الرسائل الى جميع أنحاء العالم في محاولة منه لدعمها، وحافظ من خلال المراسلات على اتّصال دائم بالكومونة بإرسال النصيحة إلى الأمميين هناك، كما تشاور باستمرار مع إنجلز، الذي كان خبيرا في المسائل العسكرية والذي أرسل بدوره المشورة بشأن الدفاع العسكري للكومونة. وعلى الرغم من أن قيادة الكومونة كانت في أيدي أعضاء الجماعات والاتجاهات الأخرى، فإنّ الماركسيين داخل الكومونة قاموا بكلّ المحاولات لتعزيز أنشطتها ودفاعاتها. بعد هزيمة الكومونة، كانت الأممية هي المنظّمة الرئيسية التي رتّبت المأوى والمساعدة في الحصول على وظائف للكومونيين الذين اضطرّوا إلى الفرار من القمع الوحشي للبرجوازية الفرنسية.

قام ماركس، الذي أشاد على الفور بالكومونة كحدث ذي أهمية تاريخية هائلة، بتحليل معمّق حاول فيه استخلاص الدّروس من هذه التجربة. وقد كتب

هذا العمل، (الحرب الأهلية في فرنسا)، خلال الكومونة، ولكنّه نشره بعد يومين فقط من سقوطها. وقد ساعد في نشر إنجازاتها وتعميم المقاربة الصحيحة للكومونة بين الثوريين والعمال في جميع أنحاء العالم.

أبرز ماركس أوّلاً التدابير الإيجابية والثورية الرئيسية التي اتخذتها الكومونة، والتي قدّمها كحاضنة المجتمع الجديد. وأشار إلى القرارات السياسية الكبرى مثل الفصل بين الكنيسة والدولة، وإلغاء الدعم للكنيسة، واستبدال الجيش النظامي بميليشيات شعبية، والانتخابات والسّلطة القضائية ووضع حدّ أعلى لرواتب جميع المسؤولين الحكوميين وجعلهم مسؤولين بشكل صارم أمام النّاخبين، وما إلى ذلك. وكانت أهمّ التدابير الاجتماعية الاقتصادية هي تعميم التعليم المجاني، وإلغاء العمل الليلي في المخابز، وإلغاء غرامات صاحب العمل بالنسبة للورشات وإغلاق مكاتب الرّهونات، والاستيلاء على ورش عمل مغلقة كان من المقرر تشغيلها من قبل تعاونيات العمّال، وإعانة العاطلين عن العمل، وتقسيم المنازل والمساعدة للمدانين. كل التدابير المذكورة أعلاه أظهرت أنه لا يوجد اتجاه واضح للكومونة، ولكن كل قراراتها كانت لها طابع بروليتاري واضح. وعلى الرغم من مواجهتها المستمرة لتحديات جدية للبقاء، إلاّ أنّ الكومونة ومن خلال أعمالها قدّمت لمحة أولى عن نوع المجتمع الذي ستحققه الثورة البروليتارية القادمة. لقد قدّمت التجربة الأولى للبروليتاريا في سلطة الدولة - وهو ما أشار إليه ماركس وإنجلز على أنه أوّل ديكتاتورية للبروليتاريا.

كما قدّمت الكومونة من خلال نقاط ضعفها أكثر الدّروس قيمة لنضالات البروليتاريا في المستقبل، هذا ما أشار إليه ماركس. كانت نقطة الضّعف الأساسية في الكومونة هو افتقارها إلى القيادة الواضحة والمركزية لحزب بروليتاري واحد. انطلاقا من هذا استنتج ماركس أنّه من أجل نجاح الثّورة كان من الضروري للغاية أن يكون هناك قيادة لحزب بروليتاري قوي ومنضبط وله رؤية واضحة. النقطة الأخرى التي شدّد عليها ماركس مراراً وتكراراً كانت ضرورة تحطيم آلية الدولة السابقة. فمن أجل بناء الدولة العمالية الجديدة، لم يكن من الممكن

الاعتماد على آلية الدولة البرجوازية السابقة وعلى المسؤولين التابعين لها الملتزمين تماما بالحفاظ على النظام الاجتماعي القديم. في الواقع، من أجل بناء دولة العمّال، كان من الضروري أولاً تحطيم جهاز الدولة السابق والتخلص من جميع المسؤولين رفيعي المستوى المرتبطين به.

في فترة رد الفعل والقمع في أعقاب الكومونة، كان هناك ارتباك كبير بين القوى الثورية حول كيفية تقييم التجارب واستخلاص النتائج الصحيحة. كان الفوضويون بصفة خاصة، وهم الذين شاركوا بأعداد كبيرة في الكومونة، في حالة خسارة. لقد أعطى تحليل ماركس موقفاً واضحاً يزيل جميع أنواع الارتباك. ساعد ماركس أيضًا في نشر الفهم الصحيح المتعلق بالكومونة في جميع أنحاء العالم. بعد الكومونة، صوّرت البرجوازية ماركس كالزعيم الحقيقي للكومونة، وبالتالي تمت مقابلته من قبل الصحافة العالمية. ومن خلال هذه المقابلات، تمكن من تقديم الموقف الصحيح إلى مختلف البلدان. كانت الماركسية مرة أخرى تقدم الأجوبة الصحيحة.

كانت فترة ما بعد كومونة باريس فترة هجوم رجعي للبرجوازية على حركة الطبقة العاملة. وقد كان لهذا تأثيـــره على الأمميّـــــة الأولى. كان القسم الفرنسي هو الأكثر تضرراً حيث أصبح معظم الأعضاء لاجئين في دول أخرى إضافة الى انتشار الخلافات بينهم. كما واجهت الحركة العمالية الألمانية انتكاسة مع إلقاء القبض على الزّعيمين الماركسيّيْن الرئيسيّيْن، بيبل وليبكنشت، اللذين عارضا الحرب وضمّ أجزاء من فرنسا. ممّا جعل قسمين من أهم الأقسام في المنظمة الدولية معوقين. في نفس الوقت كان هناك انقسام في القسم الإنجليزي نظرا لأنّ بعض القادة تركوا الأممية معارضة منهم للموقف الداعم للكومونة الذي اتخذه ماركس. كلّ هذا إلى جانب التلاعبات من قبل الأناركيين لإضعاف الأممية. لذلك قرّر ماركس وإنجلز نقل مقرّها من لندن إلى نيويورك. وقد اتّخذ هذا القرار خلال انعقاد الكونغرس عام 1872. ومع ذلك، لم تستطع المنظمة الدّولية الضعيفة أن تنتعش فتمّ حلّها في عام 1876.

إلّا أن حلّ الأممية الأولى لم يوقف مسيرة الماركسية وإقامتها لأحزاب بروليتارية جديدة. فقد شهدت الفترة التي تلت كومونة باريس فجوة طويلة قوامها 35 عامًا من السّـلام، دون أي حروب كبيرة بين الدول الرأسمالية الكبرى في القارة الأوروبية. وخلال هذه الفترة، توسّعت الحركة العمّالية في معظم البلدان الصناعية بسرعة وأقامت الأحزاب الاشتراكية، (التي كان لها تكوين بروليتاري أساسا) هياكل كبيرة ومنظّمة وتحت قيادتها نمت النقابات والصحف اليومية وتعاونيات العمال.. الخ.

وقد عملت في كثير من الأحيان ضمن القانونية وشاركت بنجاح كبير في البرلمانات البرجوازية. كان العديد من هذه الأحزاب من بين الذين اجتمعوا لتأسيس الأممية الثانية في عام 1889. وقد منح تشكل الأممية الثانية مزيدًا من

التشجيع لنموّ الأحزاب الاشتراكية البروليتارية الجديدة في أجزاء مختلفة من العالم.

استمرّ ماركس وإنجلز حتى نهاية حياتهما في لعب دور القائدين الأيديولوجيين والمنظّمين العمليين لحركة الطبقة العاملة. فقدّما إسهامات نظرية ثابتة لتعزيز أسس هذه الحركة المتنامية. وقد ركّز ماركس على مزيد من الدّراسة للاقتصاد السياسي ودراسة أكثر عمقا للرأسمالية، فخرج المجلّد الأوّل من رأس المال في عام 1867. بعد ذلك كافح ماركس ضدّ المرض لمحاولة استكمال المجلّدات اللاحقة من هذا العمل، ولكنه لم ينجح في ذلك، فقد بقي غير مكتمل حتى موته في الرابع عشر من مارس عام 1883. ومع ذلك أكمل إنجلز المهمة الهائلة بجمع ملاحظات ماركس معا، وتحريرها، وأخيرا نشر المجلّدين الثاني والثالث لرأس المال. في الواقع، قام إنجلز بعمل نظري جوهري بعد أن أصبح متفرّغا منذ عام 1869. وسواءَ بمفرده أو بالاشتراك مع ماركس، قام بتأليف العديد من الأعمال حول الفلسفة والنظرية الاشتراكية والتطور وأصل المؤسسات الاجتماعية والسياسية، وما إلى ذلك. كما لعب الدّور المركزي بعد وفاته في توجيه وبناء الحركة في مختلف البلدان. من خلال المراسلات الدورية كان يؤدي دور المركز حتى وفاته في 5 أوت 1895.

كان جزء كبير من عمل ماركس وإنجلز يتمثل في محاربة اتجاهات الانتهازية التي بدأت تكتسب قوة مع نمو الحركة العمالية. كان أحد الاتجاهات المهمة هو حركة اللاسالية (Lasalle-isme)التي نشأت أولاً خلال الأممية الأولى ولكنها استمرت أيضاً في سنوات لاحقة. ومنشؤها، فرديناند لاسال، كان مؤسس أول حزب اشتراكي من الطبقة العاملة أنشأ في عام 1863 في ألمانيا.

كانت الجوانب الانتهازية الرئيسية للّاسالية هي قصر نضال العمّال على الأجور المرتفعة وتقديم نداءات إلى الدولة طلبا لمساعدات حكومية لتأسيس التعاونيات العمالية التي اعتبرها لاسال (Lassalle) الوسيلة الرئيسية لإصلاح

المجتمع والتقدم التدريجي للاشتراكية. ومن أجل محاربة الفهم الخاطئ للنضالات في الأجور كتب ماركس كتابه "الأجور والأسعار والأرباح" وقدّمه في المجلس العام للأممية الأولى في عام 1865. واستمرّت المعركة ضد اللاسالية في عام 1875 عندما كتب ماركس نقد برنامج جوثة. كان برنامج غوتة هو البرنامج الذي تم صياغته في وقت توحيد الأحزاب البروليتارية الماركسية واللاسالية في حزب واحد. في ذلك الوقت كان الماركسيون حريصين على الوحدة لدرجة أنّهم قدموا الكثير من التنازلات للسياسة الانتهازية للاسالية. لقد وجّه ماركس في نقده نقدًا شاملًا للنقاط التي كانت تمثل سياسة انتهازية. ومع ذلك، لم يُعطَ النقد إلا لحفنة من الأعضاء الماركسيين البارزين في الحزب الألماني. ولم يتم تعميمه وتم إدخال عدد قليل جداً من اقتراحاته موضع التنفيذ. لكن في عام 1891 عندما تمت صياغة برنامج حزبي جديد أصرّ إنجلز على نشر النقد، على الرغم من احتجاجات بعض الأعضاء القياديين في الحزب، ولم تظهر هذه المرة جوانب لاسالية في البرنامج الجديد.

كما تصدّى ماركس وإنجلز للعديد من الآتجاهات الانتهازية الأخرى التي ظهرت حينما كانا على قيد الحياة. ولكن بعد موت إنجلز، ظهر أحد أكبر الهجمات على الماركسية من داخل الحركة البروليتارية نفسها. وبما أنّ المعارضة المباشرة للماركسية كانت صعبة للغاية، جاء هذا الهجوم في شكل محاولة "لمراجعة" الماركسية. وقد بدأ هذا الاتجاه الذي أطلق عليه فيما بعد اسم "التحريفية" أولاً من قبل برنشتاين، أحد الأعضاء البارزين في الحزب الألماني وأيضاً في الأممية الثانية. فقدّم لأول مرة وجهات نظره في 1898-99 داخل الحزب الألماني. اقترح برنشتاين أنه بسبب تغير الظروف، كان من الضروري تغيير كل الصيغ الأساسية التي وضعها ماركس. واقترح أنه ليس من الضروري أن تكون هناك ثورة عنيفة لتحقيق الاشتراكية وأنّ إصلاح المؤسّسات الرأسمالية سيؤدي تدريجيا إلى الاشتراكية. ومع ازدياد الانتهازية في حركة الطبقة العاملة، سرعان ما وجدت تحريفية برنشتاين أنصارًا لها في أحزاب مختلفة. لكن في نفس الوقت

احتشد العديد من الثوريين الحقيقيين لدعم الماركسية. فطرح الأمر للنقاش أمام كونفرنس الأممية الثانية الذي عقد في عام 1904. أدان الكونفرس بشدة التحريفية بتصويت 25 مقابل 5، مع امتناع 12 عضوا عن التصويت. كان هناك أيضًا حل توفيقي آخر، لم يدن بشدة التحريفية، والذي لم يتم تمريره لأنّه كان هناك تعادل في الأصوات 21 مقابل21. وهكذا في كلا القرارين كان هناك قسم كبير جدّا أيّد أو لم يكن يريد أن يأخذ موقفا قويّا ضد التحريفية. على الرّغم من أنّ الكونفرنس أدان أخيرا التحريفية، إلاّ أنه كان واضحا تماما في عام 1904 نفسه أن الانتهازية والتحريفية قد أقامتا قاعدة كبيرة لنفسها على أعلى المستويات في حركة الطبقة العاملة العالمية.

لكن معارضة الانتهازية في العديد من البلدان كانت قويّـة أيضًا. كان هناك مركز قوي بشكل خاص في روسيا، حيث شنّ البلاشفة تحت قيادة لينين العديد من الصراعات ضد جميع أنواع الانتهازية الروسية..

كانت روسيا واحدة من البلدان التي انتشرت فيها الماركسية والأدب الماركسي مبكّرا جدّا. في الواقع كانت الترجمة الأولى لعمل ماركس الرئيسي "رأس المال" إلى اللّغة الرّوسيّة، فصدرت طبعة في عام 1872 (بعد خمس سنوات فقط من الطبعة الألمانية الأصلية)، حقّقت نجاحًا فورياً بفضل المبيعات الجيّدة والتقييمات الإيجابية في الصحف المرموقة. كان تأثير هذه التّرجمة كبيراً لدرجة أنّه بحلول عام 1873 وحتى عام 1874، بدأت اقتباسات من "رأس المال" تظهر بالفعل في الدّعاية لتحركات الطلاب الراديكاليين في المدن الروسية الكبرى. كما تمت ترجمة أعمال ماركسية أخرى إلى الروسية في وقت مبكّر جدّا من قبل الثوريين الروس الذين جذبتهم الماركسية.

ومن بين هؤلاء الثوريين فيرا زاسوليتش، وهي امرأة ثورية اشتهرت بمحاولة اغتيال حاكم سانت بطرسبرغ. كانت فيرا قد بدأت المراسلات مع ماركس في عام 1881، وهو ما استمر مع إنجلز بعد وفاة ماركس. في عام 1883 أصبحت جزءا من أوّل منظمة ماركسية روسية - مجموعة تحرير العمل بقيادة جورج بليخانوف. شارك بليخانوف في المؤتمر الأول للأممية الثانية في عام 1889، والتقى بعد ذلك مع إنجلز لأوّل مرّة. بعد هذا الاجتماع، حافظ بليخانوف على روابط وثيقة مع إنجلز وعلى تلقي التوجيهات منه.

لعب بليخانوف الدّور الرئيسي في تأسيس الماركسية في روسيا. قام بترجمة وتعميم العديد من أعمال ماركس وإنجلز وقام بمكافحة الآراء الاشتراكية الفوضوية لحركة النارودنك، فقد قدّم العديد من الإسهامات النظرية للماركسية. كانت روسيا في ذلك الوقت خاضعة للحكم الاستبدادي للقيصر حيث بدأ العديد من الثوريين والجماعات الثورية ممارسة أنشطتهم. لكن العديد من هذه الجماعات كانت لديها ميول تجاه الأناركية والإرهاب، فلعب بليخانوف

ومجموعة تحرير العمل دوراً حاسمًا في تحويل أقسام كبيرة منهم إلى الماركسية، لكنّ لينين، الذي انضم إلى هذه المجموعة في مرحلة لاحقة، كان الشخصية الأبرز التي تقدّمت صفوف الماركسية والحركة البروليتارية.

كان لينين الاسم الحركي لـ فلاديمير إيليش أوليانوف، الذي ولد في 22 أبريل 1870، في مدينة سيمبيرسك، التي كانت عاصمة مقاطعة سيمبيرسك، الواقعة على نهر الفولغا أكبر نهر في روسيا. وعلى الرّغم من كونها عاصمة إقليميّة كان اتّصالها مع العالم الخارجي محدودا خلال شباب لينين. فلم يكن هناك خط سكة حديد وكانت وسائل النقل الرئيسية تتمثل في السفن البخارية التي سافرت إلى أعلى وأسفل نهر الفولغا، غير أنّ هذا كان يتوقّف خلال أشهر الشتاء الطويلة عندما يتجمّد النهر وكانت الرّحلات تتمّ على ظهور الخيل.

كان والد لينين رجلًا مثقفًا بذل مجهودا شاقًا ليرتقي من مستوى فلاح فقير إلى معلّم ثم مفتش مدارس وأخيرا مدير المدارس الابتدائية في مقاطعة سيمبيرسك، كما تمّ منحه رتبة النبالة من المجلس المدني عام 1874 وتوفّي في عام 1886. كانت والدة لينين ابنة طبيب ريفي، وعلى الرّغم من أنها لم تذهب إلى المدرسة، إلاّ أنّها كانت متعلّمة في المنزل وحتى أنها تعلمت العديد من اللغات الأجنبية، والتي علمتها فيما بعد لأطفالها وقد توفيت في عام 1916. كان لديهما ثمانية أطفال مات منهم اثنان في مرحلة الطفولة المبكرة وواحد في سن المراهقة، كان لينين الطفل الرابع، وجميع إخوته وأخواته أصبحوا ثوريين في ما بعد.

كان لينين متأثّراً بشكل رئيسي بأخيه الأكبر ألكسندر. كان ألكسندر طالبا ذكيا وحاصلا على الميدالية الذهبية كأفضل طالب في جامعة سانت بطرسبرغ (عاصمة روسيا آنذاك)، كان أيضا عضوا في الدوائر الدراسية الثورية السريّة للشباب الثوري في سانت بطرسبرغ وقد كان يجري الدعاية السياسية بين العمال، ووقف إيديولوجياً بين النارودنك والماركسية. في عام 1887 تم القبض على ألكسندر مع شقيقته الكبرى آنا ورفاق آخرين لمحاولتهم اغتيال القيصر وأفرج عن آنا في وقت لاحق وحظرت من سانت بطرسبرغ، لكنّ ألكسندر الذي كان زعيم المجموعة

شنق في 8 مارس 1887، إلى جانب أربعة من رفاقه. وتعهّد لينين، الذي تأثّر بالحادثة وكان آنذاك في السابعة عشرة من عمره، بالثأر لأخيه.

كان لينين منذ سنّ مبكّرة جدًا طالبًا نموذجيًا يمتلك أسلوبًا منهجيًا للغاية في الدراسة. على عكس الطلاب الآخرين، لم يكن ينجز مهامه في اللحظة الأخيرة بل كان يقوم بإعداد مخطّط سابق ومسودّة لتدوين الملاحظات والإضافات والتغييرات باستمرار قبل إصدار نسخته النهائية. كان لديه مستوى عالٍ جدًا من التركيز ولم يكن يتحدّث إلى أيّ شخص يشوّش عليه دراسته. كان معجباً كثيراً بأخيه الأكبر، وحاول في سنّ صغيرة تقليد الكسندر في كل شيء فعله. بعد شهر من شنق شقيقه، اضطر لينين، رغم التوتر والحزن الشديد، إلى إجراء امتحانات التخرّج وحصل على الميدالية الذهبية كأفضل طالب في المدرسة.

على الرّغم من الميدالية الذهبية، لم يتمكن لينين من الوصول إلى جامعة سان بطرسبرغ أو جامعة موسكو لأنه كان شقيقًا لأحد الثوريين المعروفين، وقد حصل أخيرا على قبول في جامعة قازان الصغيرة ولكنّه طرد من المدينة بعد مشاركته في مظاهرة ضد قوانين جديدة تحدّ من استقلالية الجامعات وحرية الطلاب. حاول ضابط الشرطة الذي رافقه إلى حدود المدينة إقناع لينين الشاب بأنه كان يقف في مواجهة الجدار، لكن لينين أجاب بأن الجدار متداع للسقوط وسينهار بركلة واحدة. في العام التالي، سنة 1888، سُمح للينين بالعودة إلى قازان، لكن لم يتم إعادته إلى الجامعة، وهنا بدأ في حضور إحدى الحلقات السرية لدراسة الماركسية.

خلال هذه الفترة وما بعدها عندما انتقلت العائلة إلى مقاطعة سامارا، قضى لينين قدرا كبيرا من وقته في القراءة والدراسة. وإلى جانب قراءة أعمال الثوريين الروس، بدأ لينين، في سن الثامنة عشرة، في قراءة العديد من أعمال ماركس وبليخانوف. ونشر معرفته بالماركسية، أوّلاً إلى شقيقته الكبرى آنا، ومن ثم شرع في تنظيم مجموعات نقاش صغيرة من أصدقائه. كما انجذب أيضا إلى السباحة والتزحلق وتسلق الجبال والصيد.

في هذه الأثناء، قامت والدته بمحاولات متكررة لإعادته إلى الجامعة، ورُفض مرة أخرى في قازان، كما رُفض منحه جواز سفر للذهاب والدراسة في الخارج. وبعد العديد من المحاولات، تم قبول لينين في عام 1890 في النهاية كطالب قانون خارجي في جامعة سانت بطرسبرغ أي يمكن له إجراء الامتحانات مباشرة دون السماح له بحضور المحاضرات. كان لينين مصمّماً على إكمال دراسته في نفس الوقت كزملائه السابقين في جامعة كازان ولذلك درس من تلقاء نفسه وأكمل دورة لمدة أربع سنوات في غضون عام. في الامتحانات، التي عقدت في عام 1891، حصل على أعلى الدرجات في جميع المواد وأعطي شهادة من الدرجة الأولى. وفي جانفي عام 1892، تم قبوله كمحام وبدأ العمل في محكمة سامارا الإقليمية. لكنّ لينين كان قليل الاهتمام بممارسة القانون. وقد طوّر أثناء امتحاناته في سان بطرسبرغ اتصالات ماركسية وحصل على كميّة من الأدب الماركسي. وفي سامارا، أمضى لينين جزءاً كبيراً من وقته في إلقاء محاضرات في دوائر الدراسة غير القانونية للعمال وغيرهم كما شكّل أوّل دائرة دراسية ماركسية في سامارا. كانت سامارا مركزاً للنارودنيك وركّز لينين طاقاته على محاربة أيديولوجيا النارودنيك في ذلك الوقت ثمّ على محاربة الليبرالية. في نفس الوقت، كان يحترم كثيرا الثوريين الشجعان ونكروديي سبعينيات القرن التاسع عشر، الذين كان الكثير منهم يقيمون في سامارا بعد أن تقاعدوا من العمل السياسي. كان لينين حريصًا دائمًا على التعلم منهم ومن أعمالهم الثورية والأساليب السرية الخاصة بهم وحول سلوك الثوار أثناء الاستجواب والمحاكمات. في سمارا بدأ لينين كتاباته الأولى، والتي تم تداولها بين دوائره الدراسية، كما ترجم أيضًا البيان الشيوعي إلى اللغة الروسية، وبدأت أنشطة لينين وتأثيره ينتشر خارج سامارا إلى مقاطعات أخرى من منطقة الفولغا.

بعد بلورته لرؤى واضحة، أراد لينين توسيع نطاق عمله الثوري. فانتقل في أوت 1893 إلى سان بطرسبرغ، التي كانت مركزاً صناعيًا كبيراً مع بروليتاريا كبيرة. وكغطاء تولى وظيفة كمحام مساعد لمحامي كبير في سانت بطرسبرغ، ومع ذلك،

قام بعمل قانوني ضعيف للغاية وركّز بالكامل على الأنشطة الثورية. وسرعان ما أصبح شخصية بارزة تبث حياة جديدة في الدوائر الدراسية السريّة العديدة في سان بطرسبرغ. كما أثّر أيضا على دوائر موسكو. وإلى جانب إلقاء المحاضرات في الدّوائر، كان يهتم دومًا بتعلم كل التفاصيل الدقيقة لحياة العمال، فقد أقنع في الدوائر قسما كبيرا من الثوار بالانتقال من الدعاية النخبوية (فُهمت الدعاية في تلك الأيام على غرار فصول تعليمنا السياسي اليوم) في دوائر صغيرة إلى التحريض الجماعي للجماهير الواسعة من العمّال.

خلال تلك الفترة، التقى بزوجته المستقبليّة، كروبسكايا، التي سبق لها أن اتّصلت بالماركسيّة، وكانت تدرّس بدون أجر في مدرسة ليلية للعمال. كان العديد من طلابها جزءَا من دائرة دراسية أجراها لينين، وقد كان لينين حريصًا دائمًا على التعلم من معرفتها العميقة بحياة وظروف عمل عمّال سان بطرسبرغ. عندما مرض لينين اعتادت أن تزوره وتزايدت صداقتهما تدريجيا لتصبح حبّا.

في غضون ذلك، واصل لينين توسيع اتصالاته في العديد من مدن روسيا. في فبراير 1895، قرّر اجتماع للمجموعات في مختلف المدن الرئيسية إرسال لينين ومندوب آخر من موسكو إلى الخارج لإجراء اتّصال مع مجموعة تحرير العمل. استغرقت زيارة لينين الأولى إلى أوروبا من أفريل إلى سبتمبر 1895. وقد التقى خلال هذه الفترة بليخانوف وأكسيلرود من مجموعة تحرير العمل، وقادة آخرين من منظمات الطبقة العاملة الألمانية والفرنسية. وقد أراد بشدّة أن يلتقي إنجلز لكنه لم يستطع فعل ذلك لأن إنجلز كان على فراش الموت.

لدى عودته إلى روسيا وحّد كل الدوائر الماركسية في سانت بطرسبورغ في منظمة سياسية واحدة تسمى رابطة الكفاح من أجل تحرير الطبقة العاملة. بدأت الرابطة على الفور في التحريض وتنظيم الإضرابات في المصانع الكبيرة في المدينة، كما وضعت خططًا لإصدار مجلّة غير قانونية للعمّال، ولكن هذه المجلة لم تر النور، وتمكّنت الشرطة السريّة التي كانت تراقب عن كثب لينين أخيراً وبمساعدة أحد المخبرين من إلقاء القبض عليه. تم إيقافه في ديسمبر 1895،

بالإضافة إلى مخطوطة العدد الأول من المجلّة غير القانونية وتم إرساله إلى السجن. وحتى من داخل السجن، تمكن من البقاء على اتصال وثيق مع رفاقه في الخارج، فقد جلبت له والدته وأخته آنا العديد من الكتب وأرسل رسائل في الكتب من خلال لغة مشفّرة قام بتدريسها لأخته. كما بعث برسائل مكتوبة بالحليب، والتي كانت بمثابة حبر غير مرئي أصبح مرئيًا فيما بعد عند تسخينه. وهكذا أمكن له أن يكتب من السجن كتيبات وحتى أن يخطط للإضرابات، والتي كانت خلال عام 1896 في صعود في جميع أنحاء روسيا. أصبح يعرف كالزعيم الحقيقي للرابطة، وفي الوقت نفسه، بدأ أيضًا دراسة مكثفة وأبحاثًا حول أوّل عمل نظري له، وهو تطوّر الرأسمالية في روسيا. أثناء الدراسة بشكل مكثف من الصباح إلى الليل، استمر لينين في الحفاظ على لياقته من خلال التمارين المنتظمة اليومية قبل الذهاب إلى السرير.

بعد مرور أكثر من عام واحد في السجن، أُطلق سراح لينين، ولكن حكم عليه مباشرة بالسجن لمدة ثلاث سنوات في سيبيريا حيث وصل في ماي 1897. كما تم إلقاء القبض على كروبسكايا، واقترح لينين الزواج منها من سيبيريا، فأجابت ببساطة: "إذا كنت سأكون زوجة، فليكن ذلك"، وسُمح لها بالانضمام إليه في سيبيريا حيث وصلت في ماي 1898. قضى لينين معظم وقته في سيبيريا في العمل النظري، ومع مساعدة كروبسكايا قام بترجمة كتاب انكليزي ديمقراطي إلى اللغة الروسية. كما أنه أكمل عمله في تطوير كتابه تطور الرأسمالية في روسيا، والذي تم نشره بشكل قانوني في عام 1899. كما أنّه بدأ كفاحه ضد الاقتصاديين، وهو اتجاه انتهازي مرتبط بتحريفية برنشتاين المذكورة في الفصل السابق. كما كتب على نطاق واسع حول ما ينبغي أن يكون البرنامج والمهام الفورية للثورة الروسية، وعندما خرج من المنفى في أوائل عام 1900 بدأ على الفور العمل على تلك المهام.

كانت المهمّة الأكثر استعجالا وإلحاحًا عندما خرج لينين من المنفى هي بناء الحزب البروليتاري الثوري. في ذلك الحين كان قد تمّ إلقاء القبض على اللّجنة المركزية المنتخبة لحزب العمّال الاشتراكي-الديمقراطي الرّوسي والذي تأسّس رسميّا في مؤتمر عقد في عام 1898 بحضور 9 مندوبين. إضافة إلى أنّ هذا المؤتمر لم ينجح فعليًا في توحيد جميع المجموعات وبناء هياكل تنظيمية موحّدة بشكل فعلي على الرغم من إعلان قيام الحزب، لذلك كانت مهمة بناء الحزب مطروحة في 1900.

وضع لينين أثناء وجوده في المنفى مخططا تفصيليا لبناء الحزب، وارتأى أن الطريقة الوحيدة لتوحيد دوائر الدراسات والمجموعات والمنظمات الماركسية هي من خلال صحيفة سياسية، وستكون هذه الصحيفة قادرة على ربط جميع الخلايا السياسية في جميع أنحاء روسيا من خلال تقديم الخط الصحيح ومحاربة جميع الانحرافات الانتهازية فور حدوثها. وفي نفس الوقت، فإنّ المهمّة الصّعبة المتمثلة في توزيع صحيفة غير قانونية سرّا ستخلق منظمة سرية مدرّبة على مواجهة الشرطة السرية الروسية القمعية. كان لينين يريد أولاً أن يشرع في تنفيذ هذه الخطة قبل دعوة الكونفرنس الحزبي لأنه كان من الضروري أيضاً التغلب على النزعات الانتهازية والتحريفية التي تغلغلت في الحركة في السنوات السابقة.

كان شريكاه الرئيسيان في هذا المخطط هما مارتوف وبوتريسوف، عضوان من المجموعة المركزية في سانت بطرسبرغ كان قد تم اعتقالهما وإرسالهما إلى سيبيريا بالتزامن معه. كانت الخطة تقضي بنشر الصحيفة من الخارج حيث كان نشرها من داخل روسيا أمراً بالغ الخطورة، كما خطط لينين لهذا، بهدف التوحّد مع بليخانوف ومجموعة تحرير العمل، التي كانت موجودة بالفعل في الخارج. فكان

مجلس التحرير يتألف من ستة أعضاء - ثلاثة من مجموعة التحرير في الخارج وثلاثة من روسيا - لينين ومارتوف وبوتريسوف، وبعد اتّخاذ جميع الترتيبات، صدر العدد الأول من الصحيفة في ديسمبر 1900. كان يطلق عليها "إيسكرا" (Iskra) أي الشّرارة، حملت صفحة عنوانها كلمات الثوار البرجوازيين الأوائل في روسيا عام 1825 "من شرارة ستشتعل النيران" وقد طبعت في بلدان مختلفة وفي أوقات مختلفة، ألمانيا وإنجلترا وسويسرا. كما لم يتم إرسالها مباشرة إلى روسيا، فقد مرّت بطرق معقّدة للغاية حتى وصلت إلى اللجان سريّاً في روسيا، وكان على الموزّعين مهمّة بالغة الصعوبة تتمثل في تجنب الشرطة السريّة، فإذا تم القبض على مهربي الإيسكرا، فسينقلون إلى سيبيريا.

كانت إيسكرا أداة رئيسية لتعليم الطّبقة العاملة، حيث كانت المحاضرات في الدوائر الدراسية غالبَا تتكوّن من قراءة مقالات من الصحيفة. استغلّ الثوريون كلّ فرصة لتوزيع صحف ومنشورات إيسكرا السرية، لم يتم توزيعها في المصانع فحسب، بل أيضًا في الشوارع وفي المسارح وفي ثكنات الجيش ومن خلال البريد. في المدن الكبرى كانت تُبعثر في الشوارع أو من الشرفات في المسارح. تمّ توزيعها في مناطق تجمّع العمّال، في وقت متأخر من الليل أو في الصّباح الباكر عن طريق وضعها في ساحات المصنع وبالقرب من مضخات المياه، حيث يمكن رؤيتها في الصباح. وبعد كل عملية من هذا القبيل، والتي كانت تُسمّى بالنثر، يتمّ وضع علامة خاصة على جدار مجاور، بحيث يمكن الحصول على تقرير كامل في الصّباح عن تأثير عمل الليل. في المدن والقرى الصغيرة، تم جلب كتيبات الإيسكرا في عربات الفلاّحين أيّام السوق ولصقها على الجدران. كلّ هذا كان عملاً خطيراً حيث أنّ الاكتشاف كان يعني الاعتقال الفوري وإمكانية النفي إلى سيبيريا. تمكّن الرفاق الذين شاركوا في هذا العمل شيئا فشيئا من بناء فريق من الثوريين المحترفين على أساس خطط لينين لبناء الحزب البروليتاري.

إلى جانب الأسئلة التنظيمية، كانت المعركة الرئيسية التي خاضها لينين، هي الحرب ضدّ الاقتصاديين، الذين أرادوا تقييد الحزب الاشتراكي الديمقراطي بمجرّد النّضال الاقتصادي للعمّال. وقد نمت شعبيتهم في روسيا حينما كان لينين في المنفى، وأدرك لينين أن الاقتصاديين يجب أن يهزموا أيديولوجيا قبل عقد مؤتمر الحزب، فشنّ هجومًا مباشرًا عليهم خاصة من خلال كتابه "ما العمل ؟" الذي كشف فيه كيف أن آراء الاقتصاديين تعني الانحناء لعفوية حركة الطبقة العاملة وإهمال دور الوعي والدّور القيادي للحزب، وأظهر كيف يمكن أن يؤدّي هذا إلى استعباد الطبقة العاملة من قبل الرأسمالية. ورغم أنّهم يتبنّون الماركسية، أراد الاقتصاديون تحويل الحزب الثوري إلى حزب إصلاح اجتماعي، وهكذا أظهر لينين كيف أنّ الاقتصاديين كانوا في الواقع ممثلين روسيين للاتجاه الانتهازي لتحريفية برنشتاين. نجح كتاب لينين، الذي تمّ توزيعه على نطاق واسع في روسيا، في هزيمة الاقتصاديين بشكل قاطع، وهكذا وُضعت المبادئ التي أصبحت فيما بعد الأساس الإيديولوجي للحزب البلشفي.

تمّت الولادة الفعلية للاتجاه البلشفي داخل حزب العمّال الاشتراكي-الديمقراطي الرّوسي في مؤتمر الحزب الثاني، الذي عقد في جويلية وأوت سنة 1903، وكان النقاش الرئيسي في المؤتمر يتعلق بما ينبغي أن تكون عليه طبيعة الحزب، وبالتالي من يجب أن ينال عضويته.

أراد لينين حزباً ثورياً محكماً وفعّالاً ومتماسكاً، فاقترح أن يعمل جميع أعضاء الحزب في إحدى منظّماته الجماهيرية. ومن ناحية أخرى، كان نموذج مارتوف هي الأحزاب القانونية المتساهلة، والتي أصبحت شائعة في الأممية الثانية في ذلك الوقت، لذلك اقترح معايير فضفاضة للعضوية تسمح لأيّ شخص يقبل برنامج الحزب ويؤيّد الحزب مالياً أن يحصل على عضوية الحزب، وبالتّالي كان مستعدًا لمنح عضوية الحزب لأيّ متعاطف مع الحزب. في التصويت على هذه النقطة كانت الأغلبية مع مارتوف، لكن في وقت لاحق عندما انسحبت بعض

الأقسام الانتهازية من الكونفرس، جاءت الأغلبية إلى جانب لينين، وقد انعكس هذا في انتخابات اللّجنة المركزية ومجلس تحرير إيسكرا، الذي جاء وفقا لمقترحات لينين. ومع ذلك، ظلّت الاختلافات بين المجموعتين قوية واستمرت حتى بعد الكونفرس. ومنذ ذلك الوقت، أطلق على أتباع لينين، الذين حصلوا على أغلبية الأصوات في الانتخابات في الكونفرنس، البلاشفة (وهو ما يعني الأغلبية باللغة الروسية)، وأطلق على خصوم لينين، الذين حصلوا على أقلية من الأصوات، اسم المناشفة (وهو ما يعني الأقلية باللغة الروسية).

مباشرة بعد الكونفرنس، بدأ المناشفة الدعاية وتقسيم النشاطات، وقد خلق ذلك الكثير من الارتباك. ومن أجل إزالة هذا الارتباك، قام لينين، في ماي 1904، بنشر كتابه الشهير "خطوة إلى الأمام، خطوتان إلى الوراء"، وقدّم تحليلاً مفصّلاً للنضال داخل الحزب وشرح المبادئ التنظيمية الرئيسية للحزب البروليتاري التي أصبحت فيما بعد تشكل الأساس التنظيمي للحزب البلشفي. جلب نشر هذا الكتاب غالبية المنظمات المحلية للحزب إلى جانب البلاشفة، إلاّ أنّ الهيئات المركزية والجهاز الحزبي واللجنة المركزية ذهبت إلى أيدي المناشفة الذين كانوا مصمّمين على رفض قرارات الكونفرنس، وهكذا أجبر البلاشفة على تشكيل لجنتهم الخاصة وجهاز عمل خاص بهم. كما بدأت كلتا المجموعتان في القيام باستعدادات منفصلة، لتنظيم مؤتمريهما اللذان عقدا في سنة 1905. كان الانقسام في الحزب شاملا، ومع ذلك فقد وضعت الأسس لبناء الحزب الثوري الحقيقي - الحزب البروليتاري من طراز جديد.

الفصل 13 الثورة البرجوازية الروسية لعام 1905
تطوير التكتيكات البروليتارية

جاءت مرحلة الانقسام في الحزب الاشتراكي الديمقراطي في بداية فترة من التغيرات الرئيسية في الوضع العالمي، فقد انهارت فجوة السّلام التي دامت 35 سنة في أوروبّا بين الدّول الرأسمالية الرئيسية بسلسلة من الحروب، وبزغ عصر الإمبرياليّة. بدأت القوى الإمبريالية الجديدة في القتال من أجل تملّك الأسواق وتوسيعه، ودخلت في عدد من الحروب الإقليمية، من أهمّها الحرب الروسية اليابانية في 1905/04. كانت هذه الحروب الإقليمية مجرد طريقة تمكنت بها القوى الإمبريالية من الاستعداد للحرب العالمية الأولى المدمرة التي وقعت في ما بين 1914 و1918 من أجل إعادة تقسيم العالم.

هذه الفترة نفسها كانت أيضا فترة من الاندفاع الجديد للثورات، لم يكن المصدر الرئيسي لهذه الثورات الآن أوروبا بل آسيا، وكانت أوّل هذه الثورات الثورة البرجوازية الروسية عام 1905، والتي أعقبتها الثورات البرجوازية التركية والفارسية والصينية. إن أهم هذه الثورات، من حيث دور البروليتاريا فيها وتطوّر التكتيكات الثورية الماركسية، كانت الثورة الروسية عام 1905، وكانت نقطة البداية هي الحرب الروسية اليابانية. بدأت الحرب الروسية اليابانية في 8 فيفري 1904 وانتهت بهزيمة القيصر وتوقيعه معاهدة سلام مهينة في 23 أوت 1905. تبنّى البلاشفة، وجهة نظر ثورية واضحة في الحرب، فعارضوا حكومتهم، وعارضوا أيّ مفاهيم خاطئة حول الوطنية أو القومية. كانوا يدركون أن هزيمة القيصر ستكون مفيدة، لأنّها ستضعف نظامه وتعزز الثورة، وهذا في الواقع ما حدث. فقد فاقمت الأزمة الاقتصادية في عام 1900 - 1903 بالفعل مشاكل الكادحين، وزادت الحرب من حدّة هذه المعاناة، ومع استمرارها ومواجهة القوات المسلحة

الروسية الهزيمة بعد الهزيمة، ازدادت كراهية الشعب للقيصر وردّ الفعل بثورة كبرى عام 1905.

بدأت التحركات التاريخية، مع إضرابات كبيرة بقيادة البلاشفة من عمّال النفط في باكو في ديسمبر 1904، وكان ذلك "إشارة" لبدء موجة من الإضرابات والأعمال الثورية في جميع أنحاء روسيا. اندلعت العاصفة الثورية تحديدا مع إطلاق النار العشوائي ومجزرة تعرّضت لها مظاهرة من العمّال غير المسلّحين في 22 جانفي 1905 في سان بطرسبرج. أدّت محاولة القيصر لسحق العمال بالقوة إلى ردود فعل أكثر شراسة من قبل الجماهير، فقد كانت سنة 1905 بأكملها فترة موجة متصاعدة من الإضرابات السياسية الكفاحية، من قبل العمال والفلاحين، وتمرّد قام به البحارة في البحرية الروسية في سفينة بوتيمكين. وفي محاولة منه لتهدئة الشعب، عرض القيصر، أوّلاً "دوما" استشارياً ثم "دوما" تشريعياَ (دوما هو البرلمان الروسي)، وقد رفض البلاشفة كليهما بينما قرر المناشفة المشاركة. كانت الثورة في أشدّها بين أكتوبر وديسمبر عام 1905. خلال هذه الفترة، أنشأت البروليتاريا لأوّل مرّة في تاريخ العالم سوفييتات لنواب العمال - التي كانت عبارة عن مجموعات من المندوبين من جميع المصانع والمطاحن. هؤلاء كانوا جنين القوة الثورية، وأصبحوا نموذجًا للسلطة السوفييتية التي نشأت في ما بعد مع الثورة الاشتراكية عام 1917. بدءا من الإضراب السياسي في كامل روسيا في أكتوبر، استمر الصّراع الثوري في الصّعود حتى الانتفاضات المسلحة بقيادة البلاشفة، في ديسمبر، سواءَ في موسكو، أوفي مختلف المدن والقوميات الأخرى في جميع أنحاء البلاد، وقد تم سحقها بوحشية. ثم بدأ تيار الثورة في الانحسار، ومع ذلك، لم يتم سحق الثورة بالكامل وتراجع العمال والفلاحون الثوريون ببطء وهم متأهبون للقتال. شارك أكثر من مليون عامل في الإضرابات عام 1906، و740000 في عام 1907، احتضنت حركة الفلاحين حوالي نصف مقاطعات روسيا القيصرية في النصف الأول من عام 1906، وحوالي الخمس في النصف الثاني من العام. لقد

مرّت موجة الثورة، في 3 جوان 1907، تراجع القيصر، وقام بحل الدوما الذي أنشأه، وسحب حتى الحقوق المحدودة التي كان قد أجبر على منحها خلال الثورة. كانت فترة من القمع الشديد في عهد رئيس الوزراء القيصريّ ستولبين، أطلق عليها ردة فعل ستوليبين، فيما بعد، وقد استمرت حتى الموجة التالية من الإضرابات والنضالات السياسية في عام 1912.

على الرغم من هزيمة ثورة 1905، إلا أنها هزت أسس الحكم القيصري، كما أعطت للطبقة العاملة والفلاحين في فترة قصيرة من ثلاث سنوات، تعليماً سياسياً غنياً، كما كانت الفترة التي أثبت فيها البلاشفة بالممارسة العملية صحة فهمهم الثوري في ما يتعلق باستراتيجية وتكتيكات البروليتاريا. في أثناء هذه الثورة، أدرك البلاشفة أصدقاء وأعداء الثورة، وتبلورت عندهم أشكال النضال وأشكال التنظيم. كان للبلاشفة والمناشفة فهم متباين حول جميع الأسئلة المذكورة أعلاه، كان فهم المناشفة هو الفهم الإصلاحي والقانوني الذي كان شائعًا في ذلك الحين في العديد من أحزاب الأممية الثانية، كان مبنيا على أساس تصورهم أن الثورة الروسية، كونها ثورة برجوازية، يجب أن تقودها البرجوازية الليبرالية، وبالتالي لا ينبغي على البروليتاريا أن تتخذ أي خطوة من شأنها أن تخيف البرجوازية وتدفعها إلى أحضان القيصر.

من ناحية أخرى، كان الفهم البلشفي هو الفهم الثوري بأن البروليتاريا لا تستطيع الاعتماد على البرجوازية لقيادة الثورة بل يجب عليها هي أن تتولى قيادة الثورة، وعلى هذا الأساس الثوري، طور البلاشفة فهمهم لجميع المسائل الاستراتيجية والتكتيكية الأخرى للثورة. هكذا دعا البلاشفة إلى تمديد الثورة والإطاحة بالقيصر من خلال الانتفاضة المسلحة، وحاول المناشفة قيادة الثورة في إطار سلمي وحاولوا إصلاح وتحسين القيصرية. وفيما دفع البلاشفة من أجل قيادة الطبقة العاملة وعزل البرجوازية الليبرالية وتحالف قوي مع الفلاحين، وافق المناشفة على التحالف مع البرجوازية الليبرالية ومنحها القيادة، ولم يعتبروا

الفلاحين طبقة ثورية يتحالفون معها. أراد البلاشفة حكومة ثورية مؤقتة، يتم تشكيلها على أساس انتفاضة شعبية، ودعوا إلى مقاطعة الدوما التي اقترحها القيصر، أمّا المناشفة فأرادوا المشاركة في مجلس الدوما واقترحوا جعله مركز "القوى الثورية" للبلاد. لم يكن الفهم المنشفي مثالًا معزولًا عن الاتجاه الإصلاحي، في الواقع، كان فهم المناشفة مماثلاً تمامًا لفهم، الأحزاب الرئيسية الرائدة في الأممية الثانية في ذلك الوقت، وقد كان موقفهم مدعومًا أساسًا من قادة الأممية في ذلك الوقت. وهكذا لم يكن لينين والبلاشفة يقاتلون فقط إصلاحية المناشفة، بل كذلك الفهم الإصلاحي الذي سيطر بعد ذلك على ما يسمى بالأحزاب الماركسية للأممية. ومع ذلك، كانت صيغ لينين استمراراً وتطوراً للفهم الثوري لماركس وإنجلز. لقد كان تطوراً إضافياً للتكتيكات الثورية الماركسية المطبقة في الظروف الجديدة الناجمة عن نمو الرأسمالية إلى مرحلة جديدة - الإمبريالية. لقد طرح لينين هذه التكتيكات في كتاباته المختلفة خلال فترة الثورة ولا سيما في كتابه "تكتيكان للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية"، هذا الكتاب الذي ألّف في جويلية 1905 بعد عقد البلاشفة والمناشفة مؤتمرين منفصلين، وقد أبرز فيه الاختلافات الأساسية في الاستراتيجية والتكتيكات التي اقترحتها المجموعتان.

المبادئ التكتيكية الأساسية التي قدمها لينين في هذا الكتاب وغيره كانت: إنّ المبدأ التكتيكي الرئيسي الذي يمر عبر جميع كتابات لينين هو أن البروليتاريا يمكن لها بل ويجب عليها أن تكون زعيمة الثورة الديمقراطية البرجوازية، من أجل القيام بذلك ؛ شرطان كانا ضروريين: أوّلاً، كان من الضروري أن يكون لدى البروليتاريا طبقة حليفة لها مصلحة في الانتصار على القيصرية، وأن تكون مستعداً لقبول قيادة البروليتاريا، اعتبر لينين أن هذه الطبقة هي طبقة الفلاحين، ثانياً، كان من الضروري للطبقة التي تحارب البروليتاريا في قيادة الثورة وتسعى إلى أن تصبح قائدها الوحيد أن تجبر على الخروج من ساحة القيادة وأن تعزل، اعتبر لينين أن البرجوازية الليبرالية كانت هذه الطبقة. وهكذا فإن جوهر المبدأ

التكتيكي الرئيسي للينين في قيادة البروليتاريا كان يعني تزامن سياسة التحالف مع الفلاحين وسياسة عزل البورجوازية الليبرالية.

وفي ما يتعلق بأشكال النضال وأشكال التنظيم، اعتبر لينين أن أكثر الوسائل فعالية لإسقاط القيصر وتحقيق جمهورية ديمقراطية هو انتفاضة مسلّحة ينتصر فيها الشعب، ومن أجل تحقيق ذلك، دعا لينين إلى إضرابات سياسية جماهيرية وتسليح العمال، كما دعا إلى تفعيل مبدأ 8 ساعات عمل، ومطالب أخرى فوريّة للطبقة العاملة بطريقة ثورية عن طريق التمرد على السلطات والقانون، كذلك، دعا إلى تشكيل لجان فلاحية ثورية، لإحداث تغييرات مثل الاستيلاء على الأراضي، بطريقة ثورية. هذه التكتيكات المتمردة على السلطات شلت آلية الدولة القيصرية وأعطت المبادرة للجماهير، وقد أدى ذلك إلى تشكيل لجان الإضراب الثورية في المدن ولجان الفلاحين الثورية في الريف، التي تطورت لاحقا إلى سوفياتات نواب العمال وسوفياتات نواب الفلاحين. اعتبر لينين كذلك أن الثورة يجب ألا تتوقف بعد انتصار الثورة البرجوازية وتحقيق جمهورية ديمقراطية، واقترح أن من واجب الحزب الثوري أن يفعل كل شيء ممكن لجعل الثورة الديمقراطية البرجوازية تمر الى الثورة الاشتراكية، وقد اعطى بذلك شكلاً ملموسًا لمفهوم ماركس حول الثورة غير المنقطعة.

أصبحت هذه المبادئ التكتيكية أساسًا للممارسة البلشفية خلال الفترة التالية. وأدت في النهاية إلى انتصار البروليتاريا في ثورة أكتوبر عام 1917 وإقامة أول دولة عمالية.

الفصل 14 الحرب العالمية الأولى

التكتيكات الثّوريّــة في مواجهة التكتيكات الانتهـازيّة

أدّى صعود الإمبريالية الى الحروب منذ مطلع القرن بين القوى الامبريالية للحصول على المستعمرات، مثال على ذلك الحرب الروسية اليابانية المذكورة في الفصل السابق. وقعت هذه الحرب لأن كل من روسيا واليابان أرادت السيطرة على منشوريا في شمال الصين وكوريا. كما بدأت حروب مماثلة للاستيلاء على المستعمرات أو استعادتها في مناطق مختلفة من العالم، وهكذا أصبح من الأهمية بمكان أن تتبنى الحركة البروليتارية العالميّة الموقف الثوري الصحيح بشأن مسائل الاستعمار والحرب.

بحلول ذلك الوقت، كانت الانتهازية قد انتشرت على نطاق واسع داخل أحزاب الأممية الثانية، فبدأت العديد من أقسامها وأحزابها القيادية في البلدان الإمبريالية في تبني وجهة نظر البرجوازية، في العديد من المسائل السياسية الحاسمة، وقد شوهد هذا بوضوح شديد في مؤتمر 1907 الدولي الثاني حيث تم طرح أسئلة حول الاستعمار والحرب لأول مرة. في ما يتعلق بمسألة الاستعمار، تبنت الهيئة القيادية للكونغرس - لجنة المؤتمر - قراراً بشأن السياسة الاستعمارية ووضعته أمام الهيئة العامة للموافقة عليه، وفي الوقت الذي انتقد فيه هذا القرار السياسة الاستعمارية للبرجوازية من أجل الاسم لا أكثر، لم يرفض تماما مبدأ الاستيلاء على المستعمرات. لقد جادل في الواقع أنه في ظل النظام الاشتراكي يمكن أن يكون الاستيلاء على المستعمرات في "مصلحة الحضارة"، وقد عارض الثوريون في الهيئة العامة مثل هذا الموقف الإمبريالي الواضح من هؤلاء الماركسيين المزعومين، وتم هزم القرار في النهاية، ولكن بفارق صغير بلغ 127 صوتًا فقط مقابل 108 أصوات. تجلّت انتهازية القيادة من جديد، عند الوقوف على مسألة الحرب، ورغم أن بيبل رفض القرار، وهو زعيم معروف وأحد المقربين من ماركس

وإنجلز، بيد أن القرار ترك مبهما، دون تحديد الاتجاه أو مسار العمل الواجب اتخاذه من جانب الأعضاء في حالة الحرب، وقد عورض القرار بقوة هذه المرة ايضا من قبل الثوريين - ولا سيما روزا لوكسمبورغ من ألمانيا ولينين اللذين اقترحا تعديلاً أعطى توجيهات واضحة لأعضاء الأممية للوقوف ضد الحرب، والعمل بكل ما يقدرون على إنهائها في حال بدأت، والاستفادة الكاملة من الأزمة الاقتصادية والسياسية في حالة الحرب لإثارة الشعب وتحقيق ثورة. كان هذا استمراراً واضحا للموقف البروليتاري الثوري الذي وضعه ماركس بشأن الحرب، وبما أن الانتهازيين لا يستطيعون معارضة هذا الفهم صراحة، فقد وافق الكونفرنس على هذا القرار. مع ازدياد خطر الحرب واقتراب مؤتمر الأممية لعامي 1910 و1912 جرت نقاشات جديدة واعتماد قرارات تتعلق بالحرب. وقرروا أن جميع الاشتراكيين في البرلمان، يجب أن يصوتوا ضد ائتمانات الحرب، كما كرروا في قراراتهم، صياغة التعديل المقترح في عام 1907 من قبل لوكسمبورغ ولينين. ومع ذلك، فقد كانت الانتهازية في الأممية الثانية عظيمة إلى درجة أن معظم القادة الذين أصدروا هذه القرارات لم يكن لديهم اي نية لتطبيقها. (وسيتجلى هذا عندما نشبت الحرب العالمية الأولى في جويلية وأوت من عام 1914). بدأ الأمر بالحزب الاشتراكي الديموقراطي الألماني، الذي كان زعيما لا غبار عليه للأممية الثانية، فدخل البيروقراطيون النقابيون في اتفاق عدم إضراب مع أرباب العمل بدلاً من محاولة تأجيج العمال ضد الحرب والثورة، وفي الاجتماع الحزبي (الجزئي) الذي عقد قبل التصويت البرلماني على ائتمانات الحرب، صوتت أغلبية كبيرة لصالح الحرب، فقط حفنة من الثوار بقيادة كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ عارضوه، أمّا كاوتسكي، الذي كان في ذلك الوقت الزعيم الأيديولوجي الرئيسي للأممية الثانية، فقد صوّت بالاحتفاظ. وهكذا في 4 أوت 1914 ألقى الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني جانبا كل قرارات الكونفرنس السابقة وصوّت بالإجماع في البرلمان لدعم الحرب الإمبريالية. بالنسبة للبروليتاريا الثورية، توقفت الأممية الثانية منذ ذلك التاريخ، وتبعت أغلبية الاشتراكيين في فرنسا وبريطانيا

وبلجيكا ودول أخرى الحزب الألماني على الفور، وتشظت الأممية الثانية إلى أحزاب اشتراكية شوفينية منفصلة تحارب بعضها بعضاً.

كان البلاشفة تقريبا، الطرف الوحيد الذي وقف إلى جانب القرارات المناهضة للحرب، في سياق سقوط قادة الأممية الثانية كليا في الانتهازية، كان على لينين والبلاشفة، دعم الموقف الماركسي الصحيح في ما يتعلق بالحرب العالمية. فطرح لينين على الفور كتابات تقدّم هذا الفهم، وقد وجهت اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي (البلشفي) دعوة إلى "تحويل الحرب الإمبريالية إلى حرب أهلية" وبناء أممية ثالثة جديدة بدلاً من الأممية الثانية. بدأ لينين عملية بناء الأممية الثالثة بتوحيد جميع القوى اليسارية المناهضة للحرب، وعلى الرغم من أن هذه القوى بدأت في عقد المؤتمرات منذ عام 1915، استمر لديها الكثير من الارتباك، فكان على لينين أن يتولى مهمة إزالته، وإرساء الموقف الثوري الصحيح حول مبادئ الاشتراكية في ما يتعلق بالحرب، وكذلك مهام الاشتراكيين الديمقراطيين الثوريين على المستوى الدولي وعلى مستوى روسيا، فقام بذلك من خلال كتاباته المختلفة التي انتشرت داخل روسيا وكذلك على المستوى العالمي. يمكن عرض المبادئ والمهام التي حددها لينين بالطريقة التالية:

أولاً، الاشتراكيون ليسوا من دعاة السلام الذين يعارضون كل الحروب، بل يهدفون إلى تأسيس الاشتراكية والشيوعية، والتي من خلال القضاء على جميع اشكال الاستغلال ستزيل إمكانية الحرب، لكن في الكفاح من أجل تحقيق النظام الاشتراكي، ستكون هناك دائماً إمكانية اندلاع حروب ضرورية وذات أهمية ثورية.

ثانياً، في الوقت الذي يقررون فيه موقفا سيتم تبنيه تجاه حرب معينة، فإن القضية الأساسية بالنسبة للاشتراكيين هي ما هو هدف الحرب ومن الطبقات التي ستقيمها وتديرها ؟ فأشار إلى أنه خلال فترة الثورة الديمقراطية البرجوازية، دعّم ماركس الحروب التي خاضتها البرجوازية، التي كانت ضد الإقطاع والملوك

الرجعيين، ولأنّ هذه الحروب كانت تهدف إلى القضاء على الإقطاعية وتأسيس الرأسمالية أو تقويتها، فقد كانت حروبا تقدمية أو عادلة. وباعتماد معايير مماثلة، أشار لينين إلى أنه في عصر الإمبريالية والثورة البروليتارية، سيدعّم الاشتراكيون جميع الحروب التي تدفع نحو الثورة الاشتراكية العالمية، ووفقًا لمثل هذا الفهم، قدم لينين أمثلة على أنواع الحروب التي يمكن تسميتها حروباً عادلة أو تقدمية:

1- الحروب الوطنية التي تخوضها الدولة المستعمَرة أو شبه المستعمَرة ضد المستغل الإمبريالي.

2- الحروب الأهلية التي تخوضها البروليتاريا وغيرها من الطبقات المظلومة ضد الطبقات الحاكمة الإقطاعية أو الرأسمالية.

3- الحروب الاشتراكية للدفاع عن الوطن الاشتراكي.

ثالثًا، أشار لينين إلى أنه على أساس الفهم الموضح أعلاه لم يكن هناك شيء عادل أو تقدمي في الحرب العالمية الأولى، وشبّه الحرب الإمبريالية بحرب بين مالك عبيد يمتلك 100 عبد ومالك آخر يملك 200 عبد لإعادة توزيع أكثر "عدلاً" للعبيد. كان الهدف الأساسي للحرب العالمية الأولى هو إعادة توزيع المستعمرات، فقد كانت حرباً رجعية ظالمة، والموقف الوحيد حيال ذلك، يمكن أن يكون دعوة لتحويل الحرب الإمبريالية إلى حرب أهلية لأن الاستخدام الوحيد لمثل هذه الحرب هو الاستفادة منها لإحداث ثورة. من أجل القيام بذلك، أشار لينين إلى أنه من المفيد أن يهزم البلد في الحرب، لأن الهزيمة من شأنها إضعاف الطبقة الحاكمة وتيسير انتصار الثورة، وهكذا يجب على أي ثوري اشتراكي العمل من أجل هزيمة حكومته في الحرب.

وأخيراً، أشار لينين إلى أنه من واجب الاشتراكيين المشاركة في الحركة من أجل السلام، ومع ذلك، أثناء مشاركتهم في الحركة من أجل السلام، من واجبهم الإشارة إلى أنه لا يمكن تحقيق سلام حقيقي ودائم بدون حركة ثورية، في الواقع، يجب

على من يريد السلام العادل والديمقراطي أن يقف في حرب أهلية ضد الحكومات والبرجوازية. رغم أن هذه المبادئ والتكتيكات قد انتشرت بين جميع أطراف الأممية الثانية، إلا أن البلاشفة هم الوحيدون الذين نفذوها عملياَ، كانت هذه المقاربة للحرب هي التي ساعدتهم على الاستفادة من الحالة الثورية للأزمة التي خلقتها الحرب، وفي غضون ثلاث سنوات حققوا انتصار الثورة الاشتراكية العظمى في أكتوبر عام 1917.

الفصل 15   تحليل لينين للإمبريالية، أعلى مرحلة من الرأسمالية

ينتمي تحليل ماركس لقوانين الحركة الرأسمالية إلى مرحلة الرأسمالية التنافسية الحرة التي يتنافس فيها عدد كبير من المنتجين الرأسماليين في السوق، لقد حلّل إلى حد ما عملية تمركز رأس المال. الا انه لم يعش طويلا بما يكفي لرؤية بداية مرحلة جديدة في الرأسمالية - مرحلة الإمبريالية. حدث هذا في بداية القرن العشرين، وترك للينين تحليل هذه العملية. في عام 1897-1898 أجرى لينين بعض التحليلات الأولية لتطوّر السوق العالمية الرأسمالية، لكنه لم يحلل بالكامل موضوع الإمبريالية، لكن مع بداية الحرب العالمية الأولى كان من الضروري إجراء تحليل كامل للإمبريالية التي كانت الحرب بسببها، لفهم الأساس الاقتصادي للحرب والعواقب السياسية بالنسبة للبروليتاريا.

أصبح هذا السؤال أكثر إلحاحًا في عام 1915 عندما كتب الزعيم الانتهازي والتحريفي للأممية الثانية، كارل كاوتسكي، كتابًا عن الإمبريالية حيث جادل بأن النظام الاقتصادي العالمي يتحرك نحو "ما بعد الإمبريالية" حيث سيكون هناك استقرار ولا خوف من الحرب. كانت حجته مشابهة لبعض الناس الذين يحللون العولمة اليوم ويزعمون أنه بسبب نمو المجموعات والشركات المتعددة الجنسيات وانتشار رؤوس أموالها في جميع البلدان، فإن هذه الشركات متعددة الجنسيات ستعارض الحرب، وبالتالي لا يوجد خطر من وجود حرب عالمية. وبما أنّ هذه النظرية الخاطئة، قُدّمت من قبل كاوتسكي، الذي اعتبر حينها المنظر الرئيسي للماركسية، كان من الضروري للغاية معارضتها وتقديم الفهم الصحيح. كان من الضروري إزالة الارتباك الذي أوجده أنصار الأممية الثانية، وإعطاء التحليل الصحيح وتقديم التكتيكات الصحيحة أمام حركة الطبقة العاملة الدولية. من أجل القيام بذلك، قام لينين، في عام 1916، بأبحاث واسعة وأنتج عمله الشهير "الإمبريالية، أعلى مراحل الرأسمالية". إلى جانب هذا العمل الرئيسي، كتب

العديد من المقالات الأخرى التي تربط بين هذا التحليل الاقتصادي الأساسي وتكتيكات البروليتاريا.

في المقام الأول، حاول لينين أن يزيل الارتباك الذي أوجده كاوتسكي وغيره من الانتهازيين في ما يتعلق بـ "ما هي الإمبريالية ؟". من أجل الإجابة على ذلك، أشار إلى أن الإمبريالية هي مرحلة تاريخية محددة من الرأسمالية، ولها طبيعة ثلاثية: الإمبريالية هي (1) الرأسمالية الاحتكارية. (2) الرأسمالية الطفيلية أو المتحللة. (3) الرأسمالية المحتضرة أو الرأسمالية على فراش الموت. إنّ استبدال المنافسة الحرة بالاحتكار هو السمة الاقتصادية الأساسية بل هو جوهر الإمبريالية.

تظهر الرأسمالية الاحتكارية في خمسة أشكال رئيسية:

(1) الكارتلات والنقابات (اتحادات منتجين) والترست (اندماج). لقد بلغ تركيز الإنتاج درجة أدت إلى ظهور هذه الجمعيات الاحتكارية للرأسماليين الذين ينضمون معا لسحق المنافسين الآخرين، فهي تحدد الأسعار وتقسم الإنتاج في ما بينها، وتقوم بترتيبات واتفاقات أخرى لمنع الآخرين من الدخول إلى السوق والنجاح فيها، وهم يلعبون دورا حاسما في الحياة الاقتصادية.

(2) الطبيعة الاحتكارية للمصارف الكبرى، وإنشاء رأس المال المالي من خلال دمج رأس المال الصناعي الاحتكاري ورأس المال المصرفي. خلال فترة لينين، وصل هذا بالفعل إلى المستوى الذي تلاعبت فيه أربعة أو خمسة بنوك عملاقة بالحياة الاقتصادية بأكملها، في المناطق الصناعية الرئيسية.

(3) تصدير رأس المال وهو يكتسب أهمية خاصة. هذه الميزة التي تختلف عن تصدير السلع في ظل الرأسمالية غير الاحتكارية وترتبط ارتباطا وثيقا بالتقسيم الاقتصادي والسياسي للعالم.

(4) التقسيم الاقتصادي للعالم من قبل الكارتلات الدولية. في زمن لينين كان هناك بالفعل أكثر من مائة من الكارتلات الدولية، التي قادت السوق العالمية بأكملها وقسمتها في ما بينها بطريقة "ودية"، وبالطبع، لن تكون هذه "الودية" إلا مؤقتة وستستمر حتى تحدث الحرب لإعادة تقسيم الأسواق.

(5) التقسيم الإقليمي (السياسي) للعالم (المستعمرات) بين أكبر القوى الرأسمالية. لقد استكملت عملية استعمار جميع بلدان العالم المتخلفة في الأساس عند فجر الإمبريالية، أي مستعمرات أخرى يمكن أن تتم فقط من خلال إعادة تقسيم العالم، من خلال الحرب.

على أساس الميزات المذكورة أعلاه، يعرّف لينين الإمبريالية على النحو التالي: "الإمبريالية هي الرأسمالية في تلك المرحلة من التطور التي ترسخت فيها هيمنة الاحتكارات ورأس المال المالي وحيث اكتسب تصدير رأس المال أهمية كبيرة وحيث بدأ تقسيم العالم بين الترستات وحيث تم الانتهاء من تقسيم جميع مناطق العالم بين القوى الرأسمالية الكبرى" .

حقيقة أن الإمبريالية هي رأسمالية طفيلية أو متحللة تتجلى أولاً وقبل كل شيء في الميل إلى الانحطاط، وهو سمة من سمات كل احتكار في ظل نظام الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج. وبالمقارنة مع التوسع السريع في ظل المنافسة الحرة، هناك ميل إلى الانخفاض في عملية الإنتاج ككل، ففي ظل الاحتكار، يتم إحباط التقدم التكنولوجي ويتم قمع الابتكارات وبراءات الاختراع الجديدة عمدا. ثانياً، يتجلى انحطاط الرأسمالية في خلق طبقة ضخمة من الريعيين، وهم رأسماليون يعيشون بدون عمل ولكن فقط على أساس الفائدة أو المكاسب التي يحصلون عليها من استثماراتهم. ثالثاً، تصدير رأس المال، يبين درجة الطفيلية العالية، لأنه يعني الاستغلال المفتوح للعمالة الرخيصة للبلدان المتخلفة. رابعاً، يسعى رأس المال المالي إلى الهيمنة وليس الحرية. إن رد الفعل السياسي على طول الخط هو

سمة مميزة للإمبريالية، الفساد والرشوة على نطاق واسع وجميع أنواع الاحتيال تصبح شائعة. خامساً، استغلال البلدان المضطهدة ولا سيما استغلال المستعمرات من قبل حفنة من القوى "العظمى"، يحوِل العالم الإمبريالي بشكل متزايد إلى طفيليات تعتاش على جسد مئات الملايين في البلدان المضطهدة. وهي المرحلة التي تعيش فيها الطبقة العليا المتميزة من البروليتاريا في البلدان الإمبريالية رفاها جزئياً على حساب مئات الملايين في المستعمرات.

الإمبريالية هي الرأسمالية المحتضرة، لأنها رأسمالية تمر بمرحلة انتقالية إلى الاشتراكية. فالاحتكار، الذي ينمو من الرأسمالية، هو حالة احتضارها وبداية انتقالها إلى الاشتراكية. إن التنشئة الاجتماعية الهائلة للعمالة، من خلال الإمبريالية تنتج نفس النتيجة، يزداد التناقض الأساسي للرأسمالية بين الطابع الاجتماعي للإنتاج والطابع الخاص للملكية تكثفا في ظل الإمبريالية. هكذا يقول لينين، "الإمبريالية هي عشية الثورة الاجتماعية للبروليتاريا".

كما ذكرنا سابقاً، في الفصل الثّالث عشر، كانت الفترة التالية لهزيمة ثورة 1905 فترة من القمع الشديد وردّ الفعل تحت قيادة رئيس وزراء القيصر، ستوليبين. لقد كانت الطبقة العاملة هي الهدف الرئيسي للهجوم. وانخفضت الأجور بنسبة 10 إلى 15 في المائة، وزاد يوم العمل إلى 10 و12 ساعة. وضعت قوائم سوداء للمكافحين، للعمال المناضلين الذين طردوا من وظائفهم. تم إدخال أنظمة الغرامات على العمال. وقوبلت أي محاولة للتنظيم بهجمات وحشية من قبل الشرطة والعصابات التي يتحكم فيها رجال القيصر. في ظل هذه الحالة، بدأ العديد من المفكرين والعناصر البرجوازية الصغيرة في التراجع وانضم بعضهم إلى معسكر العدو.

من أجل مواجهة هذا الوضع الجديد، غير البلاشفة التكتيكات من هجومية (مثل الإضراب العام والانتفاضة المسلحة التي استخدمت خلال فترة ثورة 1905) إلى دفاعية. أي بمعنى تكتيكات حشد القوى، وعودة الكوادر الى السرية، ومواصلة عمل الحزب من تحت الأرض، وتكتيكات الجمع بين العمل غير القانوني والعمل في المنظمات القانونية للطبقة العاملة. اي انه قد تم استبدال النضال الثوري المفتوح ضد القيصرية بأساليب ملتوية للنضال.

عملت المنظمات القانونية المتبقية كغطاء للمنظمات السرية للحزب وأيضا كوسيلة للحفاظ على علاقاته مع الجماهير. ومن أجل ذلك، استغل البلاشفة النقابات والمنظمات الغير الحكومية الأخرى القائمة قانونيا، مثل جمعيات المرضى، والجمعيات التعاونية للعمال، والنوادي، والجمعيات التعليمية بل وحتى البرلمان. فقد استفاد البلاشفة من منبر مجلس الدوما لفضح سياسة الحكومة القيصرية، وفضح الأحزاب الليبرالية، وكسب دعم الفلاحين للبروليتاريا. سمح

الحفاظ على التنظيم السرّي للحزب بمتابعة خطّه الصحيح وحشد القوى استعداداً لحدوث موجة جديدة من المد الثوري.

في تنفيذ هذه التكتيكات، كان على البلاشفة خوض النضال ضد انحرافين داخل الحركة - التصفويون والمقاطعون. أراد التصفويون، الذين كانوا من المناشفة، إنهاء الجناح غير القانوني للحزب وإنشاء حزب "عمالي" قانوني بموافقة الحكومة. أمّا المقاطعون، الذين كانوا من بين البلاشفة، أرادوا سحب جميع البلاشفة المتواجدين في مجلس الدوما، والانسحاب أيضا من نقابات العمال ومن جميع أشكال المنظمات القانونية الأخرى، كانوا يريدون فقط الشكل غير القانوني للتنظّم. كانت نتيجة تكتيكات كلا المجموعتين هي منع الحزب من حشد كل القوى لتحقيق تقدم جديد للثورة. رافضين كلا الانحرافين، استخدم البلاشفة تكتيكات الجمع بين الوسائل القانونية والغير قانونية وتمكنوا من الحصول على وجود قوي في العديد من منظمات العمال والفوز أيضا بعدد من المنظمات العمالية التابعة للمناشفة. عزّز هذا قوة الحزب وأعده للانتعاش الثوري القادم، والذي بدأ منذ عام 1912.

عقد البلاشفة مؤتمراً حزبيا منفصلاً في جانفي 1912 واعتبروا أنفسهم طرفا منفصلا - حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي (البلاشفة). في هذا المؤتمر نفسه، قاموا بتقييم تطور الحركة الثورية التي ظهرت من خلال ارتفاع عدد المضربين في عام 1911. وتم اتخاذ قرار بشأن تكتيكات جديدة تبلورت من خال اجتماعات لاحقة للجنة المركزية، شملت توسيع وتكثيف نضالات العمال. كان أحد الجوانب الهامة للتكتيكات خلال هذه الفترة هو بداية الصحيفة اليومية، الـ"برافدا" (Pravda) (الحقيقة)، والتي ساعدت على تقوية المنظمات البلشفية ونشر نفوذها بين الجماهير. في وقت سابق كان للبلاشفة صحيفة أسبوعية، مخصصة للعمال المثقفين، إلاّ أن برافدا كانت صحيفة يومية سياسية

جماهيرية تهدف إلى الوصول إلى طيف أوسع من العمال. بدأت الجريدة صدورها في 5 ماي 1912، ودامت عامين ونصف. وخلال هذه الفترة واجهت العديد من المشاكل والغرامات الباهظة من الرقابة الحكومية، تم منعها ثماني مرات ولكنها كانت تعاود الظهور في كل مرة بعد تعديل اسمها قليلاً. كان متوسط توزيعها 40000 نسخة. كانت برافدا مدعومة من عدد كبير من العمال المثقفين - حيث تم جمع 5600 مجموعة عمالية من أجل الصحافة البلشفية. من خلال البرافدا، انتشر نفوذ البلشفية ليس فقط بين العمال، ولكن أيضا بين الفلاحين. في الواقع، مكنت فترة الحركة الثورية (1912-1914) من وضع الأساس المتين لحزب بلشفي كبير، وكما قال ستالين، "وضعت برافدا عام 1912 حجر الزاوية في انتصار البلشفية في عام 1917".

مع اندلاع الحرب في عام 1914، ازداد الوضع الثوري نضجاً، وقام البلاشفة بدعاية واسعة النطاق بين العمال ضد الحرب ولإسقاط القيصرية. تم تشكيل وحدات وخلايا أيضا في الجيش والبحرية، في الجبهات وفي العمق، ووزعت منشورات تدعو إلى الوقوف ضد الحرب. في الجبهة، خلال عامي 1915 و1916 وبعد التحريض المكثف للحزب من أجل الصداقة والأخوة بين جنود الجيوش المتحاربة، كانت هناك حالات متزايدة قامت فيها وحدات الجيش بعصيان أوامر الهجوم.

كسبت البرجوازية ومالكو الأراضي ثروات من الحرب، لكن العمال والفلاحين عانوا من صعوبات متزايدة، وقد مات الملايين مباشرة بسبب الجروح أو بسبب الأوبئة الناجمة عن ظروف الحرب. في جانفي وفيفري 1917، تدهور الوضع بشكل كبير وانتشرت الكراهية والغضب ضد الحكومة القيصرية. حتى البورجوازية الإمبريالية الروسية، كانت حذرة من القيصر، الذي عمل مستشاروه من أجل سلام منفصل مع ألمانيا، وبدعم من الحكومتين البريطانية والفرنسية

خططوا هم أيضا، لتغيير القيصر من خلال انقلاب داخل القصر، ولكن الشعب تحرك أولا.

بدءا من جانفي 1917، بدأت حركة إضرابات ثورية قوية في موسكو وبتروغراد وباكو وغيرها من المراكز الصناعية. ونظّم البلاشفة مظاهرات كبيرة في الشارع لصالح إضراب عام. مع اكتساب حركة الإضراب زخماً، في 8 مارس / آذار، اليوم العالمي للمرأة، تم استدعاء النساء العاملات في بتروغراد من قبل البلاشفة للتظاهر ضد المجاعة والحرب والقيصرية ودعّم العمال النساء العاملات بالإضرابات وبحلول 11 مارس، اتخذت الإضرابات والمظاهرات طابع الانتفاضة المسلحة. أصدر مكتب اللجنة المركزية في 11 مارس دعوة لاستمرار الانتفاضة المسلحة للإطاحة بالقيصر وإقامة حكومة ثورية مؤقتة. في 12 مارس، انضمّ 60 ألف جندي إلى الثورة، فحاربوا الشرطة وساعدوا العمّال على الإطاحة بالقيصر. ومع انتشار الأخبار، بدأ العمال والجنود في كل مكان بإقالة المسؤولين القيصريين وانتصرت ثورة فيفري البرجوازية الديمقراطية. (تسمى ثورة فبراير لأن التقويم الروسي في ذلك الوقت كان متأخرا بـ13 يومًا عن التقويم في أجزاء أخرى من العالم وكان تاريخ انتصار الثورة 27 فبراير وفقًا للتقويم الروسي).

حالما سقطت القيصرية، وبمبادرة من البلاشفة، نشأت سوفياتات نواب العمال والجنود، ومع ذلك، في حين كان البلاشفة يقودون مباشرة نضال الجماهير في الشوارع، كانت الأحزاب المتنازعة والمناشفة والاشتراكيون الثوريون (وهو حزب بورجوازي صغير كان استمرارية للنارودنك الأوائل) يستولون على المقاعد في مجالس السوفيات، ويقيمون أغلبية هناك. وهكذا ترأسوا السوفياتات في بتروغراد وموسكو وعدد من المدن الأخرى. في هذه الأثناء، قام الأعضاء البرجوازيون الليبراليون في مجلس الدوما باتفاق مستتر مع المناشفة والاشتراكيين الثوريين وشكلوا حكومة مؤقتة، وكانت النتيجة تشكيل جهازيْن يمثلان

ديكتاتوريتين: ديكتاتورية البرجوازية، ممثلة في الحكومة المؤقتة، وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين، ممثلة في سوفياتات نواب العمال والجنود. أطلق لينين على ذلك (ازدواجية السلطة).

مباشرة بعد الثورة البرجوازية، كان لينين لا يزال في سويسرا، وكتب مؤلفه المشهور "رسائل من بعيد"، حيث حلل فيه هذه الازدواجية في السلطة. وبين كيف ان السوفياتات جنين لحكومة العمال، وأنّه يجب عليها المضي قدمًا للفوز في المرحلة الثانية من الثورة أي في الثورة الاشتراكية التي سيكون حلفاؤهم فيها اشباه البروليتاريا وجماهير صغار الفلاحين والبروليتاريا في جميع البلدان. في 16 أفريل 1917، وصل لينين إلى بتروغراد بعد فترة طويلة من المنفى، وفي اليوم التالي قدم "أطروحات أفريل" الشهيرة قبيل اجتماع البلاشفة ودعا إلى معارضة الحكومة المؤقتة والعمل من أجل الأغلبية البلشفية في السوفايت ونقل سلطة الدولة إلى السوفيات، قدّم البرنامج لضمان السلام والأرض والخبز، وأخيراً، دعا إلى عقد مؤتمر حزبي جديد باسم جديد للحزب : الحزب الشيوعي، كما دعا إلى بناء أممية جديدة: الأممية الثالثة. هاجم المناشفة فوراً اطروحات لينين، وحذروا من أن "الثورة في خطر"، لكن في غضون ثلاثة أسابيع، وافق أوّل مؤتمر علني مفتوح لعموم الحزب في روسيا (المؤتمر السابع) للحزب البلشفي، على تقرير لينين القائم على هذه الأطروحات فرفع شعار "كل االسلطة للسوفيات!" كما وافق على قرار مهم جدا، قدمه ستالين أعلن فيه حق الدول في تقرير المصير، بما في ذلك الانفصال.

في الأشهر التالية، عمل البلاشفة بنشاط وفقا لخط المؤتمر، وتمكنوا من إقناع جماهير العمال والجنود والفلاحين بصحة موقفهم. عقد مؤتمر الحزب السادس أيضا في أوت 1917 بعد انقطاع دام عشر سنوات. وبسبب خطر الهجوم من الحكومة المؤقتة، عقد المؤتمر سراً في بتروغراد، دون وجود لينين. وقدم فيه ستالين

التقارير السياسية الرئيسية، التي دعت إلى التحضير للانتفاضة المسلحة. اعتمد المؤتمر أيضا قواعد حزبية جديدة تنص على أن جميع المنظمات الحزبية سوف تبنى على مبادئ المركزية الديمقراطية. كما تم قبول المجموعة التي يقودها تروتسكي في الحزب. بعد فترة وجيزة من المؤتمر، نظم القائد العام للجيش الروسي، الجنرال كورنيلوف، محاولة من الجيش من أجل سحق البلاشفة والسوفيات. ولكن البلاشفة نجحوا في اقناع جنود العديد من الأقسام بعدم إطاعة الأوامر، ليفشل التمرد، بعد فشل هذه المحاولة، أدركت الجماهير أن البلاشفة والسوفيات كانوا الضمانة الوحيدة لتحقيق السلام والأرض والخبز، التي كانت مطالبهم الملحة فتمت بلشفة السوفياتات بسرعة، وارتفع المد الثوري، وبدأ الحزب في التحضير للانتفاضة المسلحة.

في هذه الفترة، اضطر لينين، لأسباب أمنية، إلى البقاء في فنلندا بعيداً عن ساحة المعركة الرئيسية، وخلالها أكمل كتابه "الدولة والثورة"، الذي دافع وطور تعاليم ماركس وإنجلز حول مسألة الدولة. كشف فيه بشكل خاص عن التشويهات التي أدخلت على هذه المسألة من قبل الانتهازيين مثل كاوتسكي، كان لعمل لينين بعد ذلك أهمية نظرية وعملية هائلة على المستوى العالمي، لأنه، وكما رأى لينين بوضوح في ذلك الوقت، كانت الثورة البرجوازية الروسية في فيفري حلقة في سلسلة من الثورات البروليتارية الاشتراكية التي سببتها الحرب العالمية الأولى فلم تعد مسألة العلاقة بين الثورة البروليتارية والدولة مجرد سؤال نظري، وبسبب الوضع الثوري الذي أوجدته الحرب، أصبحت مسألة فورية ذات أهمية عملية وكان من الضروري أن يتم تعليم الحركة البروليتارية الاممية والجماهير على أساس هذا الفهم.

مع عودة المد الثوري، رجع لينين مرة أخرى الى بتروغراد في 20 أكتوبر 1917. وخلال ثلاثة أيام من وصوله، قرّر اجتماع تاريخي للجنة المركزية إطلاق

الانتفاضة المسلحة في غضون بضعة أيام، فتم على الفور إرسال ممثلين إلى جميع أنحاء البلاد وخاصة إلى وحدات الجيش. بعد أن علمت الحكومة المؤقتة بخطة الانتفاضة، بدأت هجومًا على البلاشفة، في السادس من نوفمبر 1917، عشية انعقاد المؤتمر السوفياتي الثاني لعموم روسيا، رد الحرس الأحمر والوحدات الثورية للجيش الهجوم وبحلول 7 نوفمبر 1917، انتقلت مؤسسات الدولة إلى أيدي السوفيات. وعلى الفور مرر مؤتمر السوفيات في اليوم التالي المرسوم حول السلام والمرسوم حول الأراضي وشكل أول مجلس من مفوضي الحكومة الشعبية السوفياتية - تم انتخاب لينين كأول رئيس له. لقد أسست ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ديكتاتورية البروليتاريا.

ومع ذلك كانت هناك معارك طويلة قبل توحيد سلطة العمال. أولاً، كان يجب إنهاء الحرب مع ألمانيا وقد تم ذلك أخيرا بالتوقيع على معاهدة بريست ليتوفسك في فيفري 1918 ، إلا أن هذا لم يحقق سلامًا دائمًا، فبمجرد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أبدت القوى الإمبريالية المنتصرة المتمثلة في كل من بريطانيا وفرنسا واليابان وأمريكا تدخلات مباشرة وغير مباشرة كما ساعدت الطبقات الحاكمة القديمة في روسيا على شنّ حرب أهلية ضد الدولة السوفياتية، استمرت هذه الحرب الأهلية حتى نهاية عام 1920 انتصرت فيها الدولة السوفياتية ولكنها تركت الاقتصاد في حالة خراب.

كانت نهاية الحرب العالمية الأولى فترة طفرة ثورية في جميع أنحاء العالم. فقد أثّــر نجاح ثورة أكتوبر في العديد من البلدان، حتى تلك التي كان فيها للماركسية تأثير ضئيل أو منعدم. كانت أوروبا، الساحة الرئيسية للحرب، تمرّ بأزمة ثورية عميقة وقد أسفرت الحرب عن الإطاحة بأربعة من الأباطرة وتفكّك إمبراطورياتهم العظيمة - الروسية والألمانية والنمساوية المجرية (هابسبورغ) والتركية (العثمانية). كانت هياكل الدول في حالة من الفوضى وكان مزاج الجماهير ثوريا.

بدأت الاحتجاجات الجماهيرية حتى قبل الانتهاء من الحرب. ففي جانفي 1918، اجتاحت موجة من الإضرابات السياسية الجماهيرية والمظاهرات المناهضة للحرب وسط أوروبا، وأعقب ذلك ثورات في القوات المسلحة من مختلف البلدان. كان هناك أيضا انتشار للنزعة القومية، مما أدّى إلى تشكيل العديد من الدول الجديدة بعد تفكك الإمبراطوريات القديمة.

في ألمانيا والمجر، أدّت الأزمة إلى ثورة، ففي نوفمبر 1918 تمرّد البحّارة الألمان، مما أدّى مباشرة إلى انتشار موجة ثورية في جميع أنحاء ألمانيا فتمت الإطاحة بالإمبراطور وإنشاء جمهورية تحت قيادة الحزب الاشتراكي-الديموقراطي، وتم فورا تأسيس السوفياتات في برلين ومدن أخرى ولكنها سحقت في جانفي 1919 بعد أسبوعين من قتال الشوارع ضد القوات العسكرية الرجعية التي أعيد تنظيمها من قبل الحكومة الاشتراكية-الديمقراطية. كما تم ايضا في وقت لاحق تشكيل جمهورية سوفياتية في ولاية بافاريا (مقاطعة ألمانية) في أفريل 1919، ولكنّها سحقت أيضا. وفي المجر قاد الشيوعيون ائتلافا مع الاشتراكيين-الديمقراطيين وسيطروا على الحكومة في مارس 1919، غير أنّهم هزموا في غضون خمسة أشهر بسبب الضغط العسكري من الحكومات الحليفة. استمر نضال

العمال لمدة أربع سنوات أخرى على الأقل، لكن هذه الثورات انتهت أخيراً الى الفشل.

ومع ذلك، أدّى ارتفاع المد الثوري ونجاح الثورة في روسيا إلى تشكيل أحزاب شيوعية في العديد من البلدان. ومثّل ذلك أساسا حقيقيا لاتحاد الأحزاب الشيوعية من أجل تشكيل الأممية الشيوعية الثالثة. وكما ذكرنا سابقاً، فقد دعا لينين والبلاشفة الى تكوين الأممية الثالثة منذ 1914، ولكنهم الآن أخذوا زمام المبادرة لتشكيلها.

في جانفي 1919 وجّه لينين رسالة مفتوحة إلى عمّال أوروبا وأميركا تحثهم على تأسيس الأممية الثالثة وبعد فترة وجيزة، تم إرسال دعوات لعقد مؤتمر أممي. وفي مارس 1919، انعقد في موسكو مؤتمر حضرته أحزاب شيوعية من مختلف البلدان لتأسيس الأممية الشيوعية وقد أنشأ هذا المؤتمر لجنة تنفيذية للأممية الشيوعية الثالثة.

بعد شهر واحد فقط من المؤتمر الأول، شرح لينين الأهمية التاريخية للأممية الثالثة على النحو التالي: "أرست الأممية الأولى أساسا للنضال البروليتاري العالمي من أجل الاشتراكية. ومثلت الأممية الثانية فترة تم فيها إعداد التربة لانتشار واسع النطاق للحركة في عدد من البلدان. وقد جمعت الأممية الثالثة ثمار عمل الأممية الثانية، وطهّرتها من النفايات الانتهازية والاشتراكية-الشوفينية والبرجوازية والبرجوازية الصغيرة، وبدأت في تنفيذ دكتاتورية البروليتاريا". وهكذا أشار إلى أنّ أهمّ جانب في الأممية الثالثة هو أنها تمثل الآن البروليتاريا وقد نجحت في الاستيلاء على سلطة الدولة وبدأت في تأسيس الاشتراكية.

بفضل التحضيرات المكثفة، حقّق المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية الذي عقد في جويلية 1920 نجاحًا كبيراً بحضور واسع من 41 بلدا. وفيه قدّم لينين مساهمات كبيرة للنظرية الماركسية، فأعدّ كتابا أراده دليلا لاستراتيجيا وتكتيكات الحزب الشيوعي، والذي تم توزيعه بين المبعوثين للمؤتمر عنوانه "مرض اليسارية

الطفولي في الشيوعية". ركّز لينين في هذا الكتاب على تصحيح الأخطاء "اليسارية"، التي كانت سائدة لدى كثير من الأطراف التي انضمت إلى الأممية. كما أعدّ لينين أطروحات حول المسألة القومية والاستعمار اعتمدت في المؤتمر. لقد كانت وثيقة تاريخية، وضعت الأسس النظرية للماركسية اللينينية، لفهم وقيادة نضالات التحرر الوطني ثم حشد القوى في كل المستعمرات وأشباهها. إلى جانب ذلك، حدد لينين المهام الأساسية للأممية الشيوعية والأطروحات المتعلقة بالمسألة الزراعية ودور الحزب الشيوعي في الثورة البروليتارية والحركة النقابية والأحزاب الشيوعية والبرلمان والنظام الأساسي وشروط القبول ضمن الأممية الشيوعية. وفي نظامها الأساسي، أعلنت الكومنترن (الاممية الشيوعية) بوضوح "القطع مرّة واحدة وإلى الأبد مع تقاليد الأممية الثانية؛ التي لم تسمح سوى بانضمام ذوي البشرة البيضاء إليها".

إلى جانب الصياغات النظرية، بدأت الأممية، من خلال لجنتها التنفيذية، في لعب دور بارز في توجيه الأحزاب والحركات في مختلف البلدان الأعضاء، وعلى وجه الخصوص، حاولت أن تحقق أقصى ما يمكن من الحالة الثورية لفترة ما بعد الحرب في البلدان الرأسمالية والتي استمرت حتى عام 1923.

ويرجع فشل الثورات في البلدان الرأسمالية الاخرى في المقام الأول إلى خيانة الاشتراكيين الديموقراطيين أعضاء الأممية الثانية، وكذلك الضعف الأيديولوجي والتنظيمي للأحزاب الشيوعية في هذه البلدان. غير أن الكومنترن لعب دوراً هاماً في تأسيس وتنمية وتوجيه الأحزاب الشيوعية الجديدة في المستعمرات وأشباه المستعمرات.

خلال العشرينات من القرن الماضي، ومع التقدم السريع لحركات التحرر الوطني في هذه البلدان، حاول الكومنترن توجيه وتدريب الأحزاب الشيوعية لتكون في قيادة تلك الحركات. كانت هذه هي المرة الأولى التي تقوم فيها الماركسية ببناء قاعدة لها بين شعوب البلدان المتخلفة.

ظهرت أولى الحركات القومية في أوروبا الغربية وقد تمت قيادتها بشكل أساسي من قبل البرجوازية خلال كفاحها ضد الإقطاع. كان الهدف الرئيسي لهذه الحركات القومية هو التوحد في دولة واحدة وإقامة منطقة كبيرة تجمع مناطق أصغر كانت تحت حكم العديد من اللوردات الإقطاعيين. كان هذا ضرورياً للبرجوازية من أجل الحصول على سوق كبيرة واحدة وتجنب مضايقة وسيطرة مختلف اللوردات الإقطاعيين. وهكذا، فإن الثورة البرجوازية ضد الإقطاعية والحركة القومية لإقامة دولة وطنية موحدة غالباً ما كانت تندمج، وبالتالي، لم تكن الحركة القومية في كل أورو با الغربية كفاحًا من أجل الاستقلال من احتلال دولة أخرى، كان الحالة الوحيدة لحركة قومية من اجل الاستقلال عندما حاربت أيرلندا لتتحرر من بريطانيا.

عاش ماركس وانجلز في فترة لم تكن فيها صراعات التحرر الوطني قد تأجّجت بعد بشكل كبير، وبالتالي لم يكرسا الكثير من الاهتمام لتطوير النظرية الماركسية حول المسألة الوطنية، لكن ماركس صاغ الموقف الأساسي فيما يتعلق بالمسألة الأيرلندية من خلال دعوة البروليتاريا الإنجليزية لدعم النضال الوطني للشعب الأيرلندي، ومعارضة قمع ارادته الوطنية.

جاءت المرحلة التالية من الحركات القومية في أوروبا الشرقية، مع انتشار الرأسمالية، وإضعاف الإمبراطوريات النمساوية المجرية والروسية. بدأت الحركات والمؤسسات القومية في النمو في جميع أنحاء أوروبا الشرقية، بما في ذلك روسيا، لذلك كان من الضروري للحركة البروليتارية العالمية ولحزب العمال الديمقراطي الاشتراكي الروسي أن يكون لهما تصور واضح ووقوفا على تلك المسألة. خلال هذه الفترة، قام ستالين، في عام 1913، بتقديم أول عرض ماركسي منهجي حول القضية القومية، فقد كان ستالين نفسه جورجيا، اي فردا من قومية

مضطهَدة (في روسيا)، كانت فيها الحركة القومية تتطور بسرعة. لذلك كان من الضروري تقديم الفهم الماركسي الصحيح واتخاذ موقف سياسي واضح. هذا ما حاول ستالين القيام به في عمله الرائد "الماركسية والمسألة القومية".

في عمله بدأ ستالين بتحديد ما هي الأمة، فعرّف الأمّة بأنها "مجموعة مستقرة ومتطورة تاريخياً من الناس، تتصف بأربعة خصائص أساسية، وهي: لغة مشتركة، وإقليم مشترك، وحياة اقتصادية مشتركة، وتكوين نفسي شائع يعبر عن نفسه في سمات خاصة مشتركة من خلال الثقافة القومية".

رفض ستالين مفهوم الأمة على أساس الدين أو الثقافة فقط، مثل اليهود. مؤكدا أن المجموعة المعنية يجب أن تتوفر فيها تلك الخصائص المذكورة أعلاه ليتم تسميتها أمة واقترح أن يكون لجميع هذه القوميات الحق في تقرير المصير. غير أن حق تقرير المصير هذا لا يمكن أن يقتصر على الحكم الذاتي، أو على الوجود داخل فدرالية، كما اقترحت بعض الأحزاب الأخرى في ذلك الوقت بل يجب أن يشمل حق الانفصال أيضا، أي الاستقلال والوجود كدولة مستقلة، لكن ستالين أشار إلى أن كيفية ممارسة هذا الحق تعتمد على الظروف التاريخية الملموسة في وقت معين من الزمن. فالأمر متروك للثوريين، للتأثير على قرار الأمة في ما يتعلق بتقرير المصير ويجب أن يستند قرار الحزب الثوري إلى ما إذا كان الحكم الذاتي أو الفيدرالية أو الانفصال أو أي مسار آخر سيكون في مصلحة الجماهير الكادحة، ولا سيما البروليتاريا.

على الرغم من أن عمل ستالين أوضح العديد من الأسئلة، إلا أنه كان لا يزال غير مكتمل لأنه لم يربط المسألة القومية بالإمبريالية ومسألة المستعمرات. لم يتم هذا إلا بعد تحليل لينين للإمبريالية في عام 1916. وعلى أساس تحليله للإمبريالية، ربط لينين بين حق الأمم في تقرير المصير وبين النضالات التحررية الوطنية الواقعة في البلدان المستعمرة. وهكذا اصبحت معالجة المسألة تشمل الغالبية العظمى

من شعوب العالم ولا تقتصر على مجرد مشكلة داخلية لعدد قليل من البلدان التي قامت بقمع القوميات داخل حدودها، ومن ثمة أصبحت المسألة الوطنية قضية عالمية، تتعلق بتحرير الشعوب المضطهدة في جميع البلدان التابعة والمستعمرات من براثن الإمبريالية.

وهكذا عندما قدم لينين عام 1916 أطروحته حول الثورة الاشتراكية وحق الأمم في تقرير المصير، شمل تحليله جميع دول العالم. وقد قام بتقسيمها إلى ثلاثة أنماط رئيسية:

أولاً، الدول الرأسمالية المتقدمة في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية. وهي الدول الظالمة التي تقمع الدول الأخرى في المستعمرات أو حتى داخل حدودها (كقمع بريطانيا لايرلندا). إن مهمة البروليتاريا في هذه الدول هي معارضة هذا القمع ودعم النضال الوطني للشعوب المضطهدة من قبل الطبقات الإمبريالية الحاكمة.

ثانيا، أوروبا الشرقية وخاصة روسيا. مهمة البروليتاريا في هذه البلدان هي دعم حق القوميات في تقرير المصير. وفي هذا الصدد، فإن المهمة الأكثر صعوبة والأكثر أهمية هي دمج الصراع الطبقي للعمال في البلدان المضطهِدة بالنضال الطبقي للعمال في البلدان المضطهَدة.

ثالثًا، الدول شبه المستعمرة، مثل الصين، وبلاد فارس، وتركيا، إضافة إلى جميع المستعمرات، التي كان عدد سكانها مجتمعة يبلغ مليار نسمة. فيما يتعلق بهذه البلدان، اتخذ لينين موقفًا مفاده أن الاشتراكيين يجب ألا يطالبوا بالتحرر غير المشروط والفوري للمستعمرات بدون تعويض، بل يجب أن يقدموا دعمًا قويًا لحركة التحرر الوطني في هذه الدول ويساعدوا على التمرد والحرب الثورية ضد القوى الإمبريالية التي تضطهدهم.

كانت هذه هي المرة الأولى داخل الحركة الاشتراكية العالمية التي يتخذ فيها موقف بمثل هذا الوضوح حول المسألة الوطنية والاستعمار. كان هناك بطبيعة

الحال بعض النقاش والارتباك، إحدى الحجج المعارضة كانت أن دعم تقرير المصير والتحرر الوطني كان ضد الأممية البروليتارية، وان الاشتراكية تهدف إلى دمج جميع الأمم. وقد كان لينين موافقا على أن هدف الاشتراكية هو القضاء على تقسيم البشرية إلى دول صغيرة، لتقريب الشعوب، وحتى دمجها، ولكنه، أدرك أنه سيكون من المستحيل تحقيق ذلك عن طريق الدمج القسري للدول. إنّ دمج الأمم لا يمكن تحقيقه إلا من خلال الفترة الانتقالية للتحرير الكامل لجميع الأمم المضطهدة - أي حرية انفصالها. أثناء عرض برنامج الحزب عام 1917، قال لينين: "نريد توحدا حرا، لذلك يجب أن نعترف بحق الانفصال. بدون حرية الانفصال، لا يمكن أن توصف الوحدة بالحرة ". وقد كان هذا هو النهج الديمقراطي للبروليتاريا تجاه المسألة القومية، الذي عارضت من خلاله سياسة البرجوازية المتمثلة في الاعتداء على البلدان الأخرى واحتلالها.

في السنوات الأولى بعد ثورة أكتوبر، قاد لينين مباشرة جميع شؤون الدولة والحزب. في أوت 1918 تعرض لمحاولة اغتيال من قبل عضوة في الحزب الثوري الاشتراكي، وقد تركت هذه المحاولة رصاصتين في جسده. ضعف لينين على إثر ذلك، لكنه استمر ينفذ جدول أعماله الصارم، وكان ينام ثلاث إلى أربع ساعات في اليوم. سرعان ما بدأ هذا العمل الزائد يؤثر تأثيراً خطيراً على صحته، ولا سيما على دماغه. بنهاية عام 1921 بدأ ينتابه صداع شديد ونوبات من الدوار مما أثر على عمله وعانى في ماي 1922 من سكتة دماغية أثرت على يده اليمنى وساقه وقدرته على الكلام. وعلى الرغم من جهود لينين العديدة للتعافي والعودة إلى العمل، فإنه لم يستطع. منذ ذلك الوقت وحتى وفاته حرم من القيام بأي دور فعال. وقد قامت اللجنة المركزية في أفريل 1922 قبل جلطة لينين مباشرة، بانتخاب ستالين في منصب الأمين العام، وقد كان هومن تولّى قيادة الحزب خلال مرض لينين وبعد وفاته في 21 جانفي 1924.

كان جوزيف فيسريونوفيتش دجوجاشفيلي المعروف باسم ستالين (بمعنى رجل من الفولاذ)، الأكثر شعبية بين العديد من قادة الأحزاب. ولد في 21 ديسمبر 1879، في غوري، وهي بلدة صغيرة في جورجيا، وقد كانت آنذاك قومية مضطهدة داخل الإمبراطورية الروسية (جورجيا اليوم دولة مستقلة). كان والداه فقيرين وأميين، من نسل الأقنان، هاجر والده، في عام 1875 بعد بضع سنوات من قيام مالكه بعتقه، من قريته الواقعة بالقرب من تيفليس، عاصمة القوقاز (وهي منطقة متخلفة من الإمبراطورية الروسية، وقد كانت تحوي جورجيا والعديد من القوميات المضطهدة الاخرى) وأنشأ متجراَ صغيراً لصناعة الأحذية في غوري، التي كانت مدينة محلية. غير أنه لم يكن قادراً على كسب الكثير وترك زوجته وطفله في غوري لتولي وظيفة في مصنع للأحذية في تيفليس، حيث توفي في عام 1890.

وبما أن والد ستالين لم يساهم كثيرا في الأسرة، فإن والدته، إيكاترينا كانت هي التي رعته وربته. عملت ساعات طويلة في غسل الملابس لتدفع جميع نفقات الأسرة، كان لديها ثلاثة أطفال قبل ستالين، ولكنهم ماتوا بعد الولادة بقليل. وبما أنّه ابنها الوحيد الذي بقي على قيد الحياة، فقد بذلت كل جهدها لتمكينه من تعليم جيد وعلى الرغم من فقرها، لم ترسله للعمل كما كان مفترضا، بل أرسلته، في سن التاسعة، إلى مدرسة الكنيسة المحلية. وقد بذلت هي نفسها الكثير من الجهد في وقت لاحق وتعلمت القراءة والكتابة في سن الشيخوخة. وهكذا كانت إيكاترينا مثالاً رائعاً على عزيمة الجماهير الكادحة وتصميمها.

عاش ستالين شخصياً الفقر منذ طفولته المبكرة. كان منزله يتكون من غرفتين صغيرتين للغاية وكان في نفس الوقت متجرا وورشة عمل إضافة الى كونه منزلا. وعلى الرغم من أن ستالين كان قوياً شديد البنية، إلا أنه اصيب بمرض الجدري عند بلوغه ست أو سبع سنوات من العمر، مما ترك آثار بثور على وجهه طوال حياته. كما أصيب بالتهاب في الدم، مما جعله يقترب من الموت وأصيب على اثره بإعاقة دائمة في ذراعه اليسرى. خلال السنوات الخمس التي قضاها في مدرسة غوري، أظهر ستالين ذكاءً وذاكرة استثنائية، وهناك كان أول اتصال له بالأفكار العقلانية ونقد الدين. فقام بكتابة الشعر وتأثر بالأدب والشعر الجورجي، وكان له اتجاهات قومية قوية، ومنذ تلك السنوات، امتلأ بإرادة قوية للكفاح، ضد الظلم الاجتماعي وضد قمع شعبه. بسبب فقره، كان من المستحيل على ستالين أن يكمل التعليم العالي، ولكن، فقد أوصي به من قبل مدير المدرسة وكاهن محلي بأنه "أفضل طالب" يمكنه الحصول على منحة دراسية، هذا مكّنه من مواصلة دراسته منذ أكتوبر 1894 في أفضل مؤسسة للتعليم العالي في القوقاز، المدرسة اللاهوتية في تيفليس (كلية للتدريب ليصبح قسًا مسيحيًا)، وكانت السنوات الخمس التي قضاها هناك سنوات التكوين الحاسمة، فقد أصبح ماركسيًا.

كانت جورجيا، في شباب ستالين في حالة مستمرة من الاضطرابات. أحد أسبابها كان المزاج المتمرّد للفلاحين، حيث تأخر إلغاء القنانة حتى بعد أن تم إلغاؤها في روسيا. المصدر الآخر كان التدفق المستمر للأفكار الثورية من روسيا، كان ذلك لأن الحكومة القيصرية كان لها تاريخ طويل في الترحيل إلى القوقاز، فقد نفي هناك العديد من متمرديها ومن الثوريين البرجوازيين وشمل هؤلاء المنفيين في وقت لاحق العمال الثوريين الماركسيين مثل لينين، الرئيس المستقبلي للاتحاد السوفييتي وآليلوييف المنظم البلشفي، ووالد زوجة ستالين في وقت لاحق.

كانت مدرسة تيفليس واحدة من مراكز الاضطرابات، وبما انها كانت أرض التكاثر الرئيسية للمفكرين المحليين، فقد أصبحت مركز المعارضة الرئيسي للقيصر. في عام 1893، أي قبل عام واحد من انضمام ستالين إلى المعهد، كان هناك إضراب أدّى إلى فصل 87 تلميذاً وقد أصبح الزعماء الرئيسيون للإضراب في ما بعد ماركسيين وثوريين بارزين. وكان أحد القادة، كيتسخوفيلي يكبره بثلاث سنوات فقط وسرعان ما أصبح أول معلم سياسي له.

بدأ ستالين في السنة الأولى يقرأ سرا كل أنواع الأدب الراديكالي لأن معظم الكتب ذات الطابع السياسي أو غير الديني قد حظرت بشكل صارم داخل المدرسة الدينية. وقد تم نشر شعره الراديكالي والسياسي بطبيعته لأول مرة تحت اسم مستعار في مجلة جورجية رائدة. ومنذ ذلك الوقت اي في عمر ال 15 عامًا كان ستالين على اتصال بدوائر ماركسية سرية. لكن سرعان ما أصبح ستالين تحت مراقبة سلطات المدرسة الدينية، حتى أنه أرسل إلى خلية العقاب لقراءته الأدب المحرّم. وفي هذا الوقت انضم إلى دائرة مناقشة سرية في المدرسة فزاد هذا من نشاطه، وجعله في كثير من الأحيان في صراع مع الإدارة هناك. في سن الثامنة عشرة، في أوت 1898، انضمّ إلى "المجموعة الثالثة "(Messame Dassy)، وهي أول مجموعة من الاشتراكيين في جورجيا، أصبح قادتها فيما بعد من المناشفة البارزين.

يقول ستالين لاحقاً: "لقد أصبحت ماركسيا بسبب موقفي الاجتماعي (كان والدي عاملاً في مصنع للأحذية وكانت أمي أيضاً امرأة عاملة)، وأيضا بسبب التعصب الشديد والانضباط اليسوعي الذي سحقني بلا رحمة في المدرسة الدينية كما كانت الاجواء التي عشت فيها مشبعة بالكراهية ضد القمع القيصري".

خارج المدرسة، في مدينة تيفليس، كان العمال خلال هذه الفترة يتحركون. فقد شهدت هذه السنوات الإضربات الأولى في القوقاز. وبمجرد انضمام ستالين إلى المجموعة الثالثة تم تكليفه بإدارة عدة حلقات دراسية للعمال، وهذا ما قام به، من خلال عقد اجتماعات سرية مع العمال خلال وقت الفراغ القصير الذي حصل عليه من المدرسة الدينية. كانت المدرسة الدينية تبحث عن فرصة لإيجاد حل مع ستالين والتعامل معه ولكنه طرد في ماي 1899، بسبب تغيبه عن الامتحانات.

غير أن الطرد من المدرسة الدينية لم يغير كثيرا في أنشطته الثورية. فبعد إقامة قصيرة مع والدته في غوري، عاد إلى تيفليس، حيث بقي بين العمال لينظمهم ويثقفهم. في ديسمبر 1899 تولى وظيفة ككاتب، في مرصد تيفليس الجيوفيزيائي وعلى الرغم من أنّ الأجر في هذه الوظيفة كان زهيدا إلاّ أنّها لم تأخذ الكثير من الوقت وقدمت تغطية مثالية من الشرطة السرية القيصرية.

تحت هذا الغطاء، واصل ستالين توسيع أنشطته. فشارك في العام التالي، أي في عام 1900، في تنظيم والتحدث في أول احتفال بالأول من ماي (يوم العمال العالمي) يعقد في القوقاز. بسبب القمع القيصري، لم يعقد هذا الاجتماع الكبير الذي ضمّ 500 شخص في المدينة بل في الجبال فوق تيفليس. كان الاجتماع حدثًا ملهمًا أدى إلى إضرابات في المصانع والسكك الحديدية في الأشهر التالية. وقد تقرر في العام التالي تنظيم مظاهرة عيد العمال بشكل علني، في وسط تفليس، ولكن تم القبض على قادتها الرئيسيين في مارس 1901 وتم اقتحام غرفة ستالين أيضًا لكنّه تمكن من الفرار. منذ ذلك الحين وحتى نجاح الثورة في عام 1917، عاش ستالين حياة ثوري محترف متخف. كانت مهمته الأولى هي تولي قيادة المنظمة،

والمضي قدما وتنظيم يوم عيد العمال على الرغم من فقدان القادة الرئيسيين. وقد نجح في ذلك، فعلى الرغم من الاعتقالات والهجمات العنيفة من قبل الشرطة، نظمت مظاهرة تاريخية قوية بحوالي 2000 شخص.

كانت هذه السنوات الأولى من نشاط ستالين في المنظمة الاشتراكية فترة نقاش مكثف حول الاقتصادوية وقضايا أخرى. وقد عارض دائما الانتهازيين داخل المنظمة الجورجية ووقف مع الجناح اليساري. وعندما بدأت إيسكرا، كانت مجموعته أول من أصبح من مؤيديها المتحمسين ووزعها في تيفليس. ثم سرعان ما بدأوا بنشر جريدة غير قانونية باللغة الجورجية، في سبتمبر 1901، وسموها "النضال"(Brdzola) وقد كتب ستالين الذي كان أحد الكتاب الرئيسيين فيها العديد من المقالات التي تدعم خط الإيسكرا. ومن اهم ما كتب مقالة مفصلة بعنوان "الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي" ومهامه المباشرة، والتي ظهرت في ديسمبر عام 1901.

في نوفمبر عام 1901، تم انتخاب ستالين في اللجنة الاشتراكية-الديمقراطية في تيفليس، والتي كانت حينها الهيئة الفعالة التي تقود كل القوقاز وتم إرساله على الفور إلى باتوم، وهي بلدة صغيرة يسكنها 25 ألف نسمة، والتي كانت مركزًا جديدًا لصناعة النفط مرتبطًا بخط أنابيب النفط في مدينة باكو النفطية الأكبر والأقدم. سرعان ما شكل لجنة بلدة هناك كما أنشأ صحافة سرية في الغرفة الفردية التي كان يقيم فيها. تم نشر العديد من المنشورات التي ستقود في وقت قصير إلى بدء النضال العمالي. وقد أدى أحد هذه النضالات إلى إطلاق النار من جانب الشرطة وقتل 15 عاملاً. كل هذه الأنشطة تمت على الرغم من معارضة الاشتراكيين المحليين الذين أصبحوا فيما بعد المناشفة. بعد أربعة أشهر ونصف فقط في باتوم، ألقي القبض على ستالين في أفريل 1902 في اجتماع سري للجنة باتوم ومع ذلك ظلت الصحيفة السرية غير مكتشفة.

خلال فترة باتوم، سمي ستالين بأحد أسمائه الحزبية الكثيرة، والذي بقي مشهوراً به طوال سنوات عمله في القوقاز، لقد أطلق عليه اسم "كوبا"، مما يعني الذي لا يقهر باللغة التركية، وقد كان أيضا اسم بطل شعبي لأحد القصائد المفضلة عند ستالين في أيام شبابه. قضّى ستالين سنة ونصف في سجون مختلفة وقد حافظ في السجن على الانضباط الصارم، والنهوض في وقت مبكر، وكثرة القراءة، ليكون واحدا من أفضل المنظرين في لجنة السجن، كان يعرف أيضا بأنه رفيق صبور وحسّاس ويمد يد العون للجميع. بعد فترة سجنه ورغم أنّه لم تثبت ضده أي تهمة، تم نفيه في نوفمبر 1903 إلى شرق سيبيريا. أثناء وجوده في السجن، كان قد تم انتخابه في مارس عام 1903 للّجنة التنفيذية لاتحاد الجماعات الاشتراكية الديمقراطية لكل القوقاز المشكّل حديثا. وحيث أنه من النادر جدا أن يتم انتخاب رفيق مسجون في لجنة، فإن هذا الإجراء يعطي فكرة عن أهمية ستالين في المنظمة القوقازية. تزامن نفيه إلى سيبيريا مع الفترة الممهدة للحرب الروسية اليابانية، فقام هوورفاقه باستغلال الارتباك الموجود للفرار فور وصولهم إلى سيبيريا، وبحلول نهاية جانفي 1904، عاد إلى تيفليس.

بمجرد عودة ستالين، تمت دعوته إلى اتخاذ موقف بشأن القضايا التي أدت إلى الانشقاق بين البلاشفة والمناشفة. كان غالبية الاشتراكيين في القوقاز من المناشفة، والعديد من البلاشفة دعوا إلى حلّ وسط، وعلى الرغم من هذه الأغلبية الكبيرة للمناشفة، سرعان ما اصطف ستالين مع لينين والبلاشفة. بدأ الكتابة في الصحافة الحزبية الجورجية ودعّم بقوة الخط البلشفي. كتب في مقالته الأولى أن الحزب هو "مجموعة من القادة المناضلين" و"يجب أن يكون منظمة مركزية متماسكة". وضعه السياسي القوي جعله على اتصال مع لينين الذي طلب من الخارج نسخًا من مقالات ستالين. وإلى جانب معركته الأيديولوجية ضد المناشفة، انخرط في الوقت نفسه بشكل عميق في الصراعات الثورية التي كانت تتراكم في جميع أنحاء البلاد كجزء من ثورة 1905. كان مركز ستالين هو القوقاز.

إلى جانب المشاركة في تنظيم إضرابات العمال، بدأ ستالين على الفور بالاستجابة العملية للدعوة البلشفية للتحضير للانتفاضة المسلحة. فأصبح المنظم الرئيسي والموجه لمنظمة عسكرية في القوقاز، كما تم إنشاء مختبر فعّال وسرّي للمتفجرات، وتم إنشاء عدد من فرق القتال لخوض النضالات فشاركت في عدة تمردات في هجمات على عصابات وميليشيات الطبقة الحاكمة وظلت على اتصال مع مجموعات الفلاحين المسلحين. في فترة لاحقة وعند تراجع الثورة، وعندما واجه الحزب نقصًا كبيراً في الأموال، تم استخدام بعض أفضل فرق القتال للقيام بأعمال جريئة وخطيرة للحصول على المال. لعب ستالين الدور الرئيسي في بناء وتوجيه هذا الفرع الفني السري للحزب، كما كتب مقالات خلال هذه الفترة تشرح النهج الماركسي للثورة.

في ديسمبر 1905، حضر ستالين مؤتمره البلشفي الأول لعموم روسيا، حيث تقرر بناء الوحدة مع المناشفة. وهنا التقى لينين للمرة الأولى، كما حضر مؤتمر الوحدة في أفريل 1906 حيث كان البلشفي الوحيد من أصل أحد عشر مندوبا من القوقاز، فقد كان البقية جميعا مناشفة، كما كان أيضا البلشفي الوحيد من القوقاز الذي حضر مؤتمر 1907. وفي كلا المؤتمرين، كانت إحدى نقاط المناقشة هي الدعوات التي أطلقها المناشفة وتروتسكي، فقد أرادوا حظر الأعمال المسلحة ومصادرة الأموال، ومع ذلك استمر القوقاز في كونه المركز الرئيسي لمثل هذه العمليات، بما يقدر بحوالي 1150 من مثل هذه العمليات التي صارت هناك بين 1905 و1908.

قرب نهاية 1907 تم انتخاب ستالين في لجنة باكو. كان لدى هذه البلدة التي يبلغ عدد سكانها 50.000 عامل من مختلف الجنسيات والديانات ممن يواجهون الاستغلال الشديد. وسرعان ما وحد ستالين العمّال وطوّر مركز النضال الوحيد خلال الفترة المظلمة من رد فعل ستوليبين. وباعتماد هوية جديدة، أسس مسكناً ومطبعة سرية في الجزء المسلم من المدينة. في هذه الفترة بدأ ستالين

الكتابة للمرة الأولى باللغة الروسية. في عام 1908، ألقي القبض على ستالين، لكنه استمر في كتابة المقالات وتوجيه أنشطة الحزب من داخل السجن. في عام 1909، تم نفيه مرة أخرى، ولكنه هرب مرة أخرى في غضون أربعة أشهر.

مر ستالين لدى عودته بسان بطرسبرغ ولاحظ الحالة غير المنظمة لقيادات الحزب في العاصمة. لدى عودته إلى باكو كتب بصرامة حول الأوضاع، ودعا إلى الحصول على جريدة لعموم روسيا تصدر من خارج روسيا ثم دعا في وقت لاحق إلى نقل مركز التوجيه العملي إلى روسيا. بعد عدة أشهر من العمل المكثف في باكو ونشر مقالات لجهاز الحزب في الخارج، اعتقل ستالين مرة أخرى في مارس 1910. وبعد بضعة أشهر في السجن، تم نفيه مرة أخرى حيث بقي حتى جوان 1911. في هذه المرة منع من العودة إلى القوقاز أو إلى أي مدينة كبيرة، فاستقر في بلدة بالقرب من سان بطرسبرغ وموسكو ومع ذلك اعتُقل مرة أخرى في غضون شهرين وسجن لعدة أشهر ثم أطلق سراحه مرة أخرى لكنه اضطر للعيش خارج المدن الكبرى.

خلال هذه الفترة، قامت اللجنة المركزية البلشفية الأولى، التي تم انتخابها من قبل المؤتمر البلشفي في جانفي 1912، بضم ستالين إليها، خلال أول اجتماع لها. كانت إحدى مهام ستالين الأولى بعد أن أصبح عضوا في اللجنة المركزية هي إصدار العدد الأول من الصحيفة اليومية البلشفية برافدا ولكنّه اعتقل على الفور. بعد ثلاثة أشهر في السجن ونفي شهرين في سيبيريا هرب مرة أخرى، وصل سان بطرسبورغ في الوقت المناسب لقيادة الحملة الانتخابية لمجلس الدوما، ورغم أن البلاشفة فازوا بستة مقاعد فقط، إلا أنهم كانوا يمثلون ثمانين بالمائة من العمال الصناعيين. في نهاية عام 1912 وبداية عام 1913، قضّى ستالين بضعة أسابيع في الخارج حيث التقى وأجرى مناقشات مفصلة مع لينين ورفاق آخرين. خلال هذه الفترة، كتب كتابه النظري الشهير عن المسألة القومية.

عاد إلى سان بطرسبرغ في فيفري 1913، ولكنه تعرض للخيانة في غضون أسبوع من قبل عضو آخر في اللجنة المركزية، مالينوفسكي، الذي كان عميلا للشرطة السرية القيصرية. وقد خان هذا العميل عضوا آخر في اللجنة المركزية هو سفيردلوف. تم نفي كل من ستالين وسفيردلوف إلى مناطق أبعد في سيبيريا حيث كان الهروب منها أكثر صعوبة. قام لينين خلال هذه الفترة بوضع خطة مفصّلة لترتيب هروبهما، لكن خطة الهروب، تم تنفيذها من خلال العميل السري نفسه، وبدلا من ترتيب الهروب قام هذا العميل بالحرص على العكس تماما، وهكذا أجبر ستالين هذه المرة على البقاء في المنفى لمدة أربع سنوات طويلة حتى ثورة فيفري البرجوازية عام 1917 التي أسفرت عن الإطاحة بالنظام القيصري فسمح له بالعودة إلى سان بطرسبرغ، حيث وصل في 12 مارس 1917 ومنذ ذلك الحين قاد مركز الحزب حتى وصول لينين في أفريل.

من ينظر إلى الحياة السياسية لستالين قبل حوالي عشرين عامًا من الثورة، فإنه يراها كنموذج للشجاعة، والتضحية بالنفس، والتفاني والإخلاص لقضية الثورة. إلى جانب سنوات طويلة في السجن والنفي، كانت حياة ستالين تقريبًا في السرية في اتصال وثيق مع حياة الجماهير. في مثل هذه الحياة الصعبة من التفاني التام، لم يكن هناك وقت كافٍ لستالين لكي يكون لديه الكثير من "الحياة الخاصة". كان أول زواج له في شبابه بإيكاترينا سفانيدزا، أخت أحد رفاقه الاشتراكيين في مدرسة تيفليس، وقد أنجبا ابنا واحدا، تمت تربيته من قبل والديها بعد وفاة ايكاترينا خلال ثورة 1905. كان زواج ستالين الثاني بناديجدا أيلويوفا، ابنة أحد العمال من رفاق ستالين المقربين، كان لديه صلات وثيقة مع العائلة فقد كانوا دائماً يرسلون إليه طروداً من الطعام والملابس والكتب خلال أيام المنفى وقد تم زواجه الثاني عندما تم تعيين كل منهما في تساريتسن (سميت لاحقا ستالينغراد) خلال الحرب الأهلية كان هذا بعد ثورة أكتوبر.

قبل وقت قريب من ثورة أكتوبر، كان هناك نوعان من الآراء الماركسية المزعومة في ما يتعلق ببناء الاشتراكية.

أحدهما كان وجهة نظر المناشفة وآخرين مثلهم، هؤلاء الناس عارضوا المضي قدما في الثورة الاشتراكية وأرادوا أن تبقى السلطة في أيدي البرجوازية. كانت حجتهم أنه بما أن الرأسمالية لم تتقدم بشكل كافٍ وركزت وسائل الإنتاج، خاصة في الزراعة، فإن الوقت لم يكن مناسباً للبروليتاريا للاستيلاء على السلطة. لقد اقترحوا أن تنتظر البروليتاريا بعض الوقت حتى تتقدم الرأسمالية إلى حد ما تحت حكم البرجوازية، وهذا من شأنه أن يهيّأ الظروف لتأميم جميع وسائل الإنتاج وبناء الاشتراكية. وهكذا كان المناشفة ضد استيلاء البروليتاريا على السلطة والمضي قدما في برنامج البناء الاشتراكي.

وجهة النظر الأخرى كانت ممثلة من قبل مجموعة داخل الحزب البلشفي تسمى الشيوعيين "اليساريين". كان موقفهم هو أنه يجب الاستيلاء على السلطة وتأميم جميع وسائل الإنتاج على الفور حتى عن طريق الاستيلاء على ممتلكات الفلاحين الصغار والمتوسطين وغيرهم من المنتجين. وهكذا أراد هؤلاء الشيوعيون "اليساريون" اتخاذ موقف معاد للفلاحين وبالتالي طرد الحليف الرئيسي للثورة.

رسم لينين، في نضاله ضد هذين الاتجاهين، المسار الصحيح للبناء الاشتراكي. ويمكن تحديد الجوانب الرئيسية لمسار لينين للبناء الاشتراكي على النحو التالي:

أ- لا ينبغي للبروليتاريا أن تفقد الفرصة، بل يجب أن تستفيد استفادة كاملة من الظروف المواتية للاستيلاء على السلطة، فالانتظار سيعني فقط أن الرأسمالية ستمضي قدمًا وتدمّر ملايين المنتجين الأفراد الصغار والمتوسطين.

ب- مصادرة وسائل الإنتاج في الصناعة وتحويلها إلى ملكية عامة.

ج- يجب أن يتحد المنتجون الأفراد الصغار والمتوسطون تدريجياً في تعاونيات المنتجين، أي في المشاريع الزراعية الكبيرة، المزارع الجماعية.

د- يجب تطوير الصناعة إلى أقصى حد ووضع المزارع الجماعية على أسس فنية حديثة للإنتاج على نطاق واسع. لا ينبغي مصادرة ممتلكات المزرعة الجماعية، بل على العكس من ذلك، يجب تزويدها بسخاء بجرارات من الدرجة الأولى وآلات أخرى؛

هـ- التبادل من خلال الشراء والبيع، أي يجب الحفاظ على إنتاج السلع لفترة معينة، لأن الفلاحين لن يقبلوا أي شكل آخر من أشكال الارتباط الاقتصادي بين المدينة والريف. ومع ذلك، يجب أن تكون التجارة فقط من خلال التجارة السوفياتية - بين الدولة والتعاونية والمزرعة الجماعية. يجب تطوير هذا بالكامل ويجب طرد الرأسماليين من جميع الأنواع والأوصاف من نشاط التداول.

من بين هذه النقاط الخمس، تم الانتهاء من الخطوتين الأوليين: الاستيلاء على السلطة وتأميم الصناعة الكبيرة في الأشهر القليلة الأولى نفسها. ومع ذلك، فإن الخطوات الإضافية في عملية البناء الاشتراكي لا يمكن اتخاذها على الفور بسبب الظروف الصعبة للغاية لهجوم العدوّ من جميع الجوانب الذي واجهته الدولة البروليتارية الأولى. بسبب الحرب الأهلية، كان بقاء الدولة نفسه موضع تساؤل، فمن أجل مواجهة هذا الهجوم الشامل، كان على الحزب حشد البلاد بأكملها لمحاربة العدو. تم تقديم مجموعة من تدابير الطوارئ تسمى "شيوعية الحرب".

تحت شيوعية الحرب سيطرت الحكومة السوفياتية على الصناعات المتوسطة والصغيرة، بالإضافة إلى الصناعة واسعة النطاق؛ أدخلت احتكار الدولة لتجارة الحبوب وحظرت التجارة الخاصة في الحبوب؛ أنشأت نظام فائض التخصيص، والذي بموجبه كان يجب تسليم كل فائض إنتاج الفلاحين إلى الدولة بأسعار ثابتة؛ وأخيراَ أدخلت خدمة العمل الشاملة لجميع الطبقات، مما جعل العمل البدني إلزامياَ للبرجوازية، وبالتالي أطلق العمال اللازمون لتحمل مسؤوليات أكثر

أهمية في الجبهة. كانت سياسة "شيوعية الحرب" هذه ذات طبيعة مؤقتة لتلبية احتياجات الحرب.

منذ عام 1921 كان هناك تحول آخر في الوضع في روسيا. فبعد الانتهاء من الانتصار في الحرب الأهلية، كان لابد من التحول إلى العمل السلمي المتمثل في استعادة الاقتصاد، لهذا تم إجراء تحول في السياسة من شيوعية الحرب إلى السياسة الاقتصادية الجديدة (النيب - NEP). وبناءَ على ذلك، توقف الاعتماد الإجباري على الفائض من الفلاحين، وأعيد استئناف التجارة الخاصة وسمح للمصنعين الخاصين ببدء أعمال تجارية صغيرة. لقد كان هذا ضرورياً لأن تدابير شيوعية الحرب قد تقدمت بعيدًا وكانت تثير استياءَ من قبل قطاعات معينة من القاعدة الجماهيرية للحزب - وخاصة الفلاحين. لكنّ التروتسكيين عارضوا بقوة السياسة الاقتصادية الجديدة باعتبارها لا شيء سوى تراجع إلى الوراء. واجه لينين، في المؤتمر العاشر للحزب، في مارس 1921، التروتسكيين وأقنع المؤتمر بتغيير السياسة، التي تم تبنيها بعد ذلك، كما قدم دليلاً نظرياً على صحة السياسة الاقتصادية الجديدة في تقريره عن تكتيكات الحزب الشيوعي الروسي المقدم أمام المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية في جويلية 1921. استمرت السياسة الاقتصادية الجديدة حتى نهاية عام 1925، عندما اتخذ المؤتمر الرابع عشر للحزب قرار الانتقال إلى المرحلة التالية من البناء الاشتراكي، مرحلة التصنيع الاشتراكي.

التصنيع الاشتراكي: كان الاتحاد السوفياتي في ذلك الوقت لا يزال بلدًا زراعيَا متخلفًا نسبيَا حيث يأتي ثلثا إجمالي الإنتاج من الزراعة وثلثه فقط من الصناعة. وعلاوة على كونها الدولة الاشتراكية الأولى، كانت مسألة الاستقلال الاقتصادي عن الإمبريالية ذات أهمية مركزية، لذلك كان على طريق البناء الاشتراكي أن يركز أولاً على التصنيع الاشتراكي، وبكلمات ستالين، "تحوّل بلدنا من دولة زراعية إلى دولة صناعية قادرة على إنتاج الآلات التي تحتاجها بجهودها الخاصة - وهذا

هو جوهر وأساس خطّنا العام". وبالتالي كان التركيز الرئيسي على الصناعات الثقيلة التي من شأنها أن تنتج آلات للصناعات الأخرى وللزراعة.

نجحت هذه السياسة في بناء قاعدة صناعية قوية مستقلة عن الإمبريالية، كما أنها مكّنت من الدفاع عن القاعدة الاشتراكية في الحرب العالمية الثانية. كما توسعت الصناعة بوتيرة أسرع بعدة مرات من الدول الإمبريالية الأكثر تقدمًا، مما يثبت التفوق الهائل للنظام الاشتراكي. لقد كان العامل الرئيسي في ذلك هو المشاركة المخلصة في زيادة الإنتاج من قبل الطبقة العاملة بأكملها. ففي الوقت الذي كان فيه العالم الرأسمالي بأسره يعاني من أزمة اقتصادية حادة للغاية، كانت الصناعة الاشتراكية تتقدم دون أي مشاكل على الإطلاق.

ومع ذلك، فبسبب التركيز الخاص على أولوية تطوير الصناعة الثقيلة، تم إهمال الزراعة في الخطط، وهكذا، ففي الفترة التي ارتفع فيها الإنتاج الصناعي بأكثر من تسع مرات، لم يرتفع إنتاج الحبوب حتى بمقدار الخمس. لقد أظهر هذا أن نمو الزراعة كان منخفضًا جدًا مقارنة بالصناعة، وكان هذا هو الحال أيضًا داخل الصناعة مع نمو الصناعة الثقيلة بسرعة أكبر بكثير من الصناعة الخفيفة. انتقد ماو، في نقده للاقتصاد السوفياتي، هذا التركيز ودعا إلى الترويج المتزامن لكل من الصناعة والزراعة، وضمن الصناعة دعا إلى تطوير كل من الصناعات الخفيفة والثقيلة في نفس الوقت.

تجميع الزراعة: تمّ اتخاذ الخطوة الأولى في هذه العملية في فترة استعادة السياسة الاقتصادية الجديدة (النيب) نفسها بتشكيل التعاونيات الأولى بين الفلاحين الصغار والمتوسطين. ولكن بسبب مقاومة الكولاك (الفلاحون الأغنياء) لم يكن هناك تقدم كبير. علاوة على ذلك، اتخذ الكولاك موقفًا معارضا نشطا وتخريبيّا لعملية البناء الاشتراكي، لقد رفضوا بيع فوائض الحبوب إلى الدولة السوفيتية، ولجأوا إلى الإرهاب ضد المزارعين الجماعيين، وضد عمال الحزب والمسؤولين الحكوميين في الريف، وأحرقوا المزارع الجماعية ومخازن الحبوب التابعة للدولة. ففي عام 1927، وبسبب هذا التخريب، كانت الحصة السوقية

من الحصاد 37٪ فقط من رقم ما قبل الحرب. وهكذا اتخذ الحزب في ذلك العام قرارًا بشن هجوم لكسر مقاومة الكولاك، وبالاعتماد على الفلاحين الفقراء والتحالف مع الفلاحين المتوسطين، تمكن الحزب من تحقيق النجاح في شراء الحبوب والمضي قدما في عملية التجميع، ومع ذلك، جاء التقدم الكبير منذ نهاية عام 1929.

قبل عام 1929، اتبعت الحكومة السوفياتية سياسة تقييد الكولاك، فكان تأثير هذه السياسة هو وقف نمو طبقة الكولاك، حيث أُجبرت بعض أقسامها، غير القادرة على تحمل ضغط هذه القيود، على التوقف عن العمل وتدميرها. لكن هذه السياسة لم تدمّر الأسس الاقتصادية للكولاك كطبقة، ولم تمل إلى القضاء عليها. كانت هذه السياسة أساسية حتى وقت معين، أي ما دامت المزارع الجماعية ومزارع الدولة لا تزال ضعيفة وغير قادرة على استبدال الكولاك في إنتاج الحبوب.

في نهاية عام 1929، مع نمو المزارع الجماعية ومزارع الدولة، تحولت الحكومة السوفياتية بحدة من هذه السياسة إلى سياسة القضاء على الكولاك، وتدميرهم كطبقة. لقد سحبت قوانين إيجار الأرض وتشغيل العمالة، وبالتالي حرمت الكولاك من الأرض ومن العمال المأجورين، ورفعت الحظر المفروض على مصادرة أملاك الكولاك، وسمحت للفلاحين بمصادرة الماشية والآلات وممتلكات المزارع الأخرى من الكولاك لصالح المزارع الجماعية. وهكذا فقد الكولاك كل وسائل إنتاجهم، لقد تمت مصادرتها تمامًا كما تمت مصادرة أملاك الرأسماليين في مجال الصناعة في عام 1918. ومع ذلك، كان الاختلاف هو أن وسائل إنتاج الكولاك لم تنتقل إلى أيدي الدولة، بل إلى أيدي الفلاحين.

تم اعتماد خطة خطوة بخطوة لتنفيذ هذه السياسة. فاعتمادًا على الظروف الخاصّة في مختلف المناطق، تم تحديد معدلات مختلفة للتجميع وتم تحديد السنة المستهدفة لإكمال التجميع، تمّ زيادة إنتاج الجرارات والحصادات والآلات الزراعية الأخرى، تضاعفت قروض الدولة للمزارع الجماعية في العام الأول نفسه،

تم اختيار 25000 عامل صناعي من ذوي الوعي الطبقي وإرسالهم إلى المناطق الريفية للمساعدة في تنفيذ هذه الخطة. فتقدمت عملية التجميع على الرغم من بعض الأخطاء، بسرعة نحو النجاح. بحلول عام 1934، تم وضع 90٪ من إجمالي مساحة المحاصيل في البلاد تحت الزراعة الاشتراكية، أي مزارع الدولة أو المزارع الجماعية.

لم تكن عملية التجميع الزراعي بأكملها أقل من ثورة تحالفت فيها البروليتاريا مع الفلاحين الفقراء والمتوسطين لكسر سيطرة الكولاك.

هذه الثورة، بضربة واحدة، حلت ثلاث مشاكل أساسية للبناء الاشتراكي:

أ- قضت على أكبر عدد من المستغلين في البلاد، طبقة الكولاك، الدعامة الأساسية لاستعادة الرأسمالية؛

ب- نقلت الطبقة العاملة الأكثر عدداً في البلاد، طبقة الفلاحين، من طريق الزراعة الفردية، التي تولد الرأسمالية، إلى طريق الزراعة التعاونية والجماعية والاشتراكية؛

ج- زوّدت النظام السوفياتي بقاعدة اشتراكية في الزراعة - وهي الفرع الأكثر شمولاً والأكثر أهمية، والأقل تطوراً في الاقتصاد الوطني.

وبانتصار الحركة التجميعية أعلن الحزب انتصار الاشتراكية. في جانفي 1933، أعلن ستالين أن "انتصار الاشتراكية في جميع فروع الاقتصاد الوطني قد ألغى استغلال الإنسان للإنسان". في جانفي 1934، أعلن تقرير المؤتمر السابع عشر للحزب أن "الشكل الاشتراكي للبنية الاجتماعية والاقتصادية - يتمتع الآن بنفوذ غير مقسم وهو القوة الوحيدة المسيطرة في الاقتصاد الوطني بأكمله". تم التأكيد مراراً وتكراراً على عدم وجود أي طبقات معادية أثناء تقديم الدستور في عام 1936 وفي التقارير السياسية اللاحقة.

أخطاء في التجربة الروسية: كانت التجربة الروسية في البناء الاشتراكي ذات أهمية مركزية للبروليتاريا العالمية، وخاصة في جميع البلدان التي استولت فيها البروليتاريا على السلطة. حاول ستالين في عمله "المشكلات الاقتصادية للاشتراكية

في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية" وضع نظرية تتعلق بعملية البناء الاشتراكي والقوانين الاقتصادية للاشتراكية، ومع ذلك، لم يقم بتحليل النقد الذاتي للتجربة الروسية. في وقت لاحق قام ماو بتحليل التجربة الروسية وأشار إلى بعض الأخطاء في الممارسة، وكذلك في صياغة ستالين.

أشار ماو إلى الأخطاء الرئيسية التالية في التجربة الروسية :

1- عدم الاهتمام بالتناقض بين علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج: وقد انعكس ذلك في التعايش المطول بين نوعين من الملكية - من ناحية ملكية الشعب كله، كما هو ممثل في الصناعات المؤممة والمزارع المعلنة ومن ناحية أخرى الملكية من قبل الجماعات. شعر ماو أن التعايش المطول للملكية من قبل الشعب كله مع الملكية من قبل الجماعات كان لا بد أن يصبح أقل فأقل قابلية للتكيف مع تطور القوى المنتجة. في الأساس كان لابد من إيجاد طريقة للانتقال من الملكية الجماعية إلى الملكية العامة.

2- عدم إعطاء أهمية للخط الجماهيري أثناء البناء الاشتراكي: أشار ماو إلى أنه تم تبني الخط الجماهيري في الفترة السابقة، ولكن بعد ذلك، أصبح الحزب الشيوعي السوفياتي أقل اعتماداً على الجماهير. كانت الأشياء التي تم التأكيد عليها هي التكنولوجيا والكادر التقني، وليس السياسة والجماهير.

3- إهمال الصراع الطبقي: بعد نجاح عملية التجميع، لم يتم إعطاء أهمية كافية لمواصلة الصراع الطبقي.

4- عدم التوازن في العلاقة بين الصناعة الثقيلة من جهة والصناعة الخفيفة والزراعة من جهة أخرى.

5- عدم ثقة الفلاحين: انتقد ماو السياسة الروسية لعدم إعطائها الأهمية اللاّزمة للفلاحين.

إلى جانب استخلاص هذه الدروس من ستالين والتجربة الروسية، تعلّم ماو من التجربة الصينية، وهكذا قام بإجراء تطوير النظرية الماركسية حول البناء الاشتراكي.

طوال فترة الثورة الروسية وحتى بعد الاستيلاء على السلطة، كان على الخط البلشفي أن يشن نضالًا ضد مختلف الخطوط الانتهازية. كانت التروتسكية من أهم هذه الاتجاهات المعادية للماركسية، التي سميت على اسم مؤسسها ليون تروتسكي. كان تروتسكي عضوا في حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي وقد وقف في وقت الانقسام بين البلاشفة والمناشفة إلى جانب المناشفة. في وقت لاحق، حاول تشكيل كتلة منفصلة عن كل من الاتجاهين البلشفي والمنشفي، بل وقدّم نفسه على أنه "الوسط" الذي سيوحد المجموعتين. وبعد نجاح ثورة فيفري، انتقد نفسه على أخطائه وتم قبوله في الحزب البلشفي والتحق باللجنة المركزية. بعد ثورة أكتوبر، كان مفوضًا للشؤون الخارجية (1917-1918) ومفوضًا للشؤون العسكرية والبحرية (1918-1924) وعزل من منصبه بسبب أنشطته الانتهازية والفئوية.

في فترة البناء الاشتراكي على وجه الخصوص، لعبت التروتسكية دوراً تخريبياَ وفئوياً خطيرا للغاية، وقد قاد ستالين الحزب في صراع حازم ضد الانتهازية التروتسكية.

السمات الثلاث المحدّدة للتروتسكية، التي حددها ستالين، في خطابه عن "التروتسكية أو اللينينية" هي:

1- السّمة الأولى: نظرية الثورة الدائمة:

وفقًا لهذه النظرية، اقترح تروتسكي أن تنتقل البروليتاريا بسرعة من المرحلة الديمقراطية البرجوازية إلى المرحلة الاشتراكية للثورة دون مساعدة الفلاحين. وهكذا كان يعارض أي حديث عن دكتاتورية البروليتاريا والفلاحين. وهكذا رفض دور الفلاحين، الحليف الأقوى للبروليتاريا.

هذه النظرية التي تبدو "يسارية" للغاية، تعني في الواقع خيانة الثورة لأنه بدون الفلاحين لم يكن هناك أمل في النجاح للبروليتاريا وكان من المحتم أن تنتهي الثورة بالفشل.

جانب آخر لهذه النظرية هو أن الثورة في البلدان الرأسمالية المتقدمة كانت ضرورية لبناء الاشتراكية. وكانت نظريته عن الثورة الدائمة أيضًا نظرية للثورة العالمية، التي اقترحت أنه على الرغم من أن الثورة ستبدأ على أساس وطني، يجب على الثوار العمل على الفور لنشرها في بلدان أخرى. ومرة أخرى، يبدو هذا الاقتراح "يساريًا" للغاية، لكن الفعلي يعني فهمًا انهزاميًا للغاية يعارض إمكانية بناء الاشتراكية في بلد واحد.

عارض لينين هذه النظرية المعادية للماركسية بمجرد ظهورها في الفترة التي أعقبت ثورة 1905 مباشرة، عندما لم يكن تروتسكي جزءًا من التيار البلشفي، ومع ذلك فقد ظهرت بطرق مختلفة وكان لا بد من محاربتها في نقاط مختلفة بعد ثورة أكتوبر، عندما انضم تروتسكي إلى الحزب البلشفي وأصبح أحد أعضائه القياديين.

كان المثال الأول بعد الثورة مباشرة، أثناء مفاوضات السلام مع ألمانيا. فقد أراد تروتسكي، على أساس نظريته، استمرار الحرب لأنه شعر أنها ستساعد الوضع الثوري في ألمانيا وأن نجاح الثورة في ألمانيا، كان البلد الرأسمالي المتقدم، أكثر أهمية من توطيد الثورة الروسية. وقد عارض لينين وستالين هذه الحجة بقوة، ولكن كان لا بد من عقد المؤتمر السابع لمناقشة هذا الفهم وهزمه.

مثال آخر على هذه النظرية هو معركة معارضة تروتسكي ضد إدخال السياسة الاقتصادية الجديدة (NEP) . فلكونه معارضًا للتحالف مع الفلاحين، فقد شعر أن السياسة الاقتصادية الجديدة ليست سوى تراجع، لذلك لم يقبل بضرورة الحفاظ على هذا التحالف وتمهيد الأرضية للبناء الاشتراكي. ومرّة أخرى، كان لابد من محاربة هذا الفهم وهزيمته في المؤتمر العاشر للحزب.

كان المثال الثالث في وقت التحول من السياسة الاقتصادية الجديدة إلى التصنيع الاشتراكي. في ذلك الوقت اتحد تروتسكي مع عناصر أخرى ليقترح أنه لا يمكن بناء الاشتراكية في بلد واحد. هذا الاقتراح المبني على مفهوم "الثورة الدائمة" و"الثورة العالمية" لتروتسكي كان سيعني نهجًا انهزاميًا وانتهازيًا تجاه البناء الاشتراكي الذي من المفترض أن يؤسس نجاح الاشتراكية في روسيا على نجاح الثورة في البلدان الرأسمالية المتقدمة، وقد وحّد ستالين الحزب ضد هذا الفهم في المؤتمر الرابع عشر للحزب عام 1925.

2- السمة الثانية للتروتسكية هي معارضتها لمبادئ الحزب البلشفي:

كانت معارضة تروتسكي للمركزية الديمقراطية ومفهوم الحزب اللينيني واضحة منذ البداية في دعمه للمناشفة خلال الانشقاق عن البلاشفة. حتى في وقت لاحق في عام 1912، وحد كل التيارات الانتهازية مثل "التصفية والاسترداد" لتشكيل فصيل يسمى "كتلة أغسطس"، بينما كان يتظاهر بأنه "وسطي" سوف يوحد البلاشفة والمناشفة. كان تروتسكي في الواقع يدعم المناشفة تمامًا وكان يعمل معهم. لقد عارض لينين وقاتل ضد هذه الكتلة الانتهازية، بدعم من ستالين وآخرين.

في عام 1923، عندما كان لينين مريضًا للغاية، استغل تروتسكي الفجوة في القيادة للمطالبة بسحب جميع معايير المركزية الديمقراطية في الحزب. وحّد جميع عناصر المعارضة المتنوعة لصياغة إعلان لستة وأربعين معارضًا يطالب بحرية الفصائل والجماعات في الحزب الشيوعي، وقد هُزم هذا المطلب الحزبي أيضًا.

ومع ذلك، فإن مطالبة تروتسكي بـ "الحرية" و"الديمقراطية" كانت انتهازية تمامًا وتعتمد على ما إذا كان في موقع صنع القرار أم لا. وهكذا عندما كان في مركز صنع القرار في عام 1920، اقترح تروتسكي "عسكرة" النقابات العمالية

وإخضاعها لانضباط الجيش وعارض توسيع الديمقراطية لتشمل النقابات العمالية وانتخاب الهيئات النقابية. وقد قاد لينين وستالين ورفاق آخرون النضال ضد هذا الفهم وأكدوا أن على النقابات العمالية أن تبني جميع أنشطتها على أساليب الإقناع.

3- السمة الثالثة للتروتسكية كانت دعايتها الكاذبة المتكررة ضد القيادة البلشفية:

في الفترة الأولى، ركّز تروتسكي كل هجماته على لينين، وفي الفترة اللاحقة، أصبح ستالين محور كل أنواع التشهير.

بعد أن فشل تروتسكي في كسب الحزب إلى جانبه في نقاش مفتوح، بدأ في التلاعب السري. ففي عام 1926 أسس فصيلاً سرياً مع صحافة غير مشروعة ودعاية سرية، وتم اكتشاف ذلك وتم طرده أخيراً من الحزب. انتقل إلى الخارج لكنه استمر في الحفاظ على العلاقات مع الفصائل الأخرى داخل الحزب. وفي عام 1929 تم تشكيل مجموعة أخرى (المعارضة اليمينية) بقيادة بوخارين، عضو المكتب السياسي، والتي عارضت الكفاح ضد الكولاك وتقدم عملية تجميع الزراعة، وقد تم هزم هذا الخط أيضًا.

لكن في الثلاثينيات لم تعد التروتسكية اتجاهاً سياسياً داخل الطبقة العاملة. لقد تخلت عن محاولات الانتشار العلني لخطها المعادي للماركسية لكنها تحولت إلى التخطيط والمناورة السريين. طور تروتسكي وكبار التروتسكيين في الاتحاد السوفياتي روابط مع أجهزة استخبارات أجنبية وبدأوا العمل على خطط لاغتيال العناصر القيادية في الحزب وتولي قيادة الحزب. كجزء من هذه الخطة، قُتل الرفيق كيروف عام 1934، الذي كان ثانياَ بعد ستالين في قيادة الحزب، وفي التحقيقات التي تلت ذلك، تم اكتشاف المتآمرين الرئيسيين، وكثير منهم كانوا أعضاء في اللجنة المركزية، وقد عقدت محاكمات علنية حيث اعترفوا بجرائمهم وحُكم على العديد منهم بالإعدام وأعدموا.

خلال معظم الفترة بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، كان الاقتصاد الرأسمالي العالمي في حالة انهيار، فقد نما الإنتاج الصناعي العالمي بوتيرة بطيئة للغاية وظلت التجارة العالمية راكدة. في الواقع، كان إجمالي التجارة العالمية في عام 1948 (ثلاث سنوات بعد نهاية الحرب العالمية الثانية) هو نفسه الذي كان في عام 1913 (العام الذي سبق اندلاع الحرب العالمية الأولى). وكانت أسوأ مرحلة هي ما سمّي بالكساد العظيم والتي انتدّت بين 1929 و1933، التي لم تتعاف منها الرأسمالية حقًّا، حتى بداية الحرب العالمية الثانية في عام 1939. لقد كانت أزمة أثرت عمليَا على العالم بأسره، من الأكثر تصنيعًا إلى الأكثر تخلفًا، وانخفض الإنتاج الصناعي ووصلت البطالة إلى أعلى مستوياتها على الإطلاق. فما يقرب من نصف الطبقة العاملة في ألمانيا ظلوا عاطلين عن العمل، وانهارت الأسعار مما أثر على اقتصاديات كل بلد تقريبَا.

مع تزايد المصاعب الاقتصادية، اشتدت التناقضات وانتشرت الاضطرابات الاجتماعية والسياسية في العديد من البلدان. في أمريكا اللاتينية، كانت هناك محاولات للإطاحة بالحكومات في جميع البلدان تقريبَا، وكان العديد منها ناجحًا، كما كان هناك تصعيد في حركات الاستقلال في العديد من البلدان، بما في ذلك الهند. وهكذا، في جميع أنحاء المستعمرات وأشباه المستعمرات كانت هناك صراعات وتحول نحو اليسار. وفي البلدان الإمبريالية، حاولت الطبقات السائدة بشكل يائس السيطرة على الآثار الاجتماعية لأزمتها، فقدمت بعضها مخططات الرفاهية الاجتماعية لإبعاد الجماهير عن النضال، ومع ذلك، استخدمت معظم الطبقات الحاكمة وسائل قمعية لقمع الناس، وقد صعدت في العديد من الدول أنظمة يمينية وفاشية إلى سدّة الحكم. فكانت إيطاليا أول من لجأ إلى الفاشية، وتحولت اليابان من نظام ليبرالي إلى نظام عسكري قومي في 1930-1931، وفي

ألمانيا صعد النازيون إلى السلطة في عام 1933. وفي العديد من البلدان الإمبريالية الأخرى، كان هناك أيضًا صعود للأحزاب اليمينية وتراجع الأحزاب الإصلاحية.

قامت الأممية الشيوعية بتحليل نموّ الفاشية هذا، فأظهر هذا التحليل، كيف أثرت ثلاثة عوامل في وضع ما بعد الحرب العالمية الأولى على الطبقات الإمبريالية وأدت إلى صعود الفاشية. أولاً، جعل نجاح ثورة أكتوبر وانتصار الاشتراكية البرجوازية تخشى تقدم البروليتاريا ونجاح الثورة في بلدانها، ثانياً، كانت البرجوازية تواجه أشد أزمة اقتصادية في تاريخ الرأسمالية، ثالثًا، العاملان الأولان كانا يجعلان الجماهير الكادحة في جميع أنحاء العالم تتجه نحو الثورة، وكان رد فعل الطبقات الحاكمة الإمبريالية على كل هذه العوامل الثلاثة هو جلب الفاشية.

في المؤتمر السابع للكومنترن، الذي عقد في عام 1935، تمّ تحليل الفاشية وخطر الحرب بالتفصيل. تم تعريف الفاشية على أنها دكتاتورية إرهابية منفتحة لأكثر عناصر رأس المال المالي رجعية وشوفينية وإمبريالية. تم شرح كيف كان الإمبرياليون يخططون لزيادة نهب الجماهير الكادحة بشكل كبير، فقد كانوا يستعدون لشن حرب عالمية إمبريالية جديدة، لمهاجمة الاتحاد السوفياتي، لتقسيم الصين بين القوى الإمبريالية، وبالتالي وقف تقدم الثورة. عندما بدأت الدول الإمبريالية الكبرى في تشكيل حكومات فاشية، بدأت بقوة الحروب المحلية استعدادًا لحرب عالمية جديدة لإعادة تقسيم العالم. وعندما بدأت ألمانيا واليابان بمهاجمة مناطق جديدة وغزوها، بدأت القوى الإمبريالية الأخرى مثل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية سياسة التسوية والتنازلات تجاه المعتدين الفاشيين وحاولت استخدامها لتدمير الجمهورية السوفياتية.

كانت تكتيكات البروليتاريا تعارض بشكل مباشر تكتيكات الإمبرياليين. كانت أهداف الطبقة العاملة العالمية هي الدفاع عن الاتحاد السوفياتي، وهزيمة

الفاشية والمُحرضين على الحرب، وانتصار النضالات التحررية الوطنية، وإقامة السلطة السوفياتية في أكبر عدد ممكن من البلدان.

من أجل تحقيق هذه الأهداف، تبنت الأممية الثالثة تكتيكات وفقًا للمبادئ الماركسية لتكتيكات الحرب، كما كان الحال خلال الحرب العالمية الأولى. دعت الأممية الشيوعية جميع الشيوعيين إلى محاولة منع اندلاع الحرب، وفي حالة اندلاع حرب بالفعل، أصدرت الأممية تعليمات بأن يعمل جميع الشيوعيين على تحويل الحرب الإمبريالية الظالمة إلى حرب أهلية وبالتالي إكمال الثورة. ومع ذلك، كان الاختلاف الرئيسي عن حالة الحرب العالمية الأولى هو أن هناك الآن قاعدة اشتراكية واحدة -الاتحاد السوفيتي، وكان من واجب كل شيوعي الدفاع عن هذه القاعدة الاشتراكية. وهكذا في حالة إجبار الجيش الأحمر السوفياتي على الدخول في الحرب دفاعًا عن الاتحاد السوفياتي، فإن طبيعة الحرب ستتغير، ستصبح حربًا عادلة للدفاع عن الاشتراكية وستصبح مهمة كل شيوعي تعبئة العمال والجماهير الكادحة في جميع البلدان من أجل انتصار الجيش الأحمر على الإمبريالية.

كما وضعت الأممية الثالثة تكتيكات مفصّلة للجبهة الموحدة من أجل محاربة الفاشية وتنفيذ الفهم المذكور أعلاه. كان من المقرر تشكيل نوعين من الجبهات في البلدان الرأسمالية، إحداها كانت الجبهات العمالية المعادية للفاشية، والتي كان من المقرر تشكيلها مع الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية، أمّا الثانية فكانت الجبهات الشعبية المناهضة للفاشية، والتي كان من المقرر تشكيلها عند الضرورة جنبًا إلى جنب مع الأحزاب الأخرى المناهضة للفاشية إلى جانب الاشتراكيين الديمقراطيين. في المستعمرات وأشباه المستعمرات، كانت المهمة هي تشكيل جبهات شعبية مناهضة للإمبريالية بما في ذلك البرجوازية الوطنية. كان الهدف النهائي للشيوعيين من المشاركة في كل هذه الجبهات هو تحقيق انتصار الثورة في بلادهم وهزيمة الرأسمالية في جميع أنحاء العالم.

في السنوات التي سبقت الحرب، حاولت معظم الأحزاب الشيوعية تطبيق التكتيكات المذكورة أعلاه، فتشكلت الجبهات المتحدة وتطورت الحركات في العديد من البلدان. لكن خلال التقلبات والمنعطفات المختلفة في الوضع، وفي الظروف الملموسة المختلفة في مختلف البلدان، لم تنجح بعض الأطراف في تنفيذ التكتيكات الصحيحة.

ومع ذلك، كانت الحكومة السوفياتية، التي واجهت أخطر المواقف، قادرة، في عهد ستالين، على استخدام التكتيكات الصحيحة في الوضع الملموس للحرب العالمية الثانية. في سنوات ما قبل الحرب، بذلت كل المحاولات لبناء جبهة موحدة من الحكومات غير الفاشية ضد مجموعة الدول الفاشية المعتدية، لكن سرعان ما أصبح واضحًا أن هذه الدول لم تكن مهتمة بجبهة موحدة لكنها كانت تبذل قصارى جهدها لاستخدام ألمانيا لسحق الاتحاد السوفياتي. ومن أجل هزيمة مثل هذه التكتيكات، دخل ستالين في معاهدة عدم اعتداء مع ألمانيا في أوت 1939، مما أجبر الجزء الأول من الحرب على أن يكون حرباً بين القوى الإمبريالية، وهكذا عملت الأحزاب الشيوعية في جميع أنحاء العالم وفق تكتيكات "تحويل الحرب إلى حرب أهلية" خلال العامين الأولين من الحرب. واستغلّ الاتحاد السوفياتي هذه الفترة للقيام بكل الاستعدادات الممكنة للدفاع عن أرضه في حالة قيام أي من الدول الإمبريالية بشن هجوم.

حدث هذا في جوان 1941، عندما هاجمت ألمانيا القاعدة الاشتراكية. مع هذا الهجوم، اضطر الجيش الأحمر للرد وتغيرت طبيعة الحرب إلى حرب الشعب ضد الفاشية والتكتيكات كما تصورتها الأممية الثالثة سابقًا أصبحت قابلة للتطبيق، يمكن لبعض الأحزاب، باستخدام التكتيكات الصحيحة والاستفادة من الأزمة الثورية الشديدة، أن تحقق ثورة. على وجه الخصوص، كان الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي قادراً على قيادة الجيش الأحمر والشعب السوفياتي بأكمله إلى نصر بطولي في الحرب، فهزم الجيش الألماني العظيم وتعاون مع الأحزاب

الشيوعية ومقاتلي دول أوروبا الشرقية لتحريرها من الاحتلال الألماني. وهكذا، باستخدام هذه التكتيكات، لم تنجح البروليتاريا العالمية في حماية قاعدتها الاشتراكية فحسب، بل تمكنت بحلول عام 1949 من كسر السلسلة الإمبريالية في عدة أماكن، والخروج من النظام العالمي الإمبريالي وبناء معسكر اشتراكي يغطي ثلث البشرية. وهكذا ثبت عمليا أن الاستراتيجية والتكتيكات التي رسمتها الأممية الثالثة خلال فترة الحرب العالمية الثانية صحيحة من حيث الأساس.

ومع ذلك، كانت هناك أيضًا إخفاقات خطيرة. كان هذا بشكل أساسي بسبب التعليمات غير المكتملة من قبل قيادة الأممية الثالثة حول النهج الصحيح في تنفيذ هذه التكتيكات، والبقايا القوية للنهج الإصلاحي للأممية الثانية في العديد من الأحزاب الأوروبية والأحزاب التي شكلتها مثل الحزب الشيوعي في الهند .أمضت أحزاب مثل الحزب الشيوعي في الهند والحزب الشيوعي لبريطانيا العظمى معظم وقتها في فترة الحرب الشعبية في محاولة لزيادة الإنتاج. قامت العديد من هذه الأحزاب بالكثير من نشاط كسر الإضراب وأبعدت عن الطبقة العاملة، والبعض الآخر منها، مثل الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي انضم إلى جبهات موحدة مع أحزاب الطبقة الحاكمة، لم يحاول حتى الحفاظ على أي فرق بين الشيوعيين والرجعيين الآخرين في الجبهة المتحدة، وقد أدّى هذا النهج إلى تحول هذه الأحزاب إلى ذيل الطبقات الحاكمة في الجبهات الموحدة التي شاركت فيها، كما أدّى إلى تطور الميول اليمينية، الأمر الذي أدّى في الفترة التالية إلى اتخاذ قيادات جميع هذه الأحزاب تقريبًا الطريق التحريفية.

وعلى الرغم من عدم قدرة الأممية الثالثة على مكافحة هذه الاتجاهات التحريفية، فقد فقدت أيضًا فعاليتها في تقديم التوجيه في الظروف شديدة الاختلاف التي تواجهها مختلف الأطراف الأعضاء، فباستثناء النشر المنتظم لدورياتها، تقلص نشاط الكومنترن بشكل كبير منذ عام 1940 وحتى اليوم المعتاد

لبيان عيد العمال وثورة أكتوبر توقف بين ماي 1940 وماي 1942، وتقرر أخيراً حلّ الكومنترن بما أنه لا يمكن عقد مؤتمره في ظل ظروف الحرب، فقد أرسلت هيئة رئاسة اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية قراراً يوصي بحلّ الأممية إلى جميع أقسامها، وبعد الحصول على موافقة معظم الأقسام، بما في ذلك جميع الأقسام المهمة، تم حلّ الكومنترن في 10 جوان 1943.

ولد ماوتسي تونغ في 26 ديسمبر 1893، في قرية شاوشان تشونغ في وادي شاوشان الخصب في مقاطعة هونان في الصين. كانت المنطقة التي ولد فيها ماو منطقة زراعية ثرية، كانت أيضًا منطقة إستراتيجية مع مرور جميع الطرق الرئيسية عن طريق البر أو النهر عبر مقاطعة هونان، كونه على مفترق طرق التجارة، كان شعب هونان معروفًا بتجارة الفلاحين. في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، أصبحت هونان أيضًا مركزًا فكرياً ومركزًا للانشقاق والثورة، مما أدى إلى إنتاج العديد من أفضل علماء الصين، أنتجت كلا من الجنرالات العسكريين الذين ساعدوا الأباطرة الصينيين، وكذلك الثوار الذين أطاحوا بحكمهم، كانت أيضًا مركزًا رئيسيَا لأكبر تمرد للفلاحين في القرن التاسع عشر - انتفاضة فلاحي تايبينغ الكبرى. قدمت هونان عددًا كبيراً من المقاتلين للتمرد الذي استمر 14 عامًا من عام 1850 إلى عام 1864، كان هذا الدعم الواسع لثورة الفلاحين بسبب الفقر المدقع للفلاحين بسبب الاستغلال من قبل مالكي الأراضي والضرائب المفرطة. على الرغم من سحق الانتفاضة بوحشية، ظلت ذكرى الثورة قوية في القرى المحيطة حيث قضى ماو طفولته وشبابه.

وٌلد والد ماو، ماو جين شين، فلاحًا فقيراً وأجبر على أن يصبح جندياً لمدة سبع سنوات من أجل سداد ديون والده. في وقت لاحق من خلال العمل الجاد والادخار الدقيق، تمكن من إعادة شراء أرضه، مما ليصبح فلاحًا متوسطًا وتاجراً صغيراً، ومع ذلك، ظل مستوى معيشة الأسرة سيئًا للغاية. حتى في سن السادسة عشرة، كان ماو يأكل بيضة واحدة فقط في الشهر واللحوم حوالي ثلاث أو أربع مرات في الشهر. وضع والد ماو أطفاله للعمل في أسرع وقت ممكن، وهكذا بدأ ماو العمل في الحقول في سن السادسة. كانت والدة ماو، وين تشي مي، من منطقة شيانغشيانغ على بعد ستة عشر ميلاً فقط من شاوشان. كان ماو الابن

الأكبر، كان لديه شقيقان أصغر وأخت بالتبني، كان الثلاثة من بين أعضاء أول فرع للحزب الشيوعي الصيني الذي شكله ماو، وأصبح الجميع شهداء في الثورة.

كان ماو متمرداً منذ صغره، ودعا والده "القوة الحاكمة"، وغالباَ ما كان يتحد مع والدته وأخيه والعامل ضد سلطة والده، كانت هذه هي المعارضة. في المدرسة أيضًا عارض العادات القديمة، مرة واحدة احتجاجًا على معلمه في المدرسة، هرب وهو في السابعة من عمره لمدة ثلاثة أيام ومكث في الجبال المحيطة بقريته، بعد هذا الاحتجاج - الذي وصفه ماو بأول إضراب ناجح له - لم يتعرض للضرب في المدرسة.

كانت مدرسة ماو الأولى هي مدرسة القرية الابتدائية، التي التحق بها في سن السابعة، وبمجرد أن تعلم القراءة الكافية طور شغفه بالقراءة، فضّل كتب التمرد والمغامرة الرومانسية وفي كثير من الأحيان كان يقرأ طوال الليل على ضوء مصباح الزيت. لم يكن والد ماو، الذي لم يكن لديه سوى القليل من التعليم، مهتماً بمواصلة ماو تعليمه لفترة طويلة، كان بحاجة لمن يعمل في الحقول ويحتفظ بحساباته، لذلك في عام 1906، قام بإخراج ماو من مدرسة القرية. ومع ذلك، واصل ماو اهتمامه بالقراءة وطالب باستمرار بإرساله لمزيد من التعليم. لم يستطع والده فهم مصلحة ابنه واعتقد أن الحل هو الزواج، لذلك، في سن الرابعة عشرة ، زوّجه من فتاة من نفس المنطقة، لكن ماو رفض إتمام الزواج.

في غضون ذلك، كان الجو الثوري ينمو بسرعة في المناطق المحيطة. وقع تمردان في هذه الفترة، وكان لهما تأثير دائم على ماو، إحداها هي الثورة التي اندلعت في هونان عام 1906 بقيادة ثوار حزب القومي صن يات صن، وكان الآخر عبارة عن تمرد ضد مالك أرض من قبل مجموعة من فلاحي شاوشان نفسها، وكلاهما تم سحقهما وقطع رأس الزعيمين. لقد تأثر ماو كثيراً بالظلم وكان يتوق إلى فعل

شيء جذري للبلاد وشعبها، كما تاق إلى مواصلة تعليمه. أخيراً في عام 1910، تم إرساله إلى مدرسة ابتدائية عليا، في حي شيانغشيانغ الذي تسكنه والدته.

كان جميع الطلاب في هذه المدرسة من أصحاب العقارات ومن خلفية ثرية وقد نظروا في البداية إلى ماو بازدراء، ومع ذلك، سرعان ما تفوّق ماو على جميع الطلاب الآخرين بفكره الفائق وعمله الجاد ودراسته. كان يجلس لساعات طويلة يقرأ في الفصل بعد أن يغادر الجميع، فتأثر أساتذته بشدة بقدراته، وفي غضون بضعة أشهر كان مضطرّاً للانتقال إلى مستوى أعلى. بعد عام اجتاز بسهولة امتحانات القبول في المدرسة الإعدادية التي تقع في تشانغشا، عاصمة مقاطعة هونان، في سبتمبر 1911 قطع ماو مسافة 40 ميلاً إلى تشانغشا. كان ماو، الذي كان يبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا تقريبًا، يرى لأول مرة مدينة.

كانت تشانغشا، مدينة العلماء، في حالة اضطراب شديد وقت وصول ماو إلى هناك. تم تشكيل جمعيات ثورية تحت أسماء مختلفة من قبل المعلمين والطلاب، تم تداول المطبوعات السرية وكان من المتوقع حدوث انفجار في أي لحظة. كان ماو، الذي طور بالفعل بعض التفكير الراديكالي، حريصًا على المشاركة في الأحداث. في غضون شهر من وصول ماو، اندلعت الثورة البرجوازية عام 1911 تحت قيادة صن يات صن، فقرر ماو على الفور الانضمام إلى الجيش الثوري، لكن سرعان ما تعرضت الثورة للخيانة وسقطت في أيدي الثوار المعادين، وبعد خمسة أشهر، استقال ماو من الجيش وعاد إلى تشانغشا.

عند عودته، كان ماو يبحث عما يجب أن يفعله وعن الاتجاه الذي يجب أن يسلكه في الحياة. أثناء بحثه عن الإعلانات في الصحف، سجل في عدد من الدورات في المدارس بدءاً من مدرسة صناعة الصابون ومدرسة الشرطة إلى كلية الحقوق والمدرسة التجارية، وأخيراً جلس لاجتياز امتحان القبول في المدرسة الإعدادية الإقليمية الأولى في تشانغشا وحصل على المركز الأول. بعد ستة أشهر،

غادر المدرسة ورتب جدولًا تعليمياً خاصًا به، والذي يتكون من القراءة يومياً في مكتبة مقاطعة هونان. كان لمدة ستة أشهر، يقضي اليوم بأكمله من الصباح إلى المساء في المكتبة مع وجبة غداء صغيرة من كعكتين من الأرز. غطت هذه الفترة من القراءة المكثفة مجموعة واسعة جدًا من الموضوعات الاجتماعية والعلمية للمؤلفين الغربيين وكذلك الصينيين، لقد أرسى الأساس لتعليمه. ستة أشهر من هذه الدراسة تركت ماو مفلسًا تمامًا، فرفض والده، الذي لم يستطع فهم رغبة ابنه في مواصلة القراءة بمفرده، أن يدعمه ما لم يلتحق بمدرسة حقيقية.

وهكذا في عام 1913، انضم ماو إلى كلية هونان الأولى للمعلمين ومكث هناك لمدة خمس سنوات من عام 1913 إلى عام 1918. أدى انهيار الحكومة المركزية الصينية واندلاع الحرب العالمية الأولى إلى خلق ظروف من الاضطرابات الشديدة في جميع أنحاء الصين والعالم. في الصين، أصبحت الحروب بين جيوش المقاطعات لجنرالات أمراء الحرب أمراَ شائعًا، وكانت أيضًا الفترة التي حاولت فيها اليابان، مستفيدة من مشاركة القوى الإمبريالية الأخرى في الحرب، تحقيق الهيمنة الكاملة على الصين. أدى ذلك إلى معارضة قوية من المثقفين الصينيين والقطاعات الثورية.

خلال هذه السنوات تشكلت أفكار ماو السياسية. في عام 1915، أصبح سكرتيراَ لجمعية الطلاب في الكلية العادية وأنشأ جمعية الحكومة الذاتية للطلاب التي نظمت الكثير من التحريض لفائدة مطالب الطلاب ضد سلطات الكلية، كما قاد ماو هذه المنظمة في مظاهرات في الشوارع ضد الهيمنة اليابانية وعملائهم الصينيين. أصبحت هذه المنظمة في ما بعد نواة للمنظمات الطلابية المستقبلية في مقاطعة هونان.

مع نمو هجمات جنرالات أمراء الحرب، شكل الطلاب في العديد من الأماكن فيلقا للدفاع عن النفس. في عام 1917 أصبح ماو قائدًا لكتيبة الكلية، حصل على

بعض الأسلحة من الشرطة المحلية وقاد الطلاب في هجمات حرب العصابات على مجموعات أمراء الحرب لجمع المزيد من الأسلحة، وباستخدام معرفته بتكتيكات حرب العصابات التي استخدمها مقاتلو هونان السابقون بالإضافة إلى دراسة النظرية العسكرية، قام ماو ببناء كتيبة الكلية لتصبح قوة قتالية فعالة. كما أبدى ماو اهتمامًا شديدًا بجميع الحملات العسكرية الرئيسية للحرب العالمية الأولى، وقد حاضر وكتب مقالات حول الاستراتيجيا والتكتيكات.

كما شارك ماو في أنشطة أخرى مختلفة. حارب الشرور الاجتماعية مثل انتشار الأفيون والدعارة، حارب ضد اضطهاد النساء وحاول ضمان أقصى مشاركة للمرأة في الحركة الطلابية. كتب وشجع السباحة والرياضة والتدريب البدني المكثف بين الطلاب والشباب. هو نفسه حافظ على لياقته البدنية القصوى - أخذ حمامات باردة على مدار العام، سبح في الماء البارد، ذهب حافي القدمين وعاري الصدر ومشى لمسافات طويلة في التلال، وما إلى ذلك.

في عام 1918، افتتح ماو "جمعية دراسة الشعب الجديد"، التي كان يخطط لها لمدة عام تقريباَ. كانت إحدى المجموعات الطلابية العديدة، لكنها نمت إلى شيء آخر، إلى جوهر حزب سياسي. منذ البداية أصرّ ماو على ان تكون فضاءَ للعمل وكذلك منبرا للنقاش، لن تتحدث فقط عن الثورة، بل تمارسها، وهذا يبدأ أولاً وقبل كل شيء بإحداث ثورة في أعضائها، وتحويلهم إلى "رجال جدد". كان لديها عضوات من الفتيات وتناولت، من بين أمور أخرى، اضطهاد المرأة في نظام الزواج التقليدي، وسارت أنشطتها وفق برنامج النقاش والدراسة والعمل الاجتماعي. شملت الأنشطة الاجتماعية المدارس الليلية للعمال، وزيارة المصانع، والتظاهر ضد الإمبريالية اليابانية، وكتابة المقالات، والنضال من أجل أفكار جديدة، واستخدام اللغة العامية. في السنوات اللاحقة، انضم جميع أعضاء الجمعية الثلاثة عشر الأصليين إلى الحزب الشيوعي الصيني، الذي تأسس عام

1921، وبحلول عام 1919 ، كان هناك ثمانون عضواً، منهم أكثر من أربعين عضواً سينضمون إلى الحزب.

قبل وقت قريب من تخرجه من الكلية العادية في عام 1918، انضمت إلى ماو والدته التي جاءت إلى هناك لتلقي العلاج في تشانغشا. ومع ذلك، لم تُشفَ وتوفيت في أكتوبر 1918. بعد وفاتها، انتقل ماو إلى بكين، عاصمة الصين، حيث تولى لمدة ستة أشهر وظيفة ضعيفة الأجر كمساعد أمين مكتبة في جامعة بكين. تم الحصول على هذه الوظيفة من خلال لي تا تشاو (Li Ta-chao) أمين مكتبة الجامعة، الذي كان أول مفكر صيني يمتدح الثورة الروسية ومن أوائل الذين قدموا الفكر الماركسي إلى الصين، وهذا ما جعل ماو يتطوّر بسرعة نحو الماركسية. بدأ في قراءة أعمال لينين التي تُرجمت إلى الصينية، وقبيل نهاية عام 1918 انضم إلى مجموعة الدراسة الماركسية التي شكلها لي، كما التقى بالعديد من المثقفين والماركسيين. كان تشين تو-هسيو، الذي كان له تأثير عليه في ذلك الوقت، أول سكرتير للحزب الشيوعي الصيني، كان تشين في ذلك الوقت رئيس تحرير المجلة الراديكالية "شباب جديد" (New Youth)، التي كان ماو قد كتب لها بالفعل والتي كان لها تأثير عليه.

أمضى ماو ستة أشهر فقط في بكين. خلال هذه الفترة، وقع في حب يانغ كاي هوي، ابنة أحد محاضري كلية تشانغشا، والذي كان أستاذًا في جامعة بكين، كانت هوي آنذاك طالبة تحضر دورة في الصحافة في الجامعة، لكليهما كان حبهم الأول، كان حبهما من النوع الذي كان يُطلق عليه فيما بعد الحب "الجديد" حيث اتخذ الشريكان خيارهما الخاص بما يتعارض مع النظام التقليدي للزيجات المرتبة. لبعض الوقت ظل حبهما سرا، لم يكونا متأكدين مما إذا كان هناك وقت للحب عندما كانت البلاد في أمس الحاجة إليهما لذلك قرّرا الانتظار بعض الوقت قبل اتخاذ قرار نهائي.

في أفريل 1919، عاد ماو إلى تشانغشا قبل اندلاع حركة 4 مايو التاريخية عام 1919. هزت هذه الحركة الديمقراطية المناهضة للإمبريالية الصين بأكملها، على الرغم من أنها بدأت من قبل الطلاب، فقد غطت بسرعة قطاعات واسعة من العمال والتجار وأصحاب المتاجر والحرفيين وأقسام أخرى. أشرك ماو نفسه على الفور بإخلاص في التحريض السياسي، لدى وصوله، تولى على الفور وظيفة منخفضة الأجر كمدرس في مدرسة ابتدائية، لكن كل وقت فراغه قضّاه في تنظيم التحريض ونشر الماركسية. شجع دراسة الماركسية في جمعية دراسة الشعب الجديد وجمعيات الطلاب الأخرى التي كان على اتصال بها. في الوقت نفسه، أسس جمعية الطلاب المتحدون في هونان والتي تضم حتى طلاب المدارس الصغار والفتيات بشكل كبير وذلك بهدف توحيد كل الأقسام. نظم ماو حركة لضبط وحرق البضائع اليابانية. أصدر مجلة أسبوعية "مجلة نهر شيانغ" (The Xiang River Review)، والتي سرعان ما كان لها تأثير كبير على حركة الطلاب في جنوب الصين. عندما تم حظر الأسبوعية في أكتوبر 1919، واصل ماو الكتابة في مجلات أخرى وسرعان ما حصل على وظيفة كصحفي في العديد من صحف هونان وانطلق إلى المدن الكبرى في ووهان وبكين وشنغهاي لكسب الدعم لحركة هونان.

لكن عندما وصل إلى بكين في فبراير 1920، سرعان ما انخرط في خطط بناء الحزب الشيوعي الصيني، فأجرى مناقشات مع أمين مكتبة جامعته، لي تا تشاو ومثقفين آخرين وزار المصانع وساحات السكك الحديدية وناقش الماركسية مع العمال. في نفس الوقت قام بمزيد دراسة أعمال ماركس وإنجلز واشتراكيين آخرين، كما التقى يانغ كاي هوي الذي كان يدرس الماركسية فناقشا حماسهما للثورة.

بعد بكين، أمضى ماو أربعة أشهر في شنغهاي، أكبر مدينة في الصين وأكبر مركز صناعي وتجاري لها. هنا أجرى مناقشات مع تشين تو هسيو وماركسيين آخرين

في شنغهاي. ومن أجل إعالة نفسه، عمل كعامل في مغسلة، حيث يقضّي من 12 إلى 14 ساعة في اليوم في هذا الشّغل. خلال هذه الفترة، في مايو 1920، تم إنشاء أول مجموعة شيوعية صينية في شنغهاي.

عندما انتقل ماو إلى هونان في جويلية 1920، بدأ العمل على إنشاء مجموعة شيوعية مماثلة هناك. توفي والده في بداية العام وجعل ماو منزله في شاوشان هناك في البداية. كان شقيقاه وأخته بالتبني من بين أوائل المجندين في المجموعة الشيوعيّة. ثم عاد إلى تشانغشا حيث واصل التجنيد، هناك تولّى وظيفة مدير مدرسة ابتدائية ودرّس أيضًا فصلًا واحدًا في الكلية العادية التي حصل على راتب مريح منها لأول مرة.

قبل نهاية عام 1920، تزوج ماو من يانغ كاي هوي وعاشا معًا لمدة عام ونصف كان ماو في تشانغشا مديراً لمدرسة ابتدائية. كانا يعتبرين زوجين مثاليين حيث شاركت يانغ أيضًا في عمل الحزب الذي أصبحت عضواً فيه في عام 1922. أنجبا ولدين، توفي أحدهما في عام 1950 كمتطوع في الحرب الكورية ضد الإمبريالية الأمريكية، وأصبح الآخر محاسباَ، تم القبض على يانغ الذي أدى عملاً سرياً للحزب في عام 1930 وتم إعدامه.

على الرغم من أن ماو شارك في العديد من التحركات خلال هذه الفترة، كان التركيز الرئيسي لعمله هو تشكيل وبناء الحزب الشيوعي الصيني. بعد تشكيل مجموعة شيوعية في هونان، ذهب ماو إلى شنغهاي لحضور المؤتمر الوطني الأول للحزب الشيوعي الصيني الذي عقد سراً في جويلية 1921، وكان أحد المندوبين الاثني عشر الذين مثلوا 57 عضواً فقط في الحزب في ذلك الوقت.

بعد المؤتمر، أصبح ماو أمين الحزب الإقليمي لمقاطعة هونان. منذ البداية أولى اهتمامًا خاصًا ببناء الحزب في هونان على أساس مبادئ الحزب اللينيني، لقد جند الشباب من المنظمات الثورية الموجودة وكذلك العمال الثوريين الذين تم

كسبهم من خلال توسيع الحركة العمالية. أطلق مجلتين شهريتين لرفع المستوى الإيديولوجي والسياسي لأعضاء الحزب وعصبة الشبيبة ومساعدتهم على مواصلة التثقيف الشيوعي بين الجماهير.

خلال هذه الفترة حتى عام 1923، ركز ماو بشكل كبير على تنظيم العمال في تشانغشا، ومنجم أنيوان (في مقاطعة كيانغسي المجاورة) وفي منجم شويكوشان للرصاص. بحلول أوت 1921 أنشأ أول نقابة عمالية شيوعية، في عام 1922، أسّس فرع هونان لاتحاد العمال لعموم الصين وأصبح رئيسًا له. كانت حركة وتنظيم "منجم أنيوان" (Anyuan Colliery) على وجه الخصوص مثالًا ممتازًا للتنظيم الشيوعي، في البداية، أدار الحزب مدارس أوقات الفراغ لعمال المنجم لمواصلة التعليم الماركسي، ثم نظم نقابة عمالية، وفي هذه الأثناء، تم تشكيل فرع لعصبة الشبيبة الاشتراكية بين العمال، وتم استيعاب أفضل أعضائها لاحقًا في الحزب. شهد منجم أنيوان إضرابات كبيرة كان لها تداعيات على مستوى البلاد، كان لديه تنظيم قوي استمر حتى في فترات القمع. قدم العمال دعمًا ومشاركة قيّمة في مراحل مختلفة من الحرب الثورية. كان أنيوان مركز الاتصال لأول منطقة قاعدة شيوعية في جبال تشينغ كانغ (Chingkang) .

لم يشارك ماو في المؤتمر الوطني الثاني للحزب الشيوعي الصيني، الذي عقد في جويلية 1922، حيث فاته موعده. شارك في المؤتمر الوطني الثالث الذي عقد في جوان 1923، وانتخب في اللجنة المركزية. قرر هذا المؤتمر الترويج لجبهة وطنية مناهضة للإمبريالية ومعادية للإقطاع بالتعاون مع حزب الكومينتانغ بقيادة صن يات صن. وجهت دعوات لأعضاء الحزب الشيوعي للانضمام إلى حزب الكومينتانغ كأفراد، فعل ماو ذلك وانتُخب كعضو مناوب في اللجنة التنفيذية المركزية للكومينتانغ في المؤتمرين الوطنيين الأول والثاني اللذين عقدا في عامي 1924 و1926، وعمل كرئيس لقسم الدعاية المركزية في الكومينتانغ وتحرير المجلة السياسية الأسبوعية وأدار المؤتمر السادس.

الفصل 24 نضال ماو ضد خطوط اليمين واليسار وانتصار الثورة الصينية

مرحلة الحرب الأهلية الثورية الأولى

من عام 1924 حتى بداية عام 1926، تقدّمت الثورة الصينية بسرعة مع البروليتاريا والفلاحين في غليان كبير. في عام 1925، تحولت الاحتجاجات ضد مذبحة 30 ماي على يد الشرطة البريطانية ضد المتظاهرين في شنغهاي إلى حركة شعبية مناهضة للإمبريالية شاركت فيها جميع شرائح الجماهير في جميع أنحاء البلاد. كانت البلاد على شفا معركة حاسمة بين الثورة والثورة المضادة.

ومع ذلك، فقد أصاب الحزب الشيوعي الصيني انحرافان. كانت الزمرة الانتهازية اليمينية المهيمنة بقيادة الأمين العام للحزب آنذاك تشين تو هسيو الذي اتخذ موقفًا مفاده أن الثورة البرجوازية الديمقراطية يجب أن تقودها البرجوازية وأن هدف الثورة يجب أن يكون تشكيل جمهورية برجوازية، ووفقا لخطه، كانت البرجوازية هي القوة الديمقراطية الوحيدة التي يجب أن تتحد معها الطبقة العاملة ولم يفكّر في أيّ إمكانية لبناء تحالف مع الفلاحين. من ناحية أخرى، كان الانتهازيون "اليساريون" الذين مثلهم تشانغ كو تاو، زعيم اتحاد العمال لعموم الصين الذي رأى فقط حركة الطبقة العاملة. لقد جادل بأن الطبقة العاملة قوية بما يكفي لصنع الثورة بمفردها، وهكذا تجاهلت زمرته أيضًا الفلاحين.

أثناء محاربة هاذين الانحرافين، قدّم ماو مساهماته الرئيسية الأولى في تطوير النظرية الماركسية. في مارس 1926، أخرج كتابه الشهير " تحليل لطبقات المجتمع الصيني" وفي مارس 1927 قدّم تقريره عن "تحقيق حول حركة الفلاحين في هونان". حاول في هذه الأعمال الإجابة على الأسئلة الأساسية للثورة الصينية: من هم أصدقاء الثورة ومن هم أعداؤها ؟ ومن هي القوة الرائدة ومن هم الحلفاء

الموثوق بهم والمترددون ؟ لقد جادل بأن البروليتاريا وليس البرجوازية هي التي ستضطر لقيادة الثورة، لكن البروليتاريا لن تكون قادرة على الانتصار بالقتال وحدها. وشدد على دور الفلاحين، الذين كانوا أقرب حليف للبروليتاريا وأكثرهم عددًا. وأشار أيضا إلى أن البرجوازية الوطنية كانت حليفا متذبذبا مع احتمال أن يصبح اليمين عدوا والجناح اليساري يبقى صديقا للثورة. كما قدم ماو أفكاره حول كيفية تعبئة الجماهير، وإنشاء حكومة ثورية وتنظيم القوات المسلحة للفلاحين. كان هذا هو منظور ماو الواضح للاتجاه الذي يجب أن تسلكه القوى الثورية.

كان هذا زمن الحملة الشمالية التي كانت جزءَا مهمًا من المرحلة الأولى من الثورة الصينية - الحرب الأهلية الثورية الأولى. كانت مسيرة للجيش الثوري بقيادة الجبهة الوطنية الموحدة الثورية (الجبهة المتحدة للكومينتانغ - الحزب الشيوعي الصيني). ابتداءَ من يوليو 1926 من كوانتونغ في جنوب الصين كان هدفها هو سحق الحكومة الرجعية لأمراء الحرب الشماليين المدعومين من الإمبريالية في حرب ثورية وتحقيق استقلال الصين ووحدتها. كانت الحملة الشمالية في البداية نجاحًا كبيرًا مع جنوب الصين بالكامل والعديد من أمراء الحرب الجنوبيين الذين هُزموا أو انتصروا. تحت تأثير الحملة الشمالية كان هناك طفرة بين الفلاحين، قامت البروليتاريا بالعديد من الانتفاضات المسلحة في المدن لتتزامن مع تقدم الجيش الثوري، حتى شنغهاي، أكبر مدينة صناعية وتجارية في الصين، تم تحريرها في مارس 1927 بعد ثلاث محاولات لانتفاضة عماليّة مسلحة.

تمّ تحقيق انتصارات كبيرة، غير أن الزمرة البرجوازية التي يمثلها شيانغ كاي شيك (زعيم الكومينتانغ الرئيسي بعد وفاة صن يات صن عام 1925) كسرت الجبهة المتحدة. في أفريل 1927، تم شن مذابح، بدعم من الإمبرياليين، ضد الكادر الشيوعي في مختلف أنحاء البلاد، غير أن قيادة الحزب الشيوعي الصيني الانتهازية اليمينية بزعامة تشين تو هسيو، بدلاً من حشد العمال والفلاحين ضد

رجعيي الكومينتانغ، خضعت لشيانغ وزمرته. في جويلية 1927 شنت زمرة أخرى من الكومينتانغ مذابح ضد الشيوعيين وأدّى ذلك إلى تفكك الجبهة المتحدة وهزيمة الحرب الأهلية الثورية الأولى.

كان الخط اليميني لتشن تو هسيو، الذي سيطر طوال فترة الحرب الأهلية الثورية الأولى، أحد الأسباب المهمة لفشل الثورة خلال هذه الفترة. على الرغم من أن ماو كافح ضد هذا الخط اليميني، إلا أنه لم يستطع الفوز بدعم الأغلبية في الحزب. في الواقع، في المؤتمر الوطني الخامس الذي عقد خلال هذه الفترة، في أفريل 1927، نجح تشين في إزاحة ماو من اللجنة المركزية.

مرحلة الحرب الأهلية الثورية الثانية

في أوت 1927، في بداية الفترة التالية - فترة الحرب الأهلية الثورية الثانية - تمت إقالة تشين تو هسيو من منصب الأمين العام. بعد انتقاده الشديد لانتهازية اليمين، أعيد ماو إلى اللجنة المركزية وعين عضواً مناوباً في المكتب السياسي المؤقت الذي تم إنشاؤه، لكن الانتقاد الصحيح لخط اليمين أفسح المجال في نوفمبر 1927 لهيمنة الخط "اليساري" في اللجنة المركزية، تحت قيادة شو شيو باي(Chu Chiu-pai) ، وهو رفيق فكري عاد بعد التدريب في روسيا. لقد أخطأ هذا الخط في التقييم بأن الثورة الصينية كانت في حالة "تصاعد مستمر"، وبالتالي دعا إلى انتفاضات مسلحة في العديد من المدن. انتقدت القيادة ماو لدعوته وقيادته انتفاضة فلاحية ومعارضة الانتفاضات في المدن الكبرى وتمت إزالته مرة أخرى من مناصبه المركزية، كما تم عزله من عضوية لجنة مقاطعة هونان. أدى الخط "اليساري" إلى خسائر فادحة والتخلي عن هذا الخط بحلول أفريل 1928.

قام المؤتمر السادس للحزب الشيوعي الصيني الذي عقد في موسكو في جوان 1928 بتصحيح هذا الخط "اليساري" الأوّل وتبنّى فهمًا صحيحًا في الأساس، متخليًا عن مواقف اليمين و"اليسار". على الرغم من أن ماو لم يحضر المؤتمر، إلّا

أنّه أيّد موقفه بشكل أساسي في العديد من النقاط، في غيابه انتخب مرة أخرى عضوا في اللجنة المركزية. أثناء تنفيذ هذا الفهم، وأثناء بناء الجيش الأحمر بعد إخفاقات الحملة الشمالية وانتفاضات المدينة، قدم ماو مساهماته الإضافية في تطوير النظرية الماركسية اللينينية. كتب لماذا يمكن أن توجد القوة السياسية الحمراء في الصين؟ في أكتوبر 1928، والنضال في جبال تشينغ كانغ في نوفمبر 1928. قدّمت هذه الأعمال التاريخية الأساس النظري للعملية التاريخية لبناء وتطوير الجيش الأحمر الجارية آنذاك، بدأ ماو، انطلاقا من مجموعة صغيرة من العمال والفلاحين المقاتلين، بعد فشل انتفاضة الفلاحين في عام 1927، في إنشاء أول قاعدة في جبال تشينغ كانغ في أكتوبر 1927. وخلال الفترة من عام 1927 إلى بداية عام 1930، كانت منطقة الفلاحين المسلحين قد نمت فيها الانتفاضات والقواعد الثورية الريفية بشكل مطرد. انضم العديد من الأقسام المقاتلة تحت القيادة الشيوعية إلى قوات ماو فنما الجيش الأحمر إلى 60.000 جندي، وبعد ذلك بقليل إلى 100.000 جندي.

ومع ذلك، بدأت الأفكار "اليسارية" في الظهور مرة أخرى، ومنذ عام 1930 تولى قيادة الحزب. سيطر خطان "يساريان" على الحزب وتسبّبا في ضرر لا يحصى، الأوّل بقيادة لي لي سان (Li Li-san) في عام 1930 والثاني بقيادة مانغ مينغ (Wang Ming)بين عامي 1931-1934. وضع لي لي سان في جوان 1930 خطة لتنظيم الانتفاضات المسلحة في المدن الكبرى في جميع أنحاء البلاد ولتركيز جميع وحدات الجيش الأحمر لمهاجمة هذه المدن الكبرى، فأدّت محاولة تنفيذ هذه الخطة بين جوان وسبتمبر 1930 إلى خسائر فادحة وطلب الكوادر تصحيحها. خلال هذه الفترة، قاد ماو هجومًا على تشانغشا لكنه انسحب لمنع خسائر فادحة في مواجهة القوات الإمبريالية المتفوّقة وقوات الكومينتانغ. بعد الانسحاب كان هناك قمع وحشي في تشانغشا تم خلاله إعدام يانغ كاي هوي، زوجة ماو، التي كانت تعمل تحت الأرض هناك. انتقد لي لي سان نفسه في جلسة عامة عقدت

في سبتمبر 1930 واستقال من المناصب القيادية، وتمّ نقل ماو وتشو تيه (قائد الجيش الأحمر) إلى المكتب السياسي المشكل حديثًا.

ومع ذلك، تم تجاوز هذا المكتب السياسي بجلسة مكتملة دعا إليها في جانفي 1931 وانغ مينغ أحد عناصر المجموعة المكوّنة من ثمانية وعشرين ممن يطلق عليهم اسم "البلاشفة" الذين عادوا بعد التدريب في روسيا، ولم يدعوا ماو وتشو تيه إلى الجلسة المكتملة لكنهم أبعدوهما مع آخرين من اللجنة المركزية. في أوت 1932، تم عزل ماو أيضًا من مناصبه كسكرتير للجنة الجبهة والمفوض السياسي للجيش الأحمر. مع السّيطرة على الحزب والجيش الأحمر بشكل كامل، ارتكبت زمرة وانغ مينغ العديد من الأخطاء التي أدت إلى خسائر فادحة، وطوال الوقت، كان هجومهم الرئيسي على ماو، الذي كان يمثل ما كانت تلك الزّمرة تعتبرهم انتهازية صحيحة والخطر الرئيسي داخل الحزب. كان الخط الصحيح لماو يسمى "خط الفلاحين الأغنياء"، وتمّ استخدام الأساليب الطائفية والفئوية من قبل قيادة الخط "اليساري" لمهاجمة ليس ماو فقط ولكن أيضًا قادة الخطوط "اليسارية" السابقة، لي لي سان وتشو تشيو باي. بينما كانت زمرة وانغ مينغ تسبّب الفوضى داخل الحزب، كان تشيانغ كاي تشيك ينظّم حملات متكرّرة للتطويق والقمع ضد مناطق القاعدة الحمراء، وقد هُزمت الحملات الأربعة الأولى بسبب قيادة ماو وتأثير مبادئه الإستراتيجية قبل أن تكتسب قيادة "اليسار" السيطرة الكاملة على الحزب والجيش الأحمر في مناطق القواعد، ومع ذلك، عندما تحركت القيادة "اليسارية" فعلياَ إلى منطقة القاعدة، أدت قيادتها المباشرة إلى أخطاء فادحة وهزيمة القوات الشيوعية في الحملة الخامسة لقوات الكومينتانغ. من أجل اختراق تطويق تشيانغ كاي تشيك وتحقيق انتصارات جديدة، تقرر اعتبارًا من أكتوبر 1934، إجراء تحول استراتيجي في الجيش الأحمر يهز العالم، وهو الإجراء المعروف باسم المسيرة الكبرى (الطويلة). كان ماو برفقة زوجته التالية، هو تزو تشان (Ho Tzu-chen)، وهي كادر حزبي من عائلة فلاحية محلية في منطقة

قاعدة كيانغسي (Kiangsi)، تزوّجا في عام 1931، بعد وفاة زوجة ماو السابقة، يانغ كاي هوي، كان لديهما طفلان تُركا مع الفلاحين في منطقة قاعدة كيانغسي في بداية المسيرة الكبرى.

خلال المسيرة الكبرى، في جلسة تسوناي الكاملة للحزب الشيوعي الصيني، في جانفي 1935، انتقلت قيادة الحزب إلى أيدي ماو وسياساته. كانت هذه نقطة تحول في المسيرة الكبرى وكذلك في الثورة الصينية. ثم تقرر مواصلة المسيرة الكبرى في اتجاه الشمال لتكون قادرة على تنسيق أفضل للحركة المناهضة لليابان على مستوى الأمة، والتي كانت تنمو باستمرار منذ الهجوم الياباني واحتلال شمال شرق الصين في عام 1931.

خلال المسيرة الكبرى، إلى جانب الهجمات المتكررة لقوات الكومينتانغ، كان على الحزب أيضًا مواجهة خط الطيران وأمراء الحرب بقيادة تشانغ كو تاو. هزم مؤتمرا اللجنة المركزية اللذان عقدا خلال المسيرة الكبرى اقتراح تشانغ كو تاو بالانسحاب إلى مناطق الأقليات القومية في سينغ كيانغ والتبت، لكنّ تشانغ رفض اتباع قرار الحزب وحاول تشكيل مركز حزبي جديد. قاد قسما من الجيش الأحمر في اتجاه مختلف فتعرض للهجوم والقضاء عليه من قبل قوات الكومينتانغ وأصبح تشانغ نفسه خائنًا وانضم إلى الكومينتانغ. وصلت القوة الرئيسية للجيش الأحمر إلى وجهتها في مقاطعة شينسي في شمال الصين في أكتوبر 1935، بعد عام واحد من بدء المسيرة الكبرى، كان الجيش الأحمر يبلغ قرابة 300.000 قبل بداية حملة التطويق الخامسة وتقلّص في أكتوبر إلى أكثر من عشرين ألفًا. كانت هذه النّواة هي التي أنشأت منطقة قاعدة شنسي-كانسو-نينغشيا (في المناطق الحدودية لهذه المقاطعات الثلاثة في شمال الصين) التي أصبحت معروفة باسم يآنان وهواسم عاصمتها. كانت هذه هي القاعدة التي قاد منها ماو الحزب والجيش الأحمر إلى النصر بحلول عام 1945 في الحرب ضد اليابان.

خلال هذه الفترة طلّق ماو وهو تزو تشن في عام 1938، وتزوّج في أفريل 1939 شيانغ تشينغ (Chiang Ching)، وهو الاسم الحزبي لان بينج، وهي ممثلة مسرحية وسينمائية، والتي انضمت إلى الحزب في عام 1933 وانتقلت إلى يآنان في عام 1937 لتدريس الدراما في أكاديمية الفنون هناك والمشاركة في فرق الدعاية التي نشطت بين الفلاحين، التقى بها ماو الذي اهتم بشدة بالفن والأدب في سياق هذا العمل ووقعا في الحب وقرّرا الزواج.

مرحلة حرب المقاومة ضد اليابان

فور الانتهاء من المسيرة الكبرى، ركّز ماو على تبنّي وتنفيذ توجّه تكتيكي جديد من أجل إنهاء الحرب الأهلية وتوحيد القوى لشن حرب مقاومة ضد اليابان. كان عرضه التقدمي حول "التكتيكات ضد الإمبريالية اليابانية" تطوراً كبيراً في تكتيكات الجبهة المتحدة الماركسية اللينينية. تم تطوير هذا لاحقًا في تقريره في مايو 1937 حول "مهام الحزب الشيوعي الصيني في فترة المقاومة ضد اليابان". قدم ماو عرضًا رائعًا لمرحلة تطور التناقضات الداخلية والخارجية للصين، وشرح التغيير في التناقض الرئيسي الناجم عن عدوان اليابان، وبالتالي التغيير في تكتيكات الجبهة المتحدة اللازمة لمواجهة الوضع الجديد، ودعا إلى تشكيل جبهة موحدة مع الكومينتانغ من أجل طرد المعتدين اليابانيين. ومع ذلك، لم يوافق تشيانغ كاي تشيك على الدخول في جبهة موحدة حتى أجبرته على ذلك دعاية الحزب الشيوعي الصيني وضغط بعض الفصائل في حزبه، وافق أخيراً، عندما ألقي القبض عليه في ديسمبر 1936 من قبل اثنين من جنرالاته الذين أصروا على ضرورة بناء جبهة موحدة مع الحزب الشيوعي الصيني. تأسست الجبهة المتحدة المناهضة لليابان في أوت 1937.

خلال فترة حرب المقاومة، اضطر ماو مرة أخرى إلى محاربة الاتجاهات الخاطئة على الرغم من أنها لم تتطور لتولّي قيادة الحزب والنضال. كان الأول هو الاتجاه المتشائم الموجود في بعض أقسام الكومينتانغ في الجبهة المتحدة، هؤلاء

الناس بعد بعض الهزائم على أيدي اليابانيين شعروا أن الصينيين يجب أن يتم قمعهم وحكمهم من قبل اليابانيين وغيرهم من الإمبرياليين، حتى أن أحد الفصائل كان مستعدًّا للاستسلام. من ناحية أخرى، كان هناك اتجاه في بعض أقسام الحزب الشيوعي الصيني من قبَل الذين شعروا أنه مع تشكيل الجبهة المتحدة سيكون هناك انتصار سريع على اليابانيين، لقد بالغ هؤلاء الرفاق في تقدير قوة الجبهة المتحدة ولم يروا الجانب الرجعي لعصبة تشيانغ كاي تشيك. ومن أجل تصحيح هذه النظريات الخاطئة وتوضيح المسار الصحيح للحرب، قام ماو في مايو 1938 بإخراج كتابه عن "الحرب طويلة الأمد" الذي أشار إلى أن الحرب ستنتهي في النهاية بالنصر لكن النصر لن يكون سريعًا، كما أرسى في هذا الكتاب وغيره من الكتابات المبادئ العسكرية للحرب.

كتب ماو أيضًا العديد من الأعمال الفلسفية للمساعدة في تثقيف كادر الحزب وإزالة الآثار الضارة للخطين السابقين اليمين و"اليسار". بناءً على هذه الكتابات، بين عامي 1941 و1944، تم تنظيم حملة تصحيح مطولة لمحاربة الأخطاء الرئيسية في الحزب. ترافق ذلك مع مناقشات معمّقة لمراجعة تاريخ الحزب، وشارك تشو إن لاي، الذي كان رفيقًا رائدًا طوال الفترة، في هذه العملية بشكل خاص. أدى هذا في النهاية إلى نبذ مفتوح وكامل للخطوط الخاطئة السابقة وتم تبني هذا الفهم في "القرار المتعلق ببعض المسائل في تاريخ حزبنا" في الجلسة الكاملة للحزب الشيوعي الصيني المنعقدة في أفريل 1945.

مسلحًا بالخط الصحيح والتكتيكات الصحيحة، قاد الحزب الشيوعي الصيني الشعب الصيني إلى النصر، أولاً في حرب المقاومة ضد اليابان ثم ضد الرجعيين بقيادة تشيانغ كاي تشيك. من قوة مقاتلة قوامها ما يزيد قليلاً عن عشرين ألفًا في نهاية المسيرة الكبرى، نما الجيش الأحمر إلى مليون قوة قرب نهاية الحرب ضد اليابان في عام 1945. في ذلك الوقت، في المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الصيني في أفريل 1945، قدم ماو في "تقريره عن حكومة التحالف"، تلخيصًا تفصيليًا

للحرب ضد اليابان وتحليلاً للوضع الدولي والمحلي الحالي، وقدّم برنامجا محددا لتشكيل حكومة ائتلافية مع الكومينتانغ بعد الانتصار على القوات اليابانية.

مرحلة الحرب الأهلية الثورية الثالثة

بعد الانتصار على اليابانيين، رفض شيانغ كاي تشيك، بسبب دعم الإمبريالية الأمريكية والقوة المتفوقة لقواته العسكرية، الموافقة على تشكيل حكومة ائتلافية بأي شروط معقولة. في ذلك الوقت، حتى ستالين أراد أن يتوصّل الحزب الشيوعي الصيني إلى اتفاق، قائلاً إنه لا ينبغي أن يخوضوا حرباً أهلية ويجب أن يتعاونوا مع شيانغ كاي تشيك، وإلا ستهلك الأمة الصينية. ومع ذلك، مضى الحزب الشيوعي الصيني في عهد ماو قدما وخاض ما أصبح يعرف باسم الحرب الأهلية الثورية الثالثة. بالاعتماد على الدعم الكامل من الجماهير وخاصة الفلاحين، تمكن الجيش الأحمر من تغيير ميزان القوى العسكري والانتقال في جويلية 1947 من الدفاع الاستراتيجي إلى الهجوم الاستراتيجي. بحلول أكتوبر 1949، كان الحزب الشيوعي الصيني قد انتصر، في غضون أربع سنوات، على مستوى البلاد على الكومينتانغ المدعوم من الولايات المتحدة.

مع انتصار الصين، غمر الفرح والفخر الماركسيين اللينينيين والبروليتاريا في جميع أنحاء العالم لتشكيل معسكر اشتراكي لا يقهر على ما يبدو يضم ثلث البشرية. لكن ماو أعطى فكرة عن التحديات المقبلة ومخاطر الفترة المقبلة، في عام 1949، بمناسبة الذكرى الثامنة والعشرين لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني، في خطابه "حول الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية" قال: "ثمانية وعشرون عاماً من عمر حزبنا هي فترة طويلة، حققنا فيها شيئاً واحدًا فقط - لقد حققنا انتصاراً أساسياَ في الحرب الثورية. وهذا يدعو للاحتفال لأنّه انتصار الشعب لأنّه انتصار في بلد كبير مثل الصين. لكن لا يزال أمامنا الكثير من العمل؛ لاستخدام تشبيه الرحلة، فإن عملنا السابق ليس سوى الخطوة الأولى في مسيرة طويلة من عشرة آلاف لي".

مباشرة بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، أعطت الحركة الشيوعية العالميّة اعترافًا صريحًا بأهمية مسار الثورة الصينية بالنسبة للمستعمرات وأشباه المستعمرات. في السابع والعشرين من جانفي عام 1950، ورد في افتتاحية نشرة "من أجل سلام دائم، من أجل ديمقراطية شعبية"، عضو كومينفورم، أن "المسار الذي سلكه الشعب الصيني... هو المسار الذي يجب أن تسلكه شعوب العديد من الدول المستعمرة والتابعة في نضالها من أجل الاستقلال الوطني والديمقراطية الشعبية.

"إن تجربة نضال التحرر الوطني المنتصر للشعب الصيني تعلّم أنه يجب على الطبقة العاملة أن تتحد مع جميع الطبقات والأحزاب والجماعات والمنظمات الراغبة في محاربة الإمبرياليين وأتباعهم وتشكيل جبهة موحدة واسعة على مستوى الأمة، بقيادة الطبقة العاملة وطليعتها - الحزب الشيوعي. . .

"إن الشرط الحاسم للنتيجة المظفرة للنضال من أجل التحرر الوطني هو تكوين جيوش التحرير الشعبية تحت قيادة الحزب الشيوعي، عندما تسمح الظروف الداخلية بذلك".

وهكذا، تم الاعتراف بالتطبيق الشامل للنظرية الماركسية اللينينية التي طورها ماو - أي الماوية - وبدأت تمثّل خطًا توجيهيًا للثوريين الحقيقيين في جميع أنحاء العالم، لا سيما في المستعمرات وأشباه المستعمرات.

تطورت صياغة ماو لمسار الثورة الصينية في كتاباته العديدة أثناء تقدم الثورة. لقد سبق أن أشار لينين إلى أنه في عصر الإمبريالية والثورة البروليتارية، كانت البروليتاريا وليس البرجوازية هي التي ستقود الثورة الديمقراطية البرجوازية. ماو في عمله "حول الديمقراطية الجديدة" وبتحقيق هذا الفهم، أشار كذلك إلى أنه

في هذه الحقبة، فإن أي ثورة في مستعمرة أو شبه مستعمرة موجهة ضد الإمبريالية، لم تعد تندرج ضمن التصنيف القديم للثورة العالمية البرجوازية الديمقراطية، بل ضمن فئة جديدة ؛ لم تعد جزءاً من الثورة العالمية البرجوازية أو الرأسمالية القديمة، بل هي جزء من الثورة العالمية الجديدة، الثورة العالمية الاشتراكية البروليتارية. لم يعد من الممكن اعتبار مثل هذه المستعمرات وأشباه المستعمرات الثورية حلفاء للجبهة المضادة للثورة للرأسمالية العالمية، لقد أصبحوا حلفاء للجبهة الثورية للاشتراكية العالمية. وهكذا، من أجل التمييز عن الثورة الديمقراطية البرجوازية القديمة، أطلق على الثورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات ثورة ديمقراطية جديدة. على هذا الأساس وضع سياسات واقتصاد وثقافة الديمقراطية الجديدة.

تطوّر ماو أيضًا على أساس فهم الجبهة المتحدة الذي أعطاه لينين وستالين. لقد أظهر أن البرجوازية في المستعمرات وأشباه المستعمرات كانت مقسمة إلى قسمين، البرجوازية الكمبرادورية والبرجوازية الوطنية. كانت البرجوازية الكمبرادورية، التي اعتمدت على الإمبريالية في وجودها ونموها، على الدوام عدواً للثورة، وكانت البرجوازية الوطنية حليفًا متذبذباً يساعد الثورة أحيانًا وينضم أحيانًا إلى الأعداء. وهكذا فإن الجبهة المتحدة تحت قيادة البروليتاريا ستتألف من تحالف أربع طبقات - البروليتاريا والفلاحون والبرجوازية الصغيرة الحضرية والبرجوازية الوطنية، أمّا أعداء الثورة فهم الإمبريالية والبرجوازية الكمبرادورية وملاك الأراضي.

وبحسب ماو، فإن الثورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات لن تتبع طريق التمرد الذي أعقبته الثورة الروسية حيث تم الاستيلاء على المدن الرئيسية أولاً ثم السيطرة على الريف. أظهر المسار الصيني للحرب الشعبية الطويلة التي تضمنت الاستيلاء على السلطة في المناطق الريفية، وبناء مناطق حرب العصابات ومناطق القواعد والتطويق والاستيلاء النهائي على المدن. لتحقيق هذا وضع ماو

المبادئ العسكرية للحرب الثورية، قام بتدريس كيفية بناء الجيش الأحمر، الذي كان سلاحًا ضروريًا للغاية للثورة، بدءًا من حرب العصابات ثم الانتقال إلى الحرب المتنقلة وأخيراً إلى حرب المواقع، أظهر ماو الطريقة التي يمكن لقوة صغيرة الاعتماد عليها من اجل الاعتماد على الجماهير الهائلة لبناء القوات اللازمة لهزيمة عدو هائل.

أخيراً، استنادًا إلى الفهم الماركسي اللينيني للدولة وديكتاتورية البروليتاريا، وضع ماو النظرية المتعلقة بشكل الدولة في الثورات في البلدان المستعمَرة، فعلى أساس نظرية الديمقراطية الجديدة، صاغ مفهوم الجمهورية الديمقراطية الجديدة.

قال إن هذه الجمهورية الديمقراطية الجديدة ستكون مختلفة عن الشكل الأوروبي الأمريكي القديم للجمهورية الرأسمالية في ظل الدكتاتورية البرجوازية التي هي الشكل الديمقراطي القديم والتي عفا عليها الزمن بالفعل، ومن ناحية أخرى، ستكون مختلفة أيضًا عن الجمهورية الاشتراكية من النوع السوفياتي في ظل دكتاتورية البروليتاريا. لفترة تاريخية معينة، لم يكن هذا الشكل مناسباً للثورات في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة. خلال هذه الفترة، كان من الضروري تبني شكل ثالث من الدولة في ثورات جميع البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة، أي الجمهورية الديمقراطية الجديدة في ظل الدكتاتورية المشتركة للعديد من الطبقات المعادية للإمبريالية. بما أن هذا النموذج يناسب فترة تاريخية معينة فهو بالتالي انتقالي، ومع ذلك، وفقًا لماو، فهو شكل ضروري ولا يمكن الاستغناء عنه.

تأسست هذه الدولة بعد انتصار الثورة الصينية في شكل الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية. شرح ماو جوهر دكتاتورية الشعب الديمقراطية على أنه مزيج من جانبين - الديمقراطية للشعب والديكتاتورية على الرجعيين. الشعب هو الطبقة العاملة والفلاحون والبرجوازية الصغيرة الحضرية والبرجوازية

الوطنية، تتحد هذه الطبقات، بقيادة الطبقة العاملة والحزب الشيوعي، لتشكيل دولتها الخاصة وانتخاب حكومتها الخاصة؛ إنهم يفرضون دكتاتوريتهم على كلاب الإمبريالية الجارية - طبقة ملاك الأراضي والبيروقراطيين البرجوازيين، وكذلك ممثلي تلك الطبقات.

وأشار ماو كذلك إلى أن الحزب الشيوعي كان عليه أن يقود عملية تحويل دكتاتورية الشعب الديمقراطي إلى دولة اشتراكية. دكتاتورية الشعب الديمقراطية، بقيادة البروليتاريا والقائمة على تحالف العمال والفلاحين، تطلبت من الحزب الشيوعي أن يوحّد الطبقة العاملة بأكملها، وجميع الفلاحين والجماهير العريضة من المثقفين الثوريين؛ هذه هي القوى الرئيسية والأساسية للدكتاتورية، بدون هذه الوحدة لا يمكن توطيد الدكتاتورية. ومن المطلوب أيضا أن يتّحد الحزب مع أكبر عدد ممكن من ممثلي البرجوازية الصغيرة الحضرية والبرجوازية الوطنية المستعدين للتعاون ومع مفكريهم ومجموعاتهم السياسية. كان هذا ضرورياً لعزل القوى المعادية للثورة، وإذا تم ذلك، فسيكون ذلك ممكناً.

إنّ كتابات ماو حول الفلسفة موجّهة لتثقيف كادر الحزب والجماهير بالماركسية اللينينية من أجل تغيير أسلوب التفكير والممارسة. كان ماو نفسه طالبًا متحمسًا للفلسفة، عندما كان يحصل على كتب عن الفلسفة كان يستهلكها في قراءة مركّزة مكثفة. بسبب التأثير السابق للدوغمائيّين الذين عادوا بعد الدراسة في روسيا ولم يتمكنوا من ربط معرفتهم بالواقع، كان ماو حريصًا باستمرار على ربط دراسة الحزب وتعليمه بالممارسة. لقد أراد أن يجعل الفلسفة الماركسية وبالأخص الطريقة الديالكتيكية الماركسية ممكنة الاستخدام من قبل جميع كوادر الحزب ونشطائه والعامّة.

نظرية المعرفة:

كان تعليم ماو حول نظرية المعرفة ذا أهمية قصوى. كان العمل المهم هو مقالته عن الممارسة "في الممارسة العمليّة: في العلاقة بين المعرفة والممارسة العلمية". على الرغم من أن الأمر استغرق ساعتين فقط من المحاضرات، إلاّ أنّ ماو قال إن الكتابة قد استغرقت أسابيع. النقطة المركزية التي يشرحها ماو هي أن المعرفة لا تسقط من السّماء، إنها تأتي من الممارسة الاجتماعية ومنها وحدها. فالمعرفة الحقيقية، أو الأفكار الصحيحة، تأتي من ثلاثة أنواع من الممارسات الاجتماعية هي، النضال من أجل الإنتاج والصّراع الطبقي والتجربة العلمية.

تعتمد النظرية على الممارسة، وقد قال ماو إنه من غير المعقول ألا يتم قياسها وفحصها بالممارسة. في المقابل، تغيّر النظرية الممارسة، وتغيّر طريقة عملنا وتفكيرنا، ومن خلال هذا يتمّ إحداث التحوّل واكتساب المزيد من المعرفة. لا أحد يولد حكيما أو يولد غبيّا. لا يمكن أن تأتي المعرفة قبل الخبرة الماديّة؛ لا يمكن لأي شخص أن يصبح خبيراً قبل القيام بأيّ شيء عمليًا.

شرح ماو عملية الحصول على المعرفة. يبدأ من المعرفة الإدراكية، مرحلة الإدراك الحسي والانطباعات، حيث يرى الإنسان في البداية الجوانب المنفصلة فقط، أي العلاقات الخارجية للأشياء. ومع استمرار الممارسة الاجتماعية، تتكرّر مرات عديدة الأشياء التي تؤدّي إلى تصّورات الإنسان وانطباعاته في سياق ممارسته؛ ثم يحدث تغيير مفاجئ (قفزة) في الدّماغ في عمليّة الفهم، وتتشكّل المفاهيم. في هذه المرحلة، لم تعد المفاهيم هي الظواهر والجوانب المنفصلة والعلاقات الخارجية للأشياء؛ فالبشر يدركون جوهر الأشياء وكاملها وعلاقاتها الداخلية. بين المفاهيم وإدراك الحواس لا يوجد فرق كمّي فحسب، بل أيضًا اختلاف نوعي. المعرفة المفاهيمية أو المنطقية أو العقلانية هي مرحلة أعلى من مرحلة المعرفة الإدراكية.

هناك جانبان مهمان لهذا: الأوّل هو أن المعرفة العقلانيّة تعتمد على المعرفة الحسيّة، فمن الحماقة الاعتقاد بأنّ المعرفة العقلانية يمكن تطويرها دون أن يختبر شخص ما أولاً ويحصل على المعرفة الإدراكية. الجانب الثاني المهم هو أن المعرفة الحسية لا يزال يتعين تطويرها إلى معرفة عقلانية. هذا يعني أن المعرفة الحسية يجب تعميقها وتطويرها إلى مرحلة المعرفة العقلانية.

ومع ذلك، فإن اكتساب المعرفة العقلانية ليس غاية في حد ذاته، كما تمسكت الماركسية دائمًا، فإن النقطة الأساسية لكل المعرفة هي وضعها موضع التنفيذ. وهكذا، كما يقول ماو، "اكتشفْ الحقيقة من خلال الممارسة، ومرّة أخرى من خلال الممارسة تحقّقْ منَ الحقيقة وقُمْ بتطويرها. البدءَ من المعرفة الحسيّة وتطويرها بنشاط إلى معرفة عقلانية؛ ثمّ الانطلاق من المعرفة العقلانية وتوجيه الممارسة الثوريّة بنشاط لتغيير العالم الذاتي والموضوعي. الممارسة والمعرفة ومرة أخرى الممارسة والمعرفة مرّة أخرى. يكرر هذا النموذج نفسه في دورات لا نهاية لها، ومع كلّ دورة يرتفع محتوى الممارسة والمعرفة إلى مستوى أعلى. هذه هي

كل نظرية المعرفة المادية الديالكتيكية، وهذه هي النظرية المادية الديالكتيكية عن وحدة المعرفة والفعل" .

حول التناقضات:

كانت المساهمة المهمّة الأخرى لماو في الفلسفة الماركسية في الديالكتيك وخاصة في ما يتعلق بفهم وتطبيق التناقضات. يظهر فهم واستخدام التناقضات في نقاط مختلفة وفي جميع أنحاء تحليلات وكتابات ماو تقريباً. عمله الرئيسي هو "في التناقض"، وهو مقال عن الفلسفة كتبه ماو في أغسطس 1937 بعد مقالته "في الممارسة" وبنفس الهدف المتمثل في التغلب على الخطأ الجسيم المتمثل في التفكير العقائدي الذي كان موجوداً في الحزب في ذلك الوقت. تم تقديم هذا المقال في الأصل كمحاضرتين في الكلية العسكرية والسياسية المناهضة لليابان في ينآن.

كان عمل ماو إلى حد ما استمراراً لعمل لينين الذي قام بشكل خاص بدراسة متعمّقة للتناقضات. أطلق لينين على التناقض اسم "ملح الديالكتيك" وذكر أن "تقسيم الواحد ومعرفة أجزائه المتناقضة هو جوهر الديالكتيك". أكد لينين في كتابه " مفكراته الفلسفي" ، "باختصار، يمكن تعريف الديالكتيك على أنه عقيدة وحدة الأضداد. هذا يجسد جوهر الديالكتيك، لكنه يتطلب تفسيرات وتطويراً".

تم إجراء هذه "التفسيرات والتطوير" بعد حوالي عشرين عامًا من قبل ماو. كان عمل ماو قفزة في فهم التناقضات، لقد فحص مسألة التناقضات بتفصيل كبير ووضّحها بطريقة تجعلها سهلة الفهم ويمكن لأيّ شخص استخدامها بسهولة.

أوّلاً، أكّد أن قانون وحدة الأضداد، هو القانون الأساسي للطبيعة والمجتمع وبالتالي أيضًا القانون الأساسي للفكر. بعد ذلك شرح مبدأ عالمية التناقض المطلق. فوفقًا لهذا المبدأ، يوجد التناقض في جميع عمليّات كلّ موضوع وكلّ فكرة ويوجد في كل هذه العمليات من البداية إلى النهاية. بعد ذلك، يعطي مبدأ خصوصية

ونسبية التناقض، ووفقًا لهذا المبدأ، لكلّ تناقض وكل جانب من جوانبه خصائصه الخاصة.

من المفاهيم المهمة جدًا التي قدمها ماو في هذا الصدد هي الوحدة والصراع بين الأضداد في التناقض. يشير ماو إلى أنّ وحدة أو هويـّة الأضداد مشروطة؛ ومن ثم فهو دائما مؤقت ونسبي، من ناحية أخرى صراع الأضداد لا ينتهي، إنّـه عالمي ومطلق.

مبدأ آخر مهم، قدمه ماو واستخدمه في كثير من الأحيان في تحليله، هو فهم التناقض الرئيسي والجانب الرئيسي للتناقض. وفقًا لهذا المبدأ، هناك العديد من التناقضات في عملية تطوّر الشيء المعقد، وأحدها هو بالضرورة التناقض الرئيسي الذي يحدد وجوده وتطوره أو يؤثر على وجود وتطور التناقضات الأخرى. ومن ثم، إذا كان هناك عدد من التناقضات في أي عملية، فيجب أن يكون التناقض الأساسي هو التناقض الرئيسي الذي يلعب الدور القيادي والحاسم، بينما يحتل الباقي مكانة ثانوية وتابعة. لذلك، عند دراسة أي عملية معقدة يوجد فيها تناقضان أو أكثر، يجب أن نكرّس كل جهد لإيجاد تناقضها الأساسي. بمجرد فهم هذا التناقض الأساسي، يمكن حل جميع المشكلات بسهولة.

وبالمثل، في أي تناقض، يكون تطوير الجوانب المتناقضة غير متساوٍ، ففي بعض الأحيان يبدو أنهم في حالة توازن، وهو أمر مؤقت ونسبي فقط، في حين أن التفاوت أساسي. من بين الجانبين المتناقضين، يجب أن يكون أحدهما أساسياَ والآخر ثانوياً، الجانب الرئيسي هو الذي يلعب الدور الرئيسي في التناقض. يتم تحديد طبيعة الشيء بشكل أساسي من خلال الجانب الرئيسي للتناقض، وهو الجانب الذي اكتسب المركز المهيمن.

أعطى ماو دائمًا أهمية مركزية لفهم التناقض الأساسي في تحليله، وهكذا في تحليله للمجتمع الصيني كان دائما يحلّل التناقض الأساسي. كان هذا تقدمًا عن

التحليل الماركسي اللينيني السابق، والذي لم يدخل بشكل خاص في تحليل التناقض الأساسي في بلد أو ثورة. ومع ذلك، أكّد ماو أنّه ما لم نفحص جانبين - التناقضات الرئيسية وغير الرئيسية في العملية، والجوانب الرئيسية وغير الرئيسية للتناقض - فسوف نتعثر في التجريدات، ولن نكون قادرين على فهم التناقض بشكل ملموس وبالتالي تكون غير قادر على إيجاد الطريقة الصحيحة لحلّها. تكمن أهميّة فهم التناقض الأساسي والجانب الرئيسي للتناقض في أنهما يمثلان تفاوت القوى المتناقضة. لا شيء في هذا العالم يتطور بشكل متساوٍ تمامًا، وبالتالي كان من الضروري فهم التغيير في موقف التناقضات الرئيسية وغير الرئيسية والجوانب الرئيسية وغير الرئيسية للتناقض. فقط من خلال فهم المراحل المختلفة للتفاوت في التناقضات وعملية التغيير في هذه التناقضات يمكن للحزب الثوري أن يقرر إستراتيجيته وتكتيكاته، في كل من الشؤون السياسية والعسكرية.

أخيراً أوضح ماو في ما يتعلق بمسألة العداء في التناقض. فوفقا له، العداء هو شكل واحد، ولكن ليس الشكل الوحيد، لصراع الأضداد؛ لذلك لا يمكن تطبيق صيغة العداء بشكل تعسفي في كل مكان. تتميز بعض التناقضات بالعداء المفتوح، والبعض الآخر ليس كذلك. وفقًا للتطور الملموس للأشياء، تتطور بعض التناقضات، التي كانت في الأصل غير عدائية، إلى تناقضات عدائية، بينما تتطور التناقضات الأخرى التي كانت في الأصل عدائية إلى تناقضات غير عدائية. إنّ أشكال النضال تختلف باختلاف طبيعة التناقضات، ويمكن حل التناقضات غير العدائية بالوسائل السلمية والودية، بينما تتطلب التناقضات العدائية وسائل غير سلمية.

عاد ماو إلى مسألة التناقضات العدائية وغير العدائية خلال فترة البناء الاشتراكي وأثناء الثورة الثقافية، وأكّد أنّه على الرغم من انتصار الثورة، من الخطأ الاعتقاد بأن التناقضات لم تعد موجودة في المجتمع الصيني. بل أظهر أنه لا يزال هناك نوعان مختلفان من التناقضات: التناقضات مع العدو والتناقضات في صفوف

الشعب. إنّ التناقضات مع العدوّ عدائية ويجب التعامل معها بالقمع، من ناحية أخرى، كان لابد من التعامل مع التناقضات في صفوف الشعب غير العدائية بطريقة لا تتعارض مع طبيعتها غير العدائيّة. لقد شدّد ماو دائمًا على الحاجة إلى المعالجة الصحيحة للتناقضات، وأشار إلى أنه إذا لم يتم فهم التناقضات والتعامل معها بشكل صحيح، فهناك دائمًا خطر عودة الرأسمالية.

منذ أن تولّى ماو قيادة الحزب الشيوعي الصيني، بذل كل الجهود لتطوير الحزب على أسس لينينية حقيقية. فبسبب سيطرة الخطوط غير الصحيحة السابقة، ولا سيما الخط الثالث "اليساري" لوانغ مينغ، كان هناك العديد من الانحرافات في أداء الحزب. وبسبب الفهم الطائفي لم تكن هناك معايير مناسبة لأداء الديمقراطية المركزية ونهج خاطئ تمامًا للصراع بين الخطّين. فقد تمّ اتخاذ القرارات دون تشاور ودون إشراك كادر الحزب والتلاعب في عقد الجلسات العامة والاجتماعات الأخرى. لم يتم إجراء صراع بين خطين علنًا وتعرض ممثلو وجهة النّظر الأخرى للمضايقة والعقاب. أيضا بسبب الدوغمائية لم يكن هناك تنفيذ للخط الشامل. لهذا كلّه، بذل ماو كل المحاولات لتصحيح هذه الانحرافات وكذلك بناء المنتديات والهيئات المناسبة. في هذه العملية، أوضح ماو أيضًا وطور العديد من المفاهيم التنظيمية، لقد حاول أيضًا تصحيح بعض الفهم الخاطئ الذي نما في الحركة الشيوعية العالمية وأيضًا في الحزب الشيوعي تحت قيادة ستالين.

الديمقراطية المركزيّــة:

تظهر محاولة ماو لتصحيح الانحرافات الطائفية والبيروقراطية في تفسيره فيما يتعلق بالديمقراطية المركزية. من الواضح أن فهم ماو للديمقراطية المركزية هو "الديمقراطية أولاً، ثم المركزية". لقد أوضح ذلك بعدة طرق: "إذا لم تكن هناك ديمقراطية فلن تكون هناك أية مركزية"، فإن "المركزية هي المركزية المبنية على أساس الديمقراطية. مركزية بروليتارية ذات قاعدة ديمقراطية واسعة"'.

استندت وجهة النظر هذه عند ماو إلى فهمه أن المركزية تعني أولاً وقبل كل شيء مركزية الأفكار الصحيحة. لكي يطبّق هذا الأمر، كان من الضروري لجميع الرفاق أن يعبروا عن آرائهم وآرائهم ولا يحتفظوا بها داخل زجاجات، لن يكون هذا ممكنًا إلا إذا كانت هناك أكمل ديمقراطية ممكنة حيث يشعر الرفاق بحرية

التعبير عمّا يريدون قوله وحتى التنفيس عن غضبهم، لذلك بدون الديمقراطية سيكون من المستحيل تلخيص التجربة بشكل صحيح. بدون ديمقراطية، بدون أفكار من الجماهير، من المستحيل صياغة خطوط أو مبادئ أو سياسات أو أساليب جيدة. ولكن مع الديمقراطية البروليتارية كان من الممكن تحقيق وحدة التفاهم والسياسة والتخطيط والقيادة والعمل على أساس تركيز الأفكار الصحيحة، هذه هي الوحدة من خلال المركزية.

لم يقصر ماو فهم الديمقراطية المركزية على عمل الحزب فقط، بل وسّع الفهم ليشمل مسألة إدارة الدولة البروليتارية وبناء الاقتصاد الاشتراكي. شعر ماو أنه بدون الديمقراطية المركزية، لا يمكن ترسيخ دكتاتورية البروليتاريا، بدون ديمقراطية واسعة للشعب، كان من المستحيل أن تتوطد دكتاتورية البروليتاريا أو أن تستقر السلطة السياسية، بدون ديمقراطية، بدون إثارة الجماهير وبدون إشراف الجماهير، سيكون من المستحيل ممارسة ديكتاتورية فعالة على الرجعيين والعناصر السيئة أو إعادة تشكيلهم بشكل فعّال. كان ماو يدلي بهذه الملاحظات بعد ظهور التحريفية الحديثة في الاتحاد السوفياتي ورأى أن الجماهير لم يتم حشدها لممارسة دكتاتورية البروليتاريا. كما شهد صعود الميول التحريفية داخل الحزب الشيوعي الصيني على أعلى المستويات، وأدرك أن الضمان الوحيد ضد مثل هذه الاتجاهات كان مبادرة ويقظة الكوادر ذات المستوى الأدنى والجماهير.

وهكذا قال ماو في حديثه في جانفي 1962: "ما لم نعزّز الديمقراطية الشعبية والديمقراطية الداخلية للحزب بشكل كامل، وما لم نطبّق الديمقراطية البروليتارية بالكامل، فسيكون من المستحيل أن تتمتع الصين بمركزية بروليتارية حقيقية. بدون درجة عالية من الديمقراطية، من المستحيل أن يكون لديك درجة عالية من المركزية وبدون درجة عالية من المركزية، من المستحيل إقامة اقتصاد اشتراكي. وماذا سيحدث لبلدنا إذا فشلنا في إقامة اقتصاد اشتراكي؟ سوف تتحول إلى دولة تحريفية، بل إلى دولة برجوازية، وسوف تتحول دكتاتورية البروليتاريا إلى

دكتاتورية برجوازية، ودكتاتورية رجعية فاشية في ذلك الوقت. هذا سؤال يستحق يقظتنا كثيرا، وآمل أن يعطيه رفاقنا قدرا كبيرا من التفكير".

الصّراع بين الخطين:

هو جانب آخر من جوانب المبادئ التنظيمية للحزب، حيث طوّر ماو الفهم الماركسي والنظرية. كان نهج ماو القائم على المادية الديالكتيكية هو رؤية الآراء الخاطئة داخل الحزب الشيوعي على أنها انعكاس لطبقات مختلفة في المجتمع. وهكذا، طالما استمر الصراع الطبقي في المجتمع، فلا بد أن يكون انعكاسه في الصراع الأيديولوجي داخل الحزب. كان نهجه تجاه هذه التناقضات مختلفًا أيضًا، لقد اعتبرها تناقضات غير عدائية والتي في البداية يجب أن نحاول تصحيحها من خلال "النضال الجاد". يجب أن نعطي فرصة كبيرة للتصحيح، وفقط إذا "استمر" الأشخاص الذين يرتكبون أخطاءَ أو "يفاقمونها"، عندها يكون هناك احتمال أن يصبح التناقض عدائيَا.

كان هذا تصحيحًا لفهم ستالين، والذي قدمه في كتاب "أسس اللينينية". لقد عارض ستالين أي محاولة لتصحيح الاتجاهات الخاطئة من خلال الصراع داخل الحزب، ووصف هذه المحاولات بـ "نظرية" هزيمة "العناصر الانتهازية بالنضال الإيديولوجي داخل الحزب"، وهي حسب قوله "نظرية فاسدة وخطيرة تهدد بإصابة الحزب بالشلل والعجز المزمن"، رفض هذا العرض قبول احتمال وجود تناقض غير عدائي وعامل النضال ضد الانتهازية على أنه تناقض عدائي منذ البداية.

لاستخلاص الدروس من التجربة التاريخية نفسها، قدم ماو أساليب النضال داخل الحزب بالطريقة التالية: "يجب على جميع الأعضاء البارزين في الحزب تعزيز الديمقراطية داخل الحزب والسماح للناس بالتحدث. ما هي الحدود ؟ الأول هو أن الانضباط الحزبي يجب مراعاته، حيث تخضع الأقلية للأغلبية ويخضع جميع أعضاء اللجنة المركزية. حد آخر هو أنه لا يجب تنظيم فصيل سري. نحن لا نخاف من الخصوم الصريحين، نحن نخاف فقط من الخصوم

السريين. أمثال هؤلاء لا يقولون الحقيقة لوجهك، ما يقولون ما هو إلا أكاذيب وخداع، إنهم لا يعبرون عن نواياهم الحقيقية. طالما أن الشخص لا ينتهك الانضباط ولا يشارك في أنشطة فئوية سرية، يجب أن نسمح له بالتحدث ولا يجب معاقبته إذا قال أشياء خاطئة. إذا قال الناس أشياء خاطئة، فيمكن انتقادهم، لكن يجب إقناعهم بالعقل. ماذا لو لم يقتنعوا بعد ؟ وطالما التزموا بالقرارات والقرارات التي تتخذها الأغلبية، يحق للأقلية الاحتفاظ بآرائها".

وهكذا كان فهم ماو على أساس واضح أنه طالما كان الصراع الطبقي موجودًا في المجتمع فلا بد أن يكون الصراع الطبقي داخل الحزب، أي الصراع بين الخطين، لذلك كان من الصحيح فقط أن يتم خوض هذا النضال علانية وفقًا لمبادئ الديمقراطية المركزية. وهكذا، حاول ماو، من خلال فهمه لمفهوم الصّراع بين الخطين وتنفيذه، تحقيق نهج ديالكتيكي صحيح للطبقات والصراع الطبقي والصراع داخل الحزب.

خط الجماهير:

مجال آخر حيث تقدم ماو بالماركسية كان يتعلق بالخط الجماهيري. بدءاَ من الفهم الماركسي اللينيني الأساسي للحزب الذي يحافظ على أقرب روابط ممكنة مع الجماهير، طور ماو مفهوم الخط الجماهيري إلى مستوى نوعي جديد. على المستوى الفلسفي، أظهر كيف كان جانبًا أساسيًا من جوانب النظرية الماركسية للمعرفة، وعلى المستويين السياسي والتنظيمي، أظهر كيف كان أساسًا لخط سياسي صحيح وأيضًا كيف كان الخط التنظيمي الأساسي للعلاقات داخل الحزب.

يوضّح ماو أنّه في الممارسة العمليّة للحزب، فإن كل القيادة الصحيحة هي بالضرورة "من الجماهير وإلى الجماهير"، هذا يعني: خذْ أفكار الجماهير (أفكار مبعثرة وغير منهجية) وركّزْ عليها (من خلال الدراسة وتحويلها إلى أفكار مركزة ومنهجية)، ثم اذهبْ إلى الجماهير وانشرْ هذه الأفكار واشرحها حتى تتبناها الجماهير على أنها أفكارها الخاصة، أمسكْ بها وترجمْها إلى أفعال، واختبرْ صحة

هذه الأفكار في مثل هذا العمل، ثم مرة أخرى ركّز الأفكار من الجماهير وتوجه مرة أخرى إلى الجماهير حتى يتم المثابرة على تنفيذ الأفكار، وهكذا، مراراً وتكراراً في دوامة لا نهاية لها، حيث تصبح الأفكار أكثر صحة وحيوية وثراءً في كل مرة. هذه، كما يقول ماو، هي النظرية الماركسية للمعرفة.

من أجل تطبيق مبدأ "من الجماهير إلى الجماهير"، يوضح ماو أنه من الضروري وجود علاقة صحيحة بين المجموعة القيادية والجماهير في منظمة أو في النّضال. من الضروري أن يجمع الحزب النشطاء لتشكيل نواة قيادة وربط نواة القيادة هذه بالجماهير بشكل وثيق، فإذا لم يتم ذلك فإن قيادة الحزب تصبح بيروقراطية ومنفصلة عن الجماهير. ومن الضروري أيضا ألا تظل القيادة راضية عن مجرد توجيه دعوات عامة، يجب متابعة المكالمات العامة بإرشادات خاصة وملموسة إذا كان سيتم تنفيذها بشكل صحيح. "خذوا أفكار الجماهير وركزوها، ثم اذهبوا إلى الجماهير، ثابروا على الأفكار وحملوها من أجل تشكيل أفكار صحيحة للقيادة - هذه هي الطريقة الأساسية للقيادة". وبهذه الطريقة يشرح ماو الخط الجماهيري باعتباره الأسلوب الأساسي لقيادة الحزب للجماهير.

أخيراً، يقول ماو إن الخط الجماهيري يجب ألا يُنظر إليه فقط في سياق قيادة الحزب للجماهير. في الواقع، يؤكد ماو على تطبيق الخط الجماهيري على العلاقات الحزبية الداخلية أيضًا، ومن ثم فقد رآه أيضًا كخط تنظيمي. يشير ماو إلى أنه لضمان أن الخط يأتي حقًا من الجماهير وخاصة أنه يعود حقًا إلى الجماهير، يجب أن تكون هناك روابط وثيقة ليس فقط بين الحزب والجماهير خارج الحزب (بين الطبقة والشعب)، ولكن قبل كل شيء بين هيئات الحزب القيادية والجماهير داخل الحزب (بين الكوادر والرتب والقواعد). وهكذا يوضح ماو أنه كان من الأهمية بمكان الحفاظ على العلاقات الوثيقة بين المستويات العليا والدنيا للحزب، وأيّ تفكك في العلاقات الحزبية الداخلية سيؤدي إلى فجوة في العلاقة بين قيادة الحزب والجماهير، سوف يتعارض مع تطبيق الخط الشامل.

بدأ تنفيذ البرنامج الاقتصادي الديمقراطي الجديد في الصين حتى قبل انتصار الثورة على مستوى البلاد. بعد وقت قصير من دخول الجيش الأحمر والثورة الصينية الهجوم الاستراتيجي في عام 1947، أعلن ماو وبدأ تنفيذ ما أطلق عليه السياسات الاقتصادية الرئيسية الثلاث للثورة الديمقراطية الجديدة. كانت هذه السياسات تتمثّل في: 1) مصادرة أرض الطبقة الإقطاعية وتوزيعها بين الفلاحين، 2) مصادرة رأسمال البرجوازية الكمبرادورية، 3) حماية صناعة وتجارة البرجوازية الوطنية. تم تبني هذه السياسات على الفور للتنفيذ في المناطق الشاسعة من شمال الصين التي كانت تحت السيطرة الثورية وتم الانتهاء من الإصلاح الزراعي هناك بحلول منتصف عام 1950. بعد ذلك تم الانتهاء من برنامج الإصلاح الزراعي في بقية البلاد.

التجميع العام الخطي والتدريجي :

في عام 1951، تبنى الحزب ما أصبح يعرف باسم الخط العام للبناء الاشتراكي، لفترة الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية. كان الهدف الأساسي الذي تم تحديده لهذه الفترة هو تحقيق التصنيع في الصين جنباَ إلى جنب مع التحول الاشتراكي للزراعة والحرف اليدوية والصناعة الرأسمالية والتجارة. كان الهدف المحدد لإكمال هذه العملية حوالي ثمانية عشر عامًا، وتم تقسيم هذه المرحلة إلى ثلاث سنوات من إعادة التأهيل للتعافي من الأضرار والدمار الذي خلفته الحرب الأهلية بالإضافة إلى خمسة عشر عامًا تغطي ثلاث خطط خماسية للتنمية الاقتصاديّة المخطط لها.

وفقًا لهذا الخط العام، تم وضع خطة "خطوة بخطوة" للتحول الاشتراكي للزراعة. كانت الخطوة الأولى هي دعوة الفلاحين إلى تنظيم فرق مساعدة

متبادلة للمنتجين الزراعيين تتألف من عدد قليل إلى عشرات الأسر أو نحو ذلك، هذه الفرق لديها عناصر أساسية معينة للاشتراكية مثل المساعدة والتعاون بين أعضاء الفريق. والخطوة الثانية كانت دعوة الفلاحين إلى تنظيم تعاونيات صغار المنتجين الزراعيين على أساس فرق المساعدة المتبادلة هذه، كانت هذه التعاونيات شبه اشتراكية بطبيعتها وتميزت بتجميع الأراضي كأسهم وبإدارة موحدة. ثم كانت الخطوة الثالثة هي دعوة الفلاحين إلى الاندماج أكثر على أساس هذه التعاونيات شبه الاشتراكية الصغيرة وتنظيم تعاونيات كبيرة للمنتجين الزراعيين الاشتراكيين بالكامل. كانت المبادئ الأساسية التي قامت عليها هذه الخطة التدريجية هي المشاركة التطوعية والمنفعة المتبادلة، وكان لا بد من إقناع الفلاحين بالمشاركة طواعية في عملية التجميع هذه.

بدأت الخطوة الأولى لفرق المساعدة المتبادلة في القواعد الثورية حتى قبل انتصار الثورة على مستوى الأمة، وتمت الخطوة الثانية نحو التعاونيات الأولية في الأعوام 1953-1955، ثمّ جاءت الخطوة الثالثة للانتقال إلى التعاونيات المتقدمة في عام 1956. كان هناك تصاعد فعلي في التحول الاشتراكي في الريف، في الوقت نفسه، في الأشهر الأولى من عام 1956، تقدمت حركة ذات صلة بسرعة وأكملت عملية تأميم الشركات. وهكذا تم نقل الصناعة والتجارة في الصين من الملكية الخاصة إلى ملكية الشعب كله قبل الموعد المحدد بكثير.

نهج ماو الديالكتيكي لعملية البناء الاشتراكي :

كان الخط العام يعتمد بشكل أساسي على النموذج السوفياتي للبناء الاشتراكي. كان التركيز على الصناعة وخاصة على الصناعات الثقيلة هو الاتجاه المركزي للخطة الخماسية الأولى 1953-1957. علاوة على ذلك، كان هناك اتجاه لتبني جميع السياسات السوفياتية دون تمحيص. مع صعود التحريفية الحديثة في الاتحاد السوفياتي (وخاصة بعد المؤتمر العشرين التحريفي للحزب الشيوعي

السوفياتي في فيفري 1956)، تم تعزيز الميول التحريفية في الحزب الشيوعي الصيني على الفور. في عام 1956، بدأت حملة من داخل الحزب لـ"معارضة التقدم المتسارع"، أي إيقاف عملية التنشئة الاجتماعية. في نفس الوقت، اكتسبت النظرية التحريفية لقوى الإنتاج الصدارة داخل الحزب، حيث كان الممثل الرئيسي هو الأمين العام للحزب، ليو شاو تشي. أيد ممثلو هذا الاتجاه الخروشوفيين، ونفوا الصراع الطبقي وركزوا الاهتمام على بناء قوى إنتاجية حديثة، في المقام الأول من خلال الصناعة الثقيلة. كانت حجتهم هي أن قوى الإنتاج هي المحرك الرئيسي للتغيير وأن القوى المنتجة المتخلفة في الصين كانت العامل الرئيسي الذي يعيق تطور البلاد، ويجب أن تنتظر التغييرات في علاقات الإنتاج حتى تتطور قوى الإنتاج بدرجة كافية، يجب أن ينتظر التعاون الزراعي حتى تتطور الصناعات بما يكفي لتوفير الآلات للميكنة الريفية. كل هذه المقترحات نفت أهمية علاقات الإنتاج والصراع الطبقي. وكلّ ذلك سيؤدي إلى نمو الاتجاهات التحريفية والبيروقراطية ونمو طبقة جديدة مستغلة.

عند رؤية التجربة السوفياتية وإدراك الخطر التحريفي، أطلق ماو على الفور صراعًا لهزيمة هذه الاتجاهات التي كانت تسيطر في ذلك الوقت على الحزب. كانت خطوته الأولى في هذا الصراع هي خطابه في أفريل 1956 "حول العلاقات العشر الكبرى". في هذا الخطاب، وجه ماو لأول مرة نقدًا واضحًا للنمط السوفياتي للبناء الاقتصادي الاشتراكي، وفي إشارة إلى العلاقة بين الصناعة الثقيلة من جهة والصناعة الخفيفة والزراعة من جهة أخرى، شدد ماو على أن "أداءنا أفضل من الاتحاد السوفياتي وعدد من دول أوروبا الشرقية... إن ضغطهم المتقلب على الصناعة الثقيلة وإهمال الزراعة والصناعة الخفيفة يؤدي إلى نقص في السلع في السوق وعدم استقرار العملة". وبالمثل انتقد السياسة السوفياتية المتمثلة في "الضغط بشدة على الفلاحين"، كما هاجم الدوغمائيين داخل الحزب الشيوعي الصيني الذين "ينسخون كل شيء بشكل عشوائي ويزرعون ميكانيكيًا"

بينما يتعلمون من تجربة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الأخرى. كما انتقد أولئك الذين كانوا يحذون حذو خروتشوف في انتقاد ستالين دون تمييز. أيد ستالين كماركسي عظيم مع إنجازات بنسبة 70٪.

ومع ذلك، فإن أكبر مساهمة لخطاب ماو كانت تقدمه الكبير في فهم عملية البناء الاشتراكي والتخطيط الاشتراكي، ومن خلال تقديم مشاكل البناء الاشتراكي على أنها عشر علاقات رئيسية، جلب ماو الديالكتيك والتناقضات إلى مركز عملية بناء المجتمع الاشتراكي. لقد أظهر كيف أن البناء الاشتراكي لا يقتصر على التنفيذ الميكانيكي لأهداف الإنتاج والتوزيع، بل يشمل الفهم الديالكتيكي للتناقضات الرئيسية في العملية، وتعبئة جميع القوى الإيجابية لتحقيق الاشتراكية. هكذا قال: "التركيز على سياسة أساسية واحدة تثير هذه المشاكل العشر، السياسة الأساسية لتعبئة جميع العوامل الإيجابية، الداخلية والخارجية، لخدمة قضية الاشتراكية... هذه العلاقات العشر كلها تناقضات. العالم يتكون من تناقضات. بدون تناقضات سيتوقف العالم عن الوجود. مهمتنا هي التعامل مع هذه التناقضات بشكل صحيح".

تبعه ماو في العام التالي بعمله "حول المعالجة الصحيحة للتناقضات في صفوف الشعب". في ذلك واصل تطوير الفهم الديالكتيكي لعملية البناء الاشتراكي. في المقام الأول، وضع أيضًا الصراع الطبقي في صميم العملية وأكد أن" الصراع الطبقي لم ينته بأي حال من الأحوال... السؤال الذي ستنتصر فيه الاشتراكية أم الرأسمالية لم يتم حسمه بعد". بهذا بدأ النضال ضد الأقسام التحريفية في الحزب التي كانت تقول إن الصراع الطبقي لم يعد موجودًا في ظل الاشتراكية. كان هذا بمثابة بداية لحركة التصحيح على مستوى البلاد، الحركة المناهضة لليمين. خلال هذه الفترة، كان على العديد من الكوادر رفيعة المستوى تقديم نقدهم الذاتي أمام الجماهير، وانخرط ملايين الطلاب في العمل اليدوي للاندماج مع العمال والفلاحين، وكان على جميع الكوادر الحزبية في المصانع والتعاونيات الزراعية

المشاركة في العمل اليدوي، بدأ العمال في المشاركة في صنع القرار في مصانعهم، وبدأت حملة تعليم اشتراكية بين الفلاحين. من خلال هذه العملية، أصبح الحزب أقرب إلى الناس وتم التحقق من الاتجاهات اليمينية التي كانت تنمو، داخل الحزب وخارجه.

القفزة العظيمة إلى الأمام وولادة الكومونات الشعبية:

مع تقدم حركة التصحيح، أصبح اليمينيون في الحزب في موقف دفاعي. أدى ذلك، في عام 1958، إلى تصحيح نظرية القوى المنتجة الخاطئة التي هيمنت على مؤتمر الحزب الثامن عام 1956. اضطر المحرك الرئيسي لهذه النظرية، ليو شاو تشي، إلى الاعتراف أمام الدورة الثانية للمؤتمر الثامن للحزب في ماي 1958، بأنه خلال الفترة التي سبقت الانتهاء من بناء المجتمع الاشتراكي، كان التناقض الأساسي بين البروليتاريا والبرجوازية بين الطريق الاشتراكي والطريق الرأسمالي، كما أشار تقريره إلى القفزة العظيمة للأمام، التي بدأت بعد ذلك. كان هناك تقدم كبير على كل جبهة في البناء الاشتراكي سجلت خلاله الصناعة والزراعة وجميع مجالات النشاط الأخرى نموا أكبر وأسرع.

بصرف النظر عن النمو السريع، مثّلت القفزة العظيمة للأمام تغييراً كبيراً في أولويات الخطط السابقة والخط العام. تمت صياغة الخط العام للقفزة العظيمة للأمام في اجتماع اللجنة المركزية الذي عقد في نهاية نوفمبر 1957. وقد غير التركيز على الصناعة الثقيلة واستهدف التنمية المتزامنة للزراعة والصناعات الثقيلة والخفيفة، كان يهدف إلى تقليص الفجوة بين المدينة والريف، بين العامل والفلاح، وبين العامل والفلاح من جهة والمثقف والمدير من جهة أخرى. لم يكن هدفها مجرد ثورة اقتصادية ولكن ثورة تكنولوجية وسياسية واجتماعية وثقافية لتغيير المدينة والريف.

في عام 1958 بدأ بناء البلديات الشعبية. بدأت العملية لأول مرة بشكل تلقائي عندما وضعت جمعيات الفلاحين المجاورة في منطقة متأثرة بالجفاف خطّة لدمج العمالة والموارد الأخرى معًا لتنفيذ مشروع الري، وقد أطلق ماو على اندماجهم اسم شركة. شجّع ماو مثل هذا التشكيل وهذا أدى على الفور إلى انتشار سريع للكومونات في جميع أنحاء البلاد. تم تشكيلها من خلال اندماج التعاونيات المجاورة من أجل القيام بمشاريع واسعة النطاق مثل السيطرة على الفيضانات والحفاظ على المياه والتشجير ومصائد الأسماك والنقل. بالإضافة إلى ذلك، أقامت العديد من الكومونات مصانعها الخاصة لتصنيع الجرارات والأسمدة الكيماوية ووسائل الإنتاج الأخرى. نمت حركة إنشاء الكومونات الشعبية بسرعة كبيرة، وأعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في قرارها الشهير في ووهان الصادر في ديسمبر،1958 أنه "في غضون بضعة أشهر تبدأ في صيف عام 1958، أعادت جميع تعاونيات المنتجين الزراعيين في البلاد التي يزيد عددها عن 740.000، استجابةً للطلب الحماسي لجماهير الفلاحين، تنظيم نفسها في أكثر من 26000 بلدية شعبية. انضم أكثر من 120 مليون أسرة، أو أكثر من 99 في المائة من جميع أسر الفلاحين في الصين من مختلف الجنسيات، إلى الكومونات الشعبية". تلخيصًا للجوهر السياسي، ذهب الحزب الشيوعي الصيني إلى القول: "الكومونات الشعبية هي الوحدة الأساسية للبنية الاجتماعية الاشتراكية لبلدنا، وهي تجمع بين الصناعة والزراعة والتجارة والتعليم والشؤون العسكرية؛ في نفس الوقت هي التنظيم الأساسي لسلطة الدولة الاشتراكية. تتيح لنا النظرية الماركسية اللينينية والتجربة الأولية للكومونات الشعبية في بلدنا أن نتوقع الآن أن الكومونات الشعبية ستسرّع من وتيرة البناء الاشتراكي وتشكل أفضل شكل لتحقيق التحولين التاليين في بلدنا:

أولا، الانتقال من الملكية الجماعية إلى الملكية من قبل كل الناس في الريف ؛ و

ثانياً، الانتقال من المجتمع الاشتراكي إلى المجتمع الشيوعي. كما يمكن توقع أنه في المجتمع الشيوعي المستقبلي، ستظل جماعة الشعب هي الوحدة الأساسية لبنيتنا الاجتماعية".

وهكذا مثلت حركة الكومونات تقدمًا هائلاً أكمل أساسًا عملية التجميع الزراعي. ومع ذلك، فإن توقع الكومونة للمضي قدما في عملية الانتقال إلى الملكية العامة الكاملة والشيوعية لا يمكن تحقيقه إلى هذا الحد، كما لا يمكن توحيد محاولات إقامة مجتمعات حضرية.

في الفترة الأولى للحركة الجماعية (التجميعية) خلال القفزة العظيمة، كانت هناك أخطاء "يسارية" معينة وصفها ماو في خطابه في فيفري 1959 بـ "الريح الشيوعية". كانت هذه الأخطاء "اليسارية"، التي حددها ماو، من ثلاثة أنواع بشكل رئيسي: الأول كان تسوية كتائب الفقراء والأثرياء داخل الكوميونة بجعل البلدية بأكملها في وحدة محاسبة واحدة، وهذا يعني أن حصص أعضاء الفلاحين في الكتائب الأكثر ثراءَ (التعاونية المتقدمة السابقة) ستكون أصغر من الحصة التي سيحصلون عليها بعد وقت قصير من تشكيل الكومونة، وبالتالي سوف يستاؤون من تكوين الجماعة ولن تكون مشاركتهم طوعية. الخطأ الثاني هو أن تراكم رأس المال من قبل البلدية كان كبيراَ جدًا وأن طلب البلدية للعمالة دون تعويض كان كبيراَ جدًا، عندما يتم الاحتفاظ بمبالغ أكبر جانبَا لتراكم رأس المال تكون الحصة التي يحصل عليها الفلاح أقل، وبالمثل، لا يمكن أن يأتي المزيد من العمل بدون تعويض إلا إذا تم رفع الوعي إلى هذا الحد. الخطأ الثالث هو "مشاركة" جميع أنواع "الملكية"، ففي بعض المناطق كانت هناك محاولات لجلب الممتلكات الصغيرة للفلاح مثل الدجاج والخنازير إلى الكومونة، وهذا أيضا خطآ. وسرعان ما تم تصحيح هذه الأخطاء. تم الإبقاء على لواء الإنتاج (التعاونية المتقدمة سابقًا) كوحدة محاسبة أساسية، وفي عام 1962، تم رفع هذا المستوى إلى مستوى أدنى، وهو مستوى فريق الإنتاج. ومع ذلك، على الرغم من أن المنظور

ظل دائمًا لرفع مستوى الملكية والمحاسبة إلى مستويات أعلى، كعملية تنشئة اجتماعية أكبر وانتقال نحو الشيوعية، فإن هذا لم يحقق النجاح. استمرت وحدة المحاسبة والملكية الأساسية حتى عام 1976، لتظل عند أدنى مستوى - فريق الإنتاج.

النضال ضد الرأسماليين:

على الرغم من تصحيح الأخطاء "اليسارية" في وقت قريب، إلا أن سيطرة أصحاب الطريق الرأسمالية، بقيادة ليو شاو تشي، ظلت قوية ضمن المستويات الأعلى للحزب. تم تمثيل الصراع بين الخطين بطرق مباشرة وغير مباشرة، في جويلية 1959، شن بنغ ذا هواي، وزير الدفاع آنذاك، هجومًا مباشرًا على القفزة العظيمة للأمام، منتقدًا ما أسماه "تعصبها البرجوازي الصغير" ورغبته في "الدخول في الشيوعية بخطوة واحدة"، فصدّ ماو هذه الهجمات ودافع عن سياسات القفزة العظيمة. ومع ذلك، على الرغم من هزيمة بنغ، واصل رواد الطريق الرأسمالية هجماتهم بطرق غير مباشرة. كانت إحدى الطرق من خلال الدفاع المقنع عن بنغ والهجمات على ماو في وسائل الإعلام، من خلال المقالات وأيضًا من خلال المسرحيات والعروض الثقافية التي تهدف إلى إظهار كيف كان بنغ رفيقًا مستقيمًا وكان ضحية. كانت الطريقة الأخرى هي المماطلة أو تحويل مسار تنفيذ السياسات الرئيسية التي تم تحديدها على أعلى المستويات، كان المثال الرئيسي هو تخريب برنامج التعليم الاشتراكي وقرار إطلاق ثورة ثقافية، الذي اتخذته الجلسة الكاملة العاشرة للجنة المركزية في عام 1962. على الرغم من أن هذا تم الاتفاق عليه رسميًا من قبل رواد الطريق الرأسمالية، إلا أنهم ضمنوا من خلال سيطرتهم داخل الحزب الهيكلية لضمان عدم وجود تعبئة جماهيرية. لقد حاولوا تحويل الثورة الثقافية في اتجاه النقاش الأكاديمي والأيديولوجي بدلاً من الصراع الطبقي.

خاض ماو، طوال هذه الفترة (1959-1965)، المعركة على مستويات مختلفة. لقد أدرك على أساس التجربة الروسية الخطر الحقيقي للغاية المتمثل في عودة الرأسمالية، لذلك، على أساس دراسة رئيسية لسياسة واقتصاد تحريفية خروتشوفيت، استخلص الدروس النظرية من هذه التجربة لتعليم البروليتاريا الصينية والأمم المضطهَدة. من خلال الصراع الكبير ضد التحريفية الحديثة لخروتشوف، حاول ماو التوجّه إلى الثوار في العالم وفي الصين. من خلال أعماله مثل "نقد الاقتصاد السوفياتي" و"تحليل الحزب الشيوعي الصيني لشيوعية خروتشوف الزائفة ودروسها التاريخية للعالم" حاول أن يغرس في كادر الحزب الأسس النظرية لمحاربة التحريفية.

ومع ذلك، فقد حاول بشكل أساسي جذب الجماهير إلى النضال من أجل الدفاع عن الاشتراكية وتطويرها ومنع عودة الرأسمالية. إلى جانب برنامجه السابق للتعليم الاشتراكي، قدم أيضًا شعارات لمحاكاة الاشتراكية لتجارب "تاشاي" (Tachai)و"التايكية"[1] (Tach'ing) كخبرات نموذجية في بناء الاشتراكية. ولكن عندما قامت بيروقراطية الحزب بتحويل كل محاولات حشد الجماهير، نجح ماو بعد جهود جبارة في إطلاق العنان لطاقات الجماهير من خلال الثورة الثقافية البروليتارية العظمى. كان تتويجا عمليا لتطوير ماو للمبادئ الماركسية للبناء الاشتراكي.

-----

(1)-التّاشاي والتايكيّة: هي تجارب إنتاجيّة رائدة في جمهورية الصين الشعبيّة في عهد ماوتسي تونغ، الأولى في مجال الإنتاج الزراعي والثانية في مجال إنتاج النّفط.

الفصل 29 "الجــدل الكبيــر"

معركة مـــاو ضدّ التحريفية الحديثة لخروتشوف

في عام 1953، بعد وفاة ستالين، نفّذت زمرة تحريفيّة بقيادة خروتشوف انقلاباً وسيطرت على الحزب الشيوعي السوفياتي، الذي كان آنذاك الحزب الرائد للبروليتاريا العالمية. لقد طردوا أو قتلوا الثوار في الحزب، وبدأوا عملية استعادة الرأسمالية في أوّل أرض للاشتراكية وشرعوا في تطوير العلاقات مع المعسكر الإمبريالي، وخاصة الإمبريالية الأمريكية. بحلول عام 1956، بعد تأمين سيطرة حازمة على الحزب الشيوعي، بدأوا في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي بنشر سمومهم التحريفية بين الأحزاب الشيوعية الأخرى، لقد هاجموا في وقت واحد ما يسمّى بعبادة شخصية ستالين وقدّموا نظريتهم التحريفية للسلميّات الثلاثة - الانتقال السلمي والتعايش السلمي والمنافسة السلمية.

الانتقال السلمي يعني الانتقال السلمي إلى الاشتراكية من خلال الطريق البرلماني. اقترح خروتشوف أنه في العصر الحالي كان من الممكن تحقيق الاشتراكية من خلال الفوز السلمي بأغلبية في البرلمان ثم إجراء إصلاحات لتحقيق الاشتراكية. وهكذا نفى الحاجة إلى الثورة، وهكذا كانت هذه النظرية تكراراً لمذهب برنشتاين وغيره من الاشتراكيين الديمقراطيين.

اقترح خروتشوف التعايش السلمي بين الدول التي لديها أنظمة اجتماعية مختلفة كخط عام للسياسة الخارجية للدولة الاشتراكية. وهكذا قام بتشويه سياسة لينين في التعايش السلمي مع الدول الرأسمالية، والتي كانت مجرد جانب واحد من جوانب السياسة الخارجية للدولة الاشتراكية المتمثلة في الأممية البروليتارية. أخضع خروتشوف كل الأشياء الأخرى لرغبته في الحفاظ على وجود سلمي مع الإمبريالية، فأقام علاقات مع دول اشتراكية أخرى وقام بمساعدتها، كما كانت سياسة مساعدة نضالات الأمم المضطهَدة تعتمد على متطلبات التعايش

السلمي مع القوى الإمبريالية، وهكذا لم يكن هذا سوى سياسة تعاون مع الإمبريالية.

كانت المنافسة السلمية هي النظرية القائلة بأن التناقض بين الإمبريالية والاشتراكية سيتم حله من خلال المنافسة الاقتصادية بين النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي. وهكذا رفضت هذه النظرية الاعتراف بالطابع الرجعي والمروّج للحرب للإمبريالية. لقد خلق الوهم بأن التناقض بين المعسكر الاشتراكي والإمبريالي كان تناقضًا غير عدائي يمكن حله من خلال أشكال النضال السلمي.

وهكذا كانت نظرية خروتشوف عن السلميات الثلاثة نظرية تحريفية كاملة أراد أن يفرضها على الحركة الشيوعية العالمية وكانت هذه النّظريّة موجّهة نحو بناء علاقة وثيقة مع الإمبريالية. من أجل تنفيذ مخططاته وكسب قبول القوى الإمبريالية، شن خروتشوف في الوقت نفسه هجومًا شرسًا على ستالين باسم عبادة الشخصية، وذلك من أجل هدم المبادئ الثورية التي دافع عنها ستالين وناضل من أجلها، فكان من الضروري أولاً تدمير صورة ستالين بين الثوار والجماهير في جميع أنحاء العالم، وقد تم ذلك من خلال حملة من الأكاذيب والدعاية المنحطة.

أيّدت العديد من قيادات الأحزاب الشيوعية في العالم خط خروتشوف التحريفي. بدأ العديد من القادة والأحزاب البارزين بالفعل في اتّباع الخط التحريفي في بلدانهم، كان براودر في الولايات المتحدة قد طرح بالفعل نظريات التعاون بين الاشتراكية والرأسمالية وخرج من الحركة الشيوعية العالمية. توريز، زعيم الأممية الثالثة السابق من فرنسا، الذي طور علاقات وثيقة مع البرجوازية في أعقاب فترة الجبهة المناهضة للفاشية، اتخذ في سنوات ما بعد الحرب مواقف شوفينية قوميّة تجاه شعوب المستعمرات الفرنسية وأصبح خادمًا للبرجوازية الإمبريالية الفرنسية؛ تولياتي في إيطاليا، زعيم رئيسي آخر للأممية الثالثة، أراد "إصلاح" و"إعادة هيكلة" الرأسمالية وتحويلها إلى اشتراكية من خلال "إصلاحات

هيكلية" من خلال البرلمان البرجوازي؛ كانت قيادة الحزب الشيوعي الهندي قد غيرت بالفعل خطها التكتيكي للاعتراف بالطريق السلمي. وهكذا، فإن هذه القوى التحريفية، التي لم يتم انتقادها وهزيمتها بشكل كافٍ في الفترة السابقة، تعاونت بسعادة تامة مع خروتشوف.

ومع ذلك، عندما حاولت هذه الأحزاب بأي طريقة جادة تنفيذ "الانتقال السلمي" من خلال النظام الانتخابي وحيث كانت هذه الجهود تهدد النظام الاجتماعي بشكل كاف، تم القضاء عليها من خلال الانقلابات العسكرية والقمع الوحشي، كما في البرازيل (1964)، وإندونيسيا (1965)، وشيلي (1973).

من بين الديمقراطيات الشعبية التي تم تشكيلها حديثًا، كانت رابطة الشيوعيين في يوغوسلافيا، بقيادة تيتو، قد بدأت بالفعل، منذ عام 1948، على طريق المراجعة وانفصلت عن المعسكر الاشتراكي، لكن سرعان ما بدأ خروتشوف في تكوين صداقة معه، وتحالفت معظم القيادات المتبقية أيضًا مع خروتشوف. داخل المعسكر الاشتراكي، كان الحزب الشيوعي الصيني وحزب العمل الألباني وحدهما من حدّدا واعترفا بتحريفيّة خروتشوف ومثّلا دفاعًا شجاعًا وحازمًا عن الماركسية اللينينية.

كان الحزب الشيوعي الصيني، بتوجيه من ماو، في طليعة هذا النضال. في غضون شهرين من المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي، نشر الحزب الشيوعي الصيني مقالًا "عن التجربة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا"، والذي أيّد ستالين باعتباره ماركسيًا لينينيًا بارزًا، تبع ذلك مقال آخر في ديسمبر 1956، "المزيد عن التجربة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا"، والذي أصرّ على أن المعسكر الاشتراكي يجب أن يحدد بوضوح من هم أصدقاؤه ومن هم أعداؤه. اقترن هذا بمحاولة استمرت سبع سنوات للنضال ضدّ الخط التحريفي لخروتشوف وهزيمته داخل منتديات الحزب، لا سيما في اجتماعات الـ 60 حزبا

شقيقا في عام 1957 والـ 81 حزبا شقيقا في عام 1960، وفي اجتماعات مع قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي.

ومع اشتداد حدة النضال، سحب التحريفيون السوفيات في جوان 1959 المساعدة الفنية للصين في مجال الدفاع، وفي جويلية 1960 سحبوا فجأة جميع الخبراء التقنيين السوفيات الذين كانوا يعملون في الصين، وحصل نفس الشيء مع ألبانيا. في أفريل 1960، نشر الحزب الشيوعي الصيني "تحيا اللينينية" ومقالتان أخريان تؤيدان المبادئ الأساسية للينينية بشأن الإمبريالية والحرب والسلام والثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا. عارضت هذه المقالات المواقف التحريفية للحزب الشيوعي السوفياتي دون ذكره بالاسم.

لكن التحريفيين استمرّوا في محاولاتهم لمواصلة تنظيم مواقفهم التحريفية، وهكذا، في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي المنعقد في عام 1961، راجع البرنامج الذي تم تبنيه هناك جوهر الماركسية اللينينية، أي تعاليم الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا والحزب البروليتاري، وأعلن أنّ دكتاتورية البروليتاريا لم تعد ضرورية في الاتحاد السوفياتي وأن طبيعة الحزب الشيوعي السوفياتي كطليعة للبروليتاريا قد تغيّرت. قدم المؤتمر نظريات سخيفة عن "حالة الشعب كله" و"حزب الشعب بأسره"، وشنّ خروتشوف في المؤتمر هجوماً علنياَ وعنيفا على الحزب الألباني، حتى أنه دعا إلى الإطاحة بزعيمه، إنور خوجا، وقد عارض ذلك وفد الحزب الشيوعي الصيني بقيادة تشو إن لاي.

بدأ خروتشوف أيضًا في تشجيع الأحزاب الشيوعية الأخرى على شن هجمات علنية على الحزب الشيوعي الصيني، كما هاجمت مقالات عديدة للحزب الشيوعي السوفياتي القيادة الصينية. بدأ الحزب الشيوعي الصيني أخيراَ الرد على بعض هجمات توجلياتي من الحزب الإيطالي، وتوريز من الحزب الفرنسي، وجوس هول من الحزب الشيوعي الامريكي وغيرهم في سلسلة من سبع مقالات صدرت في نهاية عام 1962 وبداية عام 1963.

تم وضع ملخّص لوجهات النظر الرئيسية للحزب الشيوعي الصيني في رسالة 14 جوان الشهيرة لعام 1963، والتي كانت بعنوان "اقتراح يتعلّق بالخط العام للحركة الشيوعية العالمية". تم الرد على هذا برسالة مفتوحة إلى الحزب الشيوعي الصيني من قبل الحزب الشيوعي السوفياتي. وبما أن القضية كلها مفتوحة الآن، قرر الحزب الشيوعي الصيني إجراء المناقشة من خلال الصحافة المفتوحة، وقد نشر تسعة تعليقات على الرّسالة المفتوحة للحزب الشيوعي السوفياتي أوضحت جميع القضايا أمام الجماهير.

هذا الصراع، الذي ظهر علناً في عام 1963 واستمر حتى عام 1964، أصبح يُعرف باسم "الجدل الكبير" أو النقاش الكبير. كان للنقاش الكبير أهمية تاريخية هائلة، لقد كان كفاحًا مبدئيًا وشاملًا ضد التحريفية الحديثة. لقد وفرت نقطة التجمع لجميع القوى البروليتارية الثورية في جميع أنحاء العالم، لقد كان أيضًا تطورًا علميًا للماركسية اللينينية، مما أعطى الحركة الشيوعية العالمية خطها العام الثوري لتلك الفترة. كان ماو القوة الدافعة وراء النضال، من خلال النقاش الكبير، قدّم ماو علم الماركسية اللينينية من خلال تقديم إجابات لأهم الأسئلة المطروحة على البروليتاريا العالمية - التناقضات الأساسية في العالم، من هم الأصدقاء والأعداء، أهداف الحركة، و طريق تحقيق انتصار الثورة الاشتراكية العالمية. وردت هذه الصياغات بشكل رئيسي في رسالة 14 جوان، وحدّدت التعليقات التسعة ووضعت الموقف الثوري بشأن مختلف القضايا الحاسمة التي تواجه الحركة الشيوعية العالميّة بعد الحرب العالمية الثانية وهي الاستعمار الجديد، الحرب والسلام، العيش السلمي، يوغوسلافيا، تحريفيّة خروتشوف والدروس التاريخية التي يمكن استخلاصها من ذلك. من خلال "الجدل الكبير"، اكتسبت الماوية مزيدًا من القبول باعتبارها الأيديولوجيا التوجيهية للقطاعات الثورية للبروليتاريا العالمية.

كانت الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هي ردّ الماركسية على العقبات وتخريب عملية البناء الاشتراكي التي أنشأها الخروتشوفيون والرأسماليون. بعد ظهور التحريفية في الاتحاد السوفييتي، أدرك ماو أن أحد أكبر مخاطر استعادة الرأسمالية يأتي من داخل الحزب نفسه، خلال الجدل الكبير، حاول ماو، أثناء محاربة التحريفية، العثور على إجابة لسؤال كيفية منع استعادة الرأسمالية. كان في الوقت نفسه منخرطًا بعمق في القتال مع الخروتشوفين الصينيين، مثل ليو شياوتشي ودينغ تسياو بينغ. وهكذا أثناء اختتام الجدل الكبير في الوثيقة الأخيرة للحزب الشيوعي الصيني، والتي كانت تسمى "الشيوعية الزّائفة لخروتشوف ودروسها التاريخية للعالم"، شدّد ماو على بعض النقاط حول مسألة منع عودة الرأسمالية.

شدّد ماو في البداية على الاعتراف بالحاجة إلى مواصلة الصراع الطبقي طوال فترة المجتمع الاشتراكي، حتى النهاية. وأوضح أن التغيير في ملكية وسائل الإنتاج، أي الثورة الاشتراكية على الصعيد الاقتصادي، غير كاف بحد ذاته، وأصّر على أنه يجب أن تكون لدينا ثورة اشتراكية شاملة على الجبهتين السياسية والأيديولوجية من أجل تعزيز الثورة وهذه الثورة يجب أن تستمر في ظل دكتاتورية البروليتاريا.

نقطة أخرى شدّد عليها ماو مرارًا وتكرارًا هي أنه من أجل تنفيذ هذه الثورة، كان من الضروري التمسك بالخط الجماهيري، وإثارة الجماهير بجرأة واكتشاف الحركات الجماهيرية على نطاق واسع. ولهذا، يجب على الحزب أن يعتمد على جماهير الشعب، التي تشكل 95 في المائة من السكان، وأن يكسبها ويتحد معها، في صراع مشترك ضد أعداء الاشتراكية. كما شدّد ماو على الحاجة إلى "إجراء حركات تعليم اشتراكية واسعة النطاق بشكل متكرر في المدن والريف"، في هذه الحركات المستمرة لتثقيف الناس، شدد ماو مرة أخرى على الحاجة إلى تنظيم

القوى الطبقية الثورية، و"شنّ نضال حاد ومثلث ضد القوى المناهضة للاشتراكية والرأسمالية والإقطاعية". هكذا رأى ماو بوضوح أن المشاركة الواسعة للجماهير كانت شرطًا أساسيًا مسبقًا لمنع عودة الرأسمالية، جاء هذا من تجربة ماو حول كيف كان التحريفيون من داخل قيادة الحزب نفسه هم العناصر الرئيسية التي أدت إلى استعادة الرأسمالية.

ولكن داخل الحزب الشيوعي الصيني نفسه كانت هناك مقاومة قوية من أعلى المستويات، بقيادة ليو شياو تشي، لتنفيذ هذه النظريات والبرنامج الملموس الذي اقترحه ماو. وهكذا على الرغم من قبول "الثورة الثقافية الاشتراكية" رسميًا في الجلسة العامة العاشرة للجنة المركزية الثامنة في عام 1962، كان التنفيذ فاترًا وفي اتجاه مخالف للخط الذي قدمه ماو. في الواقع، بدأت بيروقراطية الحزب، الخاضعة لسيطرة ليو، في انتقاد ماو بسبب الإجراءات التي كان يحاول اتخاذها ومعارضة الإجراءات المتخذة على الطرق الرأسمالية مثل "بنغ تي هوا" (Peng Te-huai)، هذا النقد الذي وجهوه من خلال مقالات في الصحافة والمسرحيات والمنتديات الثقافية الأخرى التي كانت تحت سيطرتهم الكاملة. كانت سيطرتهم مطلقة، بحيث لم يتمكن ماو حتى من طباعة مقال يدافع فيه عن نفسه في الصحافة في بكين. ولم يتم نشر مقال يدافع عن ماو وسياساته إلاّ في نوفمبر 1965 في صحافة شنغهاي، التي كانت مركزًا أكثر راديكالية من بكين. كان هذا ما أطلق عليه ماو فيما بعد "إشارة" المؤتمر الشعبي العام الذي فتح الطّريق لتدفق انتقادات موجّهة للبيروقراطية الحزبية ودعمًا لخط ماو في الإعلام ومجال الثقافة. كما نشأت دعوات للنقد الذاتي لكن بيروقراطية الحزب بذلت كل ما في وسعها لمنع هذه الحركة من اتخاذ طابع جماهيري. حاولت جماعة الثورة الثقافية، التي كان من المفترض أن تبادر وتوجّه، السيطرة على المعارضة وتوجيهها على أسس أكاديمية.

أخيراً، أصدرت اللجنة المركزية تحت إشراف ماو، تعميماً بتاريخ 16 ماي 1966، يقضي بحلّ "مجموعة الخمسة"، التي كانت تحت مسؤوليتها تخريب الثورة الثقافية، وأنشأت "مجموعة الثورة الثقافية" مباشرة تحت إمرة المكتب السياسي-اللجنة الدائمة. صدر المنشور في 16 ماي يدعو إلى انتقاد وكسر مقاومة الرأسماليين بجميع الطرق، ولا سيما داخل الحزب. أدى هذا الإجراء إلى الانطلاق الفعلي للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، وجعلها ظاهرة جماهيرية يشارك فيها الملايين من الناس.

في الخامس والعشرين من ماي، تم وضع أول ملصق لشخصية كبيرة في جامعة بكين ينتقد نائب رئيس الجامعة ونظام التعليم، كانت هذه فقط الأولى من بين آلاف الملصقات الضخمة التي وضعها الطلاب والجماهير في جميع أنحاء البلاد حيث عبروا عن رأيهم وانتقدوا ما شعروا أنه خطأ في المجتمع. خرجت مظاهرات وانتقادات جماهيرية لنقد الأساتذة والبيروقراطيين الحزبيين وغيرهم بسبب سياساتهم الخاطئة. سرعان ما كان هناك طلب من قسم من الطلاب بإلغاء امتحانات القبول، فأصدرت اللجنة المركزية في جوان أمراً بتعليق القبول الجديد في الكليات والجامعات لمدة ستة أشهر حتى يتمكن الطلاب والشباب من المشاركة بشكل كامل في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، ومع ذلك، فقد ثبت أن فترة الستة أشهر قصيرة للغاية ولم تفتح الجامعات أبوابها مرة أخرى إلاّ بعد أربع سنوات.

بدأ ماو أيضًا المشاركة شخصياَ في المؤتمر العام لإحياء السلام، في 17 جويلية، شارك مع عشرة آلاف سباح آخر في السباحة لمسافة ميل واحد عبر نهر اليانغتسي، كان عمله الرمزي هذا يدلّ على أنه كان يشارك في التيار المتدفق من الثورة الثقافية. مرة أخرى في الخامس من أوت، خلال الاجتماع الحادي عشر للحزب الشيوعي الصيني، أعطى ماو إشارة أكثر وضوحًا، وضع ملصق شخصيته الكبيرة، وكان شعاره الرئيسي "اقصفوا المقر !". كانت هذه دعوة واضحة للهجوم على

المقرات الرأسمالية لأصحاب الطريق الرأسمالية في الحزب برئاسة ليو شياو تشي. أعطت دعوة ماو دفعة أخرى لأعمال الحركة والتشدد.

في 18 أوت، كان ماو حاضرًا في التجمع الأول للحرس الأحمر في بكين - كان عدد الحاضرين مليونًا. كان الحرس الأحمر أعضاء في آلاف المنظمات الجماهيرية التي نشأت في جميع أنحاء البلاد للمشاركة في المؤتمر الشعبي العام، وكانت المنظمات الجماهيرية الأولى تتكون أساسًا من الطلاب والشباب، ولكن مع نمو الحركة، نمت هذه المنظمات بين العمال والفلاحين وموظفي المكاتب. كانت مسيرة 18 أوت هي الأولى من بين العديد من هذه المسيرات. في بعض الأحيان كان هناك أكثر من مليوني عنصر من الحرس الأحمر من جميع أنحاء البلاد مجتمعين في العاصمة.

عرّفت الجلسة الكاملة الحادية عشرة المؤتمر الشعبي العام على أنه "مرحلة جديدة في تطور الثورة الاشتراكية في بلادنا، مرحلة أعمق وأكثر اتساعًا". قال ماو، في خطابه الختامي في الجلسة المكتملة النصاب، "إن الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هي في جوهرها ثورة سياسية كبرى في ظل الظروف الاشتراكية من قبل البروليتاريا ضد البرجوازية وجميع الطبقات المستغلة الأخرى. إنه استمرار للنضال الطويل ضد رجعيي الكومينتانغ الذي يخوضه الحزب الشيوعي الصيني والجماهير الثورية العريضة تحت قيادته. إنه استمرار للصراع بين البروليتاريا والبرجوازية".

اعتمدت الجلسة الكاملة الحادية عشرة ما أصبح يعرف بـ"المواد الستة عشر للثورة الثقافية". لقد تمّ التشديد على ما قيل في منشور 16 ماي بأن الثورة الحالية يجب أن تمسّ أرواح الناس وتغيّر الإنسان، حيث لا تزال الأفكار القديمة والثقافة والعادات وعادات الطبقات المستغِلة تشكل الرأي العام وتوفر أرضًا خصبة لاستعادة الماضي. يجب تحويل النظرة العقلية وخلق قيم جديدة.

حدّد الهدف الرئيسي على أنه "أولئك الذين يتولون السلطة داخل الحزب ويسلكون الطريق الرأسمالي". حددت القوى الرئيسية للثورة بأنها "جماهير العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين والكوادر الثورية".

كان الهدف من الثورة هو "النضال ضد الأشخاص الموجودين في السلطة الذين يسلكون الطريق الرأسمالي وسحقهم، وانتقاد "السلطات" الأكاديمية البرجوازية الرجعية وأيديولوجيا البرجوازية وجميع الطبقات المستغلة الأخرى وتنفيذه، وتحويل التعليم، الفن والأدب وجميع الأجزاء الأخرى للبنية الفوقية التي لا تتوافق مع القاعدة الاقتصادية الاشتراكية، وذلك لتسهيل توطيد وتطوير النظام الاشتراكي". كان شكل الثورة هو إثارة الجماهير بمئات الملايين من الناس للتعبير عن آرائهم بحرية، وكتابة ملصقات ذات حروف كبيرة، وإجراء نقاشات كبيرة حتى ينكشف أصحاب الطريق الرأسمالية في السلطة ويمكن أن تتحطم خططهم لاستعادة الرأسمالية.

كان الجانب الأساسي للثورة الثقافية هو التقدم والتنفيذ العملي للخط الجماهيري لماو. لم يكن يهدف فقط إلى القضاء على العناصر المعادية للاشتراكية، ولكن لتمكين الطبقة العاملة من "ممارسة القيادة في كل شيء"، و"وضع السياسة في موقع القيادة"، و"ضمان بقاء كل شخص يعمل كمسؤول من اجل عامة الناس". ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، كان من الضروري شن هجوم شامل ضد الإيديولوجيا البرجوازية بطريقة تجعل الجماهير تشارك بنشاط في هذا الهجوم. وهكذا، أوعز قرار الجلسة الكاملة الحادي عشر:

"في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، الطريقة الوحيدة هي أن تحرّر الجماهير نفسها، ويجب عدم استخدام أي طريقة للقيام بالأشياء نيابة عنها.

ثق بالجماهير واعتمد عليها واحترم مبادرتها. تخلص من الخوف. لا تخافوا من الفوضى. . . . دعوا الجماهير تثقف نفسها في هذا الجوّ الثوري العظيم وتعلم

التمييز بين الصواب والخطأ وبين الطرق الصحيحة وغير الصحيحة للقيام بالأشياء".

عندما دخلت الجماهير بكامل قوتها في الثورة، خلقت شكلاً تنظيمياَ جديدًا هو اللجنة الثورية. لقد استند إلى مجموعة "ثلاثة في واحد": أي أن أعضاءها، الذين تم انتخابهم والخاضعون للاستدعاء والمسؤولون مباشرة أمام الشعب، تم اختيارهم من الحزب وجيش التحرير الشعبي والمنظمات الجماهيرية (الحرس الأحمر الذي بلغ عدد أعضائه ثلاثين مليوناً). لقد نشأت على جميع المستويات، من المصنع أو البلدية إلى أجهزة الحكومة الإقليمية والمركزية، وكانت وظيفتها توفير الرابط الذي يمكن للجماهير من خلاله المشاركة مباشرة في إدارة البلاد.

مكّن جهاز السلطة هذا المكون من ثلاثة في واحد السلطة السياسية البروليتارية من ضرب جذور عميقة بين الجماهير. لعبت المشاركة المباشرة للجماهير الثورية في إدارة البلاد وفرض الرقابة الثورية من أسفل على أجهزة السلطة السياسية على مختلف المستويات دورًا مهمًا للغاية في ضمان التزام المجموعات القيادية على جميع المستويات بالخط الجماهيري. وهكذا فإن تقوية دكتاتورية البروليتاريا كان أيضا أكبر وأعمق ممارسة للديمقراطية البروليتارية تحققت في العالم حتى الآن.

في ظل الاجتياح الأول للثورة الثقافية في 1966-1967، تم تحطيم المقر البرجوازي داخل الحزب بشكل فعال، وتم تجريد معظم رواد الطريق الرأسمالي مثل ليو شياو تشي ودينغ هسياو بينغ وأنصارهم من مناصبهم الحزبية وأجبروا على قيامهم بالنقد الذاتي أمام الجماهير. لقد كان نصرَا عظيمًا، لم يلهم الجماهير الصينية فحسب، بل خلق أيضًا موجة من الحماس الثوري بين الثوار الشيوعيين في جميع أنحاء العالم.

خلال الجدل الكبير، تجمعت العديد من القوى الثورية حول الخط الثوري للحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماو، ولكن خلال الثورة الثقافية بشكل أساسي أصبحت هذه القوى في جميع أنحاء العالم تقبل أن الماوية هي التي يمكن أن تقدم إجابات لمشاكل الثورة الاشتراكية العالمية. لقد أظهرت الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى أن الماركسية لديها رد على العدو الذي يعمل على استعادة الرأسمالية. أدى هذا التقدم في الماركسية إلى توحيد العديد من الجماعات والأحزاب الثورية في جميع أنحاء العالم على أساس الماركسية - اللينينية - الماوية، وإطلاق النضالات الثورية تحت قيادتها. لكن ماو حذّر، "إن الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى الحالية هي الأولى فقط، سيكون هناك حتما الكثير في المستقبل. لا يمكن تسوية قضية من سيفوز في الثورة إلا على مدى فترة تاريخية طويلة، وإذا لم يتم التعامل مع الأمور بشكل صحيح، فمن الممكن أن تحدث عودة الرأسمالية في أي وقت في المستقبل".

علاوة على ذلك، ذكَّر المؤتمر التاسع للحزب عام 1969، "لقد حقّقنا نصراَ عظيماً، لكن الطبقة المهزومة ستستمر في النضال. أعضاؤها لا يزالون حولهم ولا يزالون موجودين، لذلك لا يمكننا التحدث عن النصر النهائي، إلّا بعد عقود. يجب ألا نفقد يقظتنا. من وجهة النظر اللينينية، فإن الانتصار النهائي في بلد اشتراكي واحد لا يتطلب فقط جهود البروليتاريا والجماهير العريضة في الداخل، بل يعتمد أيضًا على انتصار الثورة العالمية وإلغاء نظام استغلال الإنسان للإنسان على هذه الأرض لكي تتحرر البشرية جمعاء. وبالتالي، من الخطأ الحديث باستخفاف عن الانتصار النهائي للثورة في بلادنا. إنه يتعارض مع اللينينية ولا يؤكد الحقائق".

أثبتت كلمات ماو صحتها خلال وقت قصير، أولاً في عام 1971، تآمر لين بياو، نائب الرئيس، الذي تم تعيينه في المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني خلفًا لماو، للاستيلاء على السلطة من خلال اغتيال ماو وتنظيم انقلاب عسكري، لكن تم إحباط ذلك الانقلاب من خلال يقظة الثوار في الحزب. بعد ذلك، تمت إعادة

تأهيل التحريفيين مثل دينغ إلى مناصب عليا داخل الحزب وجهاز الدولة. خلال الفترة الأخيرة من الثورة الثقافية، كان هناك صراع مرة أخرى ضد ممثلي الطريق الرأسمالية، وتعرض دينغ للانتقاد مرة أخرى وإزالته من جميع المناصب قبل أشهر قليلة من وفاة ماو في 9 سبتمبر 1976، ومع ذلك، كان لديه العديد من عملائه في مناصب السلطة. لقد كان هؤلاء المنشقون هم من دبّروا الانقلاب للسيطرة على الحزب وقيادته على طريق استعادة الرأسمالية بعد وقت قصير من وفاة ماو، هم الذين خربوا الثورة الثقافية ثم أعلنوا رسمياً نهايتها في عام 1976.

ومع ذلك، فإن هذا الانقلاب والعودة إلى الرأسمالية لا يمكن أن ينكرا صحة حقيقة الثورة الثقافية. بل إنّ ذلك يؤكد بطريقة ما تعاليم ماو حول طبيعة المجتمع الاشتراكي وضرورة استمرار الثورة في ظل دكتاتورية البروليتاريا. الثورة الثقافية هي أداة علمية تم تطويرها في النضال ضد استعادة الرأسمالية وفي النضال النظري لتطوير الماركسية - اللينينية – الماوية، وقد تم إثبات صحتها العلمية في اختبار ممارسة الثورة الصينية، كما تم إثبات فعاليتها كسلاح لتعبئة الجماهير الغفيرة في النضال ضد خطر عودة الرأسمالية في بلد اشتراكي. ومع ذلك، كما أشار ماو نفسه، لا يمكن لأي سلاح أن يوفّر ضماناً للنصر النهائي. وهكذا،

إن الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هي إحدى أهم مساهمات الماركسية اللينينية الماوية في ترسانة البروليتاريا العالمية. إنه يمثل التطبيق العملي لإسهام ماو الأعظم في الماركسية - نظرية الثورة المستمرة في ظل دكتاتورية البروليتاريا لترسيخ الاشتراكية ومكافحة التحريفية الحديثة ومنع استعادة الرأسمالية. إن أهميتها بالنسبة للبروليتاريا العالمية لا حد لها في عالم اليوم حيث فقدت كل القواعد الاشتراكية بسبب مخططات البرجوازية المتلاعبة داخل الحزب الشيوعي نفسه، لذلك حان الوقت لمراجعة تعريف لينين للماركسي.

قال لينين أثناء تعريفه للماركسي إنه لا يكفي قبول الصراع الطبقي حتى يطلق عليه ماركسي. قال إنهم فقط أولئك الذين يعترفون بكل من الصراع الطبقي ودكتاتورية البروليتاريا يمكن أن يطلق عليهم ماركسيين. اليوم لا يكفي الاعتراف فقط بالصراع الطبقي وديكتاتورية البروليتاريا لتكون ماركسياً، يجب على الماركسي قبول الفهم الأساسي للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى. وهكذا، فهو ماركسي فقط ذلك الذي يوسع الاعتراف بالصراع الطبقي ودكتاتورية البروليتاريا إلى الاعتراف بالثورة المستمرة بهدف استكمال الثورة العالمية وبناء المجتمع الشيوعي في أقرب وقت ممكن.

كانت أواخر الستينيات، مرحلة الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى وتأسيس الماوية كمرحلة جديدة من الماركسية اللينينية ومرحلة هياج ثوري في أنحاء كثيرة من العالم. كانت الحرب الثورية في الهند الصينية (المنطقة التي تغطي فيتنام وكمبوديا ولاوس) توجّه ضربات شديدة للقوة العسكرية الهائلة للإمبرياليين الأمريكيين. في الوقت نفسه، أطلق الثوار الذين انفصلوا عن قبضة التحريفين المعاصرين نضالات مسلحة تحت إشراف الماوية في أجزاء كثيرة من العالم الثالث خلال هذه الفترة، من ذلك استمرار الكفاح المسلح في الفلبين والهند منذ ذلك الحين. كانت النضالات التحررية الوطنية التي تشن حرب عصابات مستعرة في أجزاء مختلفة، وكذلك النضالات المسلّحة التي تبنّت الأيديولوجيا الغيفاريّة (الأيديولوجيا التي تتبع آراء وممارسات تشي جيفارا، الذي لعب دوراً رائدًا في النضالات الثورية في كوبا وبوليفيا) في أجزاء من أمريكا اللاتينية.

كانت حرب الهند الصينية، والنضالات الحادة في العالم الثالث، والثورة الثقافية البروليتارية الكبرى من بين العوامل الرئيسية للانتشار الواسع لحركات الطلاب والحركات المناهضة للحرب في جميع أنحاء العالم الرأسمالي في نهاية الستينيات. كانت ثورة الطلاب في باريس في ماي 1968 هي الأهم لكنها واحدة فقط من موجة التمرد الطلابي التي امتدت من الولايات المتحدة إلى إيطاليا وحتى بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا، كما كان له تأثيره على الحركات الطلابية في أجزاء مختلفة من العالم الثالث. في نفس الوقت بدأت الاحتجاجات المناهضة لحرب فيتنام في الانتعاش في الولايات المتحدة وأجزاء أخرى من العالم مع حركات سلام ضخمة ضد الحرب وسباق التسلح النووي في المدن الكبرى في أوروبا. تم عزل الإمبرياليين الأمريكيين بشكل فعّال حيث لم يوافق أحد من حلفائهم على إرسال قوات للقتال في فيتنام. بعد حركة الطلاب، كان هناك أيضًا نمو كبير في نضالات

الطبقة العاملة الصناعية في دول أوروبا الغربية وخاصة إيطاليا وفرنسا، على الرغم من أنها كانت إلى حدّ كبير تركّز على المطالب الاقتصادية، فأدّت موجات ضخمة من الإضرابات مع مطالب كبيرة للأجور إلى شل اقتصادات بأكملها في البلدان الإمبريالية.

شهد منتصف السبعينيات الإطاحة النهائية بالعديد من الأنظمة الاستعمارية طويلة الأمد بعد حروب عصابات طويلة. وهكذا تمّ طرد الولايات المتحدة وعملائها من فيتنام وكمبوديا ولاوس في عام 1975. في أفريقيا، تم تشكيل جمهوريات موزمبيق وأنغولا وإثيوبيا والكونغو وبنين في هذه الفترة، لكن معظم هذه البلدان تم الاستيلاء عليها من قبل دمى أو أتباع للإمبريالية الجديدة - الإمبريالية الاشتراكية السوفياتية. كانت كمبوديا استثناءَ بارزًا، حيث ظل الثوار الشيوعيون الحقيقيون - الخمير الحمر - مستقلين حتى غزو فيتنام عام 1978 بناءَ على طلب الإمبرياليين السوفيات.

في الفترة التالية أيضًا، استمرت الحالة الثورية ممتازة مع اشتداد كل التناقضات الأساسية وزيادة إضعاف الإمبريالية. على وجه الخصوص، استمرت المستعمرات وأشباه المستعمرات في كونها مراكز لعواصف الثورة العالمية. في بداية هذه الفترة استمرت حرب العصابات في زيمبابوي ونيكاراغوا وإريتريا ودول أخرى، وبدأت الحرب الشعبية في بيرو عام 1980 تحت القيادة الثورية الشيوعية، تمت الإطاحة بشاه إيران وظهرت جمهورية إسلامية معادية لأمريكا. اندلعت حرب التحرير الوطنية في أفغانستان بعد تنصيب نظام العميل السوفياتي في عام 1978 واحتلال البلاد من قبل جيش الإمبريالية الاشتراكية السوفياتيّة في عام 1979. وجه النضال البطولي للشعب الأفغاني ضربة قاضية خطيرة للنظام السوفياتي وأثبت أنه عامل رئيسي في الانهيار النهائي لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية.

تكمن الأهمية التاريخية لنضالات شعوب المستعمرات وأشباه المستعمرات في أنها غيرت إلى الأبد طبيعة العلاقات بين الإمبريالية والأمم المضطهَدة. أثبتت كل من حرب فيتنام وأفغانستان أنه حتى القوة العظمى لا تستطيع احتلال حتى دولة صغيرة وضعيفة. ظهرت هذه الحقيقة بشكل أكثر وضوحا في التسعينيات في العديد من المواقع حيث حاولت قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة التدخل. صوماليلاند، التي سيطرت عليها لسنوات عديدة دون صعوبة كبيرة من قبل المستعمرين البريطانيين والإيطاليين، أصبحت في التسعينيات الصومال حيث أجبر الآلاف من القوات الأمريكية وغيرها على التراجع في عار، عندما هاجمهم الشعب، حتى القصف الواسع النطاق والمستمر للعراق ويوغوسلافيا دون التزام بقوات برية هو اعتراف الإمبريالية بأنه لا يوجد بلد أو أمة أو شعب مستعد في هذه الفترة لقبول جيش احتلال.

منذ انهيار الأنظمة البيروقراطية في أوروبا الشرقية والجمهوريات المختلفة في الاتحاد السوفياتي السابق، كانت هناك أزمة ثورية مستمرة هناك أيضًا. حتى في البلدان الإمبريالية الغربية، أدى تفاقم الأزمة إلى اشتداد التناقض بين العمل ورأس المال وموجات نضالات الإضراب المتكررة من قبل الطبقة العاملة الصناعية. ومع ذلك، لم تكن القوى الثورية قوية من الناحية التنظيمية بما يكفي للاستفادة من الوضع الثوري الممتاز على مستوى العالم لدفع الثورة الاشتراكية العالمية إلى الأمام.

بعد وفاة ماو في عام 1976، قام رواد الطريق الرأسمالي الذين بقوا في الحزب بانقلاب تحت قيادة التحريفي اللدود دينغ تساو بينغ وتولوا السيطرة على الحزب تحت القيادة الاسمية لهوا كو فنغ، الوسطي المزعوم. كما علّم ماو في كثير من الأحيان، مع انتقال السيطرة السياسية إلى أيدي التحريفيين، خرجت القاعدة الاشتراكية من أيدي البروليتاريا. في نفس الوقت، تحولت قيادة حزب العمل

الألباني إلى الخط الانتهازي الذي يهاجم الماوية ويظهر ماو على أنه ثوري برجوازي صغير. على الرغم من استمرار الخمير الحمر في الاحتفاظ بالسلطة في كمبوديا، إلا أنهم كانوا يخوضون صراعًا مستمراَ ضد الأعداء الداخليين والخارجيين للثورة ولم يخرجوا بعد من ويلات الحرب الاقتصادية ويعزّزوا حكمهم عندما هزمهم الجيش الفيتنامي المدعوم من الاتحاد السوفياتي. وهكذا لم يعد هناك بلد في أي مكان في العالم حيث أحكمت البروليتاريا قبضتها على سلطة الدولة ويمكنها أن تلعب دور القاعدة الاشتراكية للبروليتاريا العالمية.

في السنوات التي أعقبت وفاة ماو مباشرة، كان هناك قدر كبير من الارتباك الأيديولوجي في الحركة الشيوعية العالميّة، مع التحريفي دينغ ومن خلال هوا كو فنغ، اللذين حاولا إبراز نفسيهما كمؤيدين للماوية. على وجه الخصوص، روّجا بشكل خاطئ لنظرية العوالم الثلاثة التحريفية باعتبارها الخط العام الذي رسمه ماو للبروليتاريا العالمية. وقد قبلت العديد من الأحزاب الثورية هذه المواقف، ولم تبدأ معظم القوى الثورية في جميع أنحاء العالم في الخروج علانية ضد تحريفية دنغ إلا بعد القرار التاريخي التعديلي الصريح للحزب الشيوعي الصيني في عام 1981 والمؤتمر الثاني عشر في عام 1982. ومع ذلك، استمرت بعض الأقسام في اتباع خط دينغ التحريفي وتخلت عن تعاليم ماو الثورية، وتحالفت أحزاب أخرى مع الهجوم الانتهازي الذي شنه حزب العمل الألباني على الماوية. لكن هذه الأحزاب فيما بعد إما تفككت أو كشفت علانية عن طبيعتها التحريفية.

ومع ذلك، فإن أولئك الذين عارضوا بحزم تحريفية دينغ وأيدوا الماوية في الممارسة العملية يمكنهم تحقيق تقدم كبير. تشكل هذه القوى اليوم جوهر البروليتاريا الأممية الثورية، إنّهم يقودون صراعات مسلّحة في بيرو والفلبين وتركيا ونيبال والهند، وعلى الرّغم من ضعف هذه القوى من الناحية التنظيمية، إلا أنها

تستمر في النمو بقوة. وتمثّل صحة الإيديولوجيا الماركسية اللينينية الماوية المصدر الرئيسي لنمو قوتهم. وقد أكّدت سلسلة الأحداث التاريخية الرئيسية في السنوات العشرين الماضية على صواب معظم تقييمات الماوية، على وجه الخصوص، انهيار الاتحاد السوفياتي وتراجعه عن مكانة القوة العظمى في مواجهة صراعات الشعوب والضعف الخطير للقوة العظمى الأمريكية في مواجهة نضالات الشعوب المضطهدة في العالم، لقد أكّدت هذه الأحداث صحّة تقييم ماو بأنّ الإمبرياليين لم يكونوا إلا نموراً من ورق.

وبالمثل، ظلّت الماوية أفضل أداة في أيدي البروليتاريا العالميّة والشعوب المضطهَدة لصياغة وتنفيذ برنامج الثورة في بلدانهم، كما كان لها تأثير كبير على النضالات المسلّحة من أجل التحرر الوطني التي تشن في مختلف أنحاء العالم. على الرغم من عدم وجود أي تطورات كبيرة أو مهمة في العلم والنظرية الماركسية في هذه الفترة، إلا أن الماركسية اللينينية الماوية لا تزال قابلة للتكيّف مع الظروف المتغيرة في العالم، ومع ذلك فهي تقدم النظرية العلمية والصحيحة الوحيدة للبروليتاريا العالمية.

تمّر الحركة الشيوعية العالمية بعملية انتصار ـ هزيمة ـ انتصار على طريق النصر النهائي في الثورة الاشتراكية العالمية. بالنسبة لأولئك الذين سيصابون باليأس بسبب الصعود والهبوط في هذه العملية، من المفيد أن يتذكروا الفهم الذي قدمه ماو خلال الجدل الكبير وأيضًا خلال الثورة الثقافية، "حتى الثورة البرجوازية، التي أحلّت طبقة مستغلة محلّ طبقة أخرى، كان عليها أن تمر بمرور انتكاسات متكررة وتشهد العديد من النضالات، الثورة ثم الاستعادة ثم الإطاحة بالاستعادة. لقد استغرق الأمر مئات السنين من البلدان الأوروبية لاستكمال ثوراتها البرجوازية من بداية الاستعدادات الأيديولوجية إلى الاستيلاء النهائي على سلطة الدولة. بما أن الثورة البروليتارية هي ثورة تهدف إلى إنهاء جميع أنظمة

الاستغلال بشكل كامل، فلا يزال من غير المقبول تخيل أن الطبقات المستغلة ستسمح بخنوع للبروليتاريا بحرمانها من جميع امتيازاتها دون السعي إلى استعادة حكمها".

ومن ثم فإن الهزائم المؤقتة متوقعة على الطريق الطويل والمتعرج للثورة الاشتراكية العالمية. إن تاريخ تطور الماركسية اللينينية الممتد على مدى 150 عامًا قد أثبت بشكل قاطع أن المصير التاريخي لهذه العقيدة وحده هو الذي يقود ويوجّه البروليتاريا العالمية إلى النصر النهائي.

فهرس الكتاب

العنــوان	الصفحة

هذا الكتاب

في كثير من الأحيان، نقوم بفهم وتحليل العالم من حولنا استنادًا إلى تجاربنا المحدودة، لذلك قد نصل إلى استنتاجات خاطئة. ولكن الفهم الجيد للماركسية اللينينية الماوية يمكن أن يساعدنا على التغلّب على مثل هذه الأخطاء ويمكّننا من التعلّم من التّجارب الإيجابيّة والسّلبيّة حول العالم والتّفريق بين الجيّد والسيّء من خلال ممارستنا العملية... باختصار تمثّل دراسة ام الل ام ضرورة لأنّ النظرية هي نور الممارسة العمليّة.

... هذا الكتاب، يطرح برنامجا عامّا للتثقيف والتكوين وهو يتناول بطريقة مبسّطة أهمّ مسائل الماركسية اللينينيّة الماويّة عبر قراءة تاريخيّة لتطوّر علم تحرير البروليتاريا بدءاَ بمصادره المختلفة وصولا إلى إنجازاته ولعلّ آخرها الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى والحروب الشّعبيّة الثّوريّة الدّائرة رحاها الآن في أكثر من موقع على هذا الكوكب. هذا الكتاب ضروريّ للمناضل الشيوعيَ المدعوّ إلى تعميق تكوينه النّظريّ والسياسيّ عبر توسيع اطلاعه ومعارفه والنقاش والنّقد والممارسة العمليّة.